مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

مجموع فيه عدة رسائل وشروح

المؤلف

عبدالرحمن بن أحمد بن رجب (ابن رجب)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة دار الإفتاء السعودية.

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

نسخة محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ

هذا المجموع المبارك يشتمل على عدة شروح اولها شرح حديث عمار بن ياسر
ويليه اختصار الاولى في شرح حديث اختصام الملأ الاعلى
ويليه شرح حديث زيد بن ثابت
ويليه كتاب الذل والانكسار
ويليه شرح حديث ابن كعب
ويليه تنبيه في العلم النافع وغير النافع
ويليه كتاب نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي لابن عباس
ويليه غاية النفع في شرح حديث تحويل المؤخر بخاتمة الزرع
ويليه شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة
ويليه استشاق نسيم الانس
ويليه الكلام على كلمة الاخلاص هذا الكتاب تحفة الرحيب
ويليه فضائل عبد الله
ويليه فصول في اسرار الصلاة
ويليه فتوى الشيخ الاسلام رحمه الله في هلال ذي الحجة

٥٢٧
٨٦
٣١٥٦٩٨

الكلام على حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه تأليف العلامة

العلامة عبد الرحمن بن رجب رحمه الله تعالى

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
معهد العلوم
قسم التحقيق
الرقم: ٥٥٢٧
التاريخ: ١٣٩٦/١٠/٢٠هـ

وعفى عنه بمنه وكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اخرج الامام احمد والنسائي من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الدعوات اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم اني اسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا واسألك القصد في الفقر والغنى واسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع واسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين

اعلم ان الحاجات التي يطلبها الله عز وجل عوضان اما علم انه خير محض كسؤاله خشيته وطاعته وتقواه وسؤاله الجنة والاستعاذة به من النار فهذا يطلب من الله بغير تردد ولا تعليق بالعلم والمصلحة لانه خير محض ومصلحة حاصلة فلا وجه لتعليقه بشرط وهو معلوم الحصول وكذلك لا تعلق له بمشيئة الله عز وجل لان الله يفعل ما يشاء ولا مكره له ولا فايدة لتعليقه بمشيئة ولكن ليجزم المسئلة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له اخرجاه من حديث انس وابي هريرة بمعناه وفي رواية لمسلم ولكن ليعزم المسئلة ويعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء وفي رواية البخاري ان الله لا يتعاظمه شيء يفعله

النوع الثاني مالا يعلم انه خيرة للعبد ام لا كالموت والحياة والغنى والفقر والولد والاهل وكسائر حوائج الدنيا التي يجهل عواقبها فهذه لا ينبغي ان يسئل الله منها الا ما يعلم فيه الخيرة للعبد فان العبد جاهل بعواقب الامور وهو مع هذا عاجز عن تحصيل مصالحه ودفع مضاره فيتعين عليه ان يسئل حوائجه من عالم قادر وله شرعت الاستخارة في الامور الدنيوية كلها وشرع

ان يقول

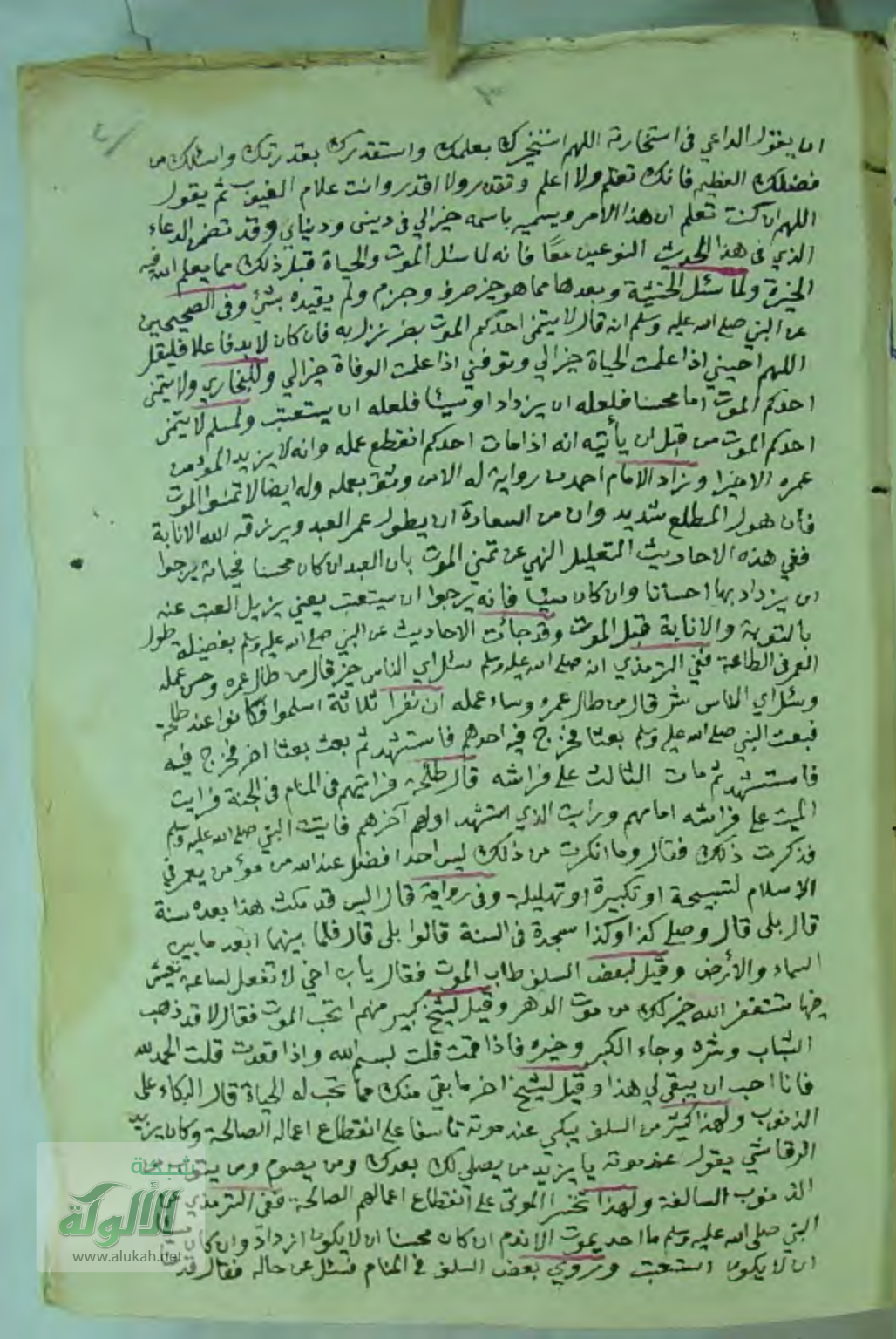

ان يقول الداعي في استخارته اللهم استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسئلك من فضلك العظيم فانك تعلم ولا اعلم وتقدر ولا اقدر وانت علام الغيوب ثم يقول اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر ويسميه باسمه خيرا لي في ديني ودنياي وقد تضمن الدعاء الذي في هذا الحديث النوعين معا فانه لما سئل الموت والحياة قبل ذلك مما يعلم الله فيه الخيرة ولما سئل الخشية وبعدها مما هو خير صرف وجزم ولم يقيده بشرط وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتمنى احدكم الموت بضر نزل به فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم احيني اذا علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي وللبخاري ولا يتمنى احدكم الموت اما محسنا فلعله ان يزداد خيرا واما مسيئا فلعله ان يستعتب ولمسلم لا يتمنى احدكم الموت من قبل ان يأتيه انه اذا مات احدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا وزاد الامام احمد في رواية له الا ونقطع عمله وله ايضا لا يتمنى الموت فان هول المطلع شديد وان من السعادة ان يطول عمر العبد ويرزقه الله الانابة ففي هذه الاحاديث التعليل النهي عن تمني الموت بان العبد اذا كان محسنا فحياته يرجى ان يزداد بها احسانا وان كان مسيئا فانه يرجى ان يستعتب يعني يزيل العتب عنه بالتوبة والانابة قبل الموت وقد جاءت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بفضيلة طول العمر في الطاعة ففي الترمذي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وسئل اي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله ان نفرا ثلاثة اسلموا فكانوا عند طلحة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا فخرج فيه احدهم فاستشهد ثم بعث بعثا اخر فخرج فيه فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه قال طلحة فرأيتهم في المنام في الجنة فرأيت الميت على فراشه امامهم ورأيت الذي استشهد اولهم آخرهم فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال وما انكرت من ذلك ليس احد افضل عند الله من مؤمن يعمر في الاسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله وفي رواية قال اليس قد مكث هذا بعده سنة قال بلى قال وصلاته وكذا سجدة في السنة قالوا بلى قال فلما بينهما ابعد ما بين السماء والارض وقيل لبعض السلف طاب الموت فقال يا اخي لا تفعل لساعة تنعش فيها مستغفرا الله خير لك من موت الدهر وقيل لشيخ كبير منهم احب الموت فقال لا قد ذهب الشباب وشره وجاء الكبر وخيره فاذا قمت قلت بسم الله واذا قعدت قلت الحمد لله فانا احب ان يبقى لي هذا وقيل ليشيخ اخر ما يبقى منك مما تحب له الحياة قال البكاء على الذنوب ولهذا كثير من السلف يبكي عند موته تاسفا على انقطاع اعماله الصالحة وكان يزيد الرقاشي يقول عند موته يا يزيد من يصلي لك بعدك ومن يصوم ومن يتوب الذنوب السالفة ولهذا تخير الموتى على انقطاع اعمالهم الصالحة ففي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما احد يموت الا ندم ان كان محسنا ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ان لا يكون استعتب وروي بعض السلف في المنام فسئل عن حاله فقال قد

مكتبة الألوكة
www.alukah.net

على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعلمون ولا تعلمون والله لتبيحة او تبيحان او ركعة
او ركعتان في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها وصلى بعضهم الى جانب قبر ركعتين
خفيفتين لم يرهما ثم غلبته عينه فرأى صاحب القبر الذي هو بقربه يقول له صليت
صليت ركعتين ولم تر هما قال نعم قال لا والله لي مثل ركعتيك احب الي من الدنيا
بحذافيرها واما الرواية التي في المسند لا يتمنين احدكم الموت الا موثق بعمله فيدل
على ان من له عمل صالح يثق به فانه لا يتمنى الموت وهم اقسام منهم من يحمله حسن الظن
بالله على حب لقائه اعماله عنده من كثرة الطاعات اوما عنده من محبة الله عز وجل فيحسن ظنه
به كما قال بعض السلف لقد سئمت الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله
وحبا للقائه فقيل له افعلى ثقة انت من عملك قال لا بحبي اياه وحسن ظني به افتراه
يعذبني وانا احبه وكان بعضهم ينشد في هذا المعنى

∴ ∴ ∴ ∴ ∴

∴ وزادي قليل ما اراه مبلغي ∴ الزاد ابكي ام لطول مسافتي ∴

∴ اتحرق بالنار يا غاية المنى ∴ فأين رجائي فيك ام اين مخافتي ∴

ومنهم من يتمنى الموت شوقا الى الله عز وجل وسنذكر اخبارهم في الكلام على آخر الحديث ان شاء الله
وتمني الموت لم يثق بعمله احوال تارة يتمنى الموت لضر نزل به وهذا منهي عنه وصاحبه كالمستخير
من الرضا بالنار لانه لا يدري لعله اذا بقي بعد الموت على ما هو اعظم واشد مما هو فيه فان
وثق بعمله فقد تمناه بعض السلف وتارة يتمناه خشية فتنة في الدين فهذا جائز عند
اكثر العلماء وقد تمناه عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها فانه قال اللهم قد كبرت سني ورق عظمي
وانتشرت رعيتي فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط فقتل في ذلك الشهر وتمنته
زينب بنت جحش لما جاءها عطاء عمر فاستكثرته فقالت اللهم لا يدركني عطاء العام
بعدها فماتت قبله ان يدركها عطاء ثاني العام وسأل عمر به عبد العزيز من ظن له با
جابة الدعاء ان يدعو له بالموت لما ثقلت عليه الرعية وعجز عن القيام بحقوقهم
وطلبه كثير من السلف الى بعض الولايات فدعوا لانفسهم بالموت فماتوا واشتهر
بعضهم واطلع على بعض احواله مع الله فدعا لنفسه بالموت فمات وفي الحديث
اذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون وفي المسند
عن محمود بن لبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اشتد يكرههما ابن آدم الموت
والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال اقل للحساب
وقال مسعود ما من بر ولا فاجر الا والموت خير له ان كان برا فما عند الله
خير للابرار وان كان فاجرا فما يعلى له ليزداد اثما وتارة يتمناه من غير
ضر ولا فتنة فان من وثق بعمله حبا لله وشوقا الى لقائه
جاز وسنذكر فيما بعد ان شاء الله تعالى وكذلك تمنيه عند ظهور اسباب

الشهادة

الشهادة اعتناما بما اكتنفه عظم القتال في سبيل الله او الطاعون وان كان احسانا
للظن به ففيه اختلاف بين السلف وقد ورد تعليل النهي عن تمني الموت بان هو المطلع
شديد فتمنيه من نوع من وقوع البلاء قبل نزوله ولا ينبغي تمنيه في ذلك كما قال لا تتمنوا
لقاء العدو ولكن اسئلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا وسمع به عمر رجلا يتمنى
الموت فقال لا تتمن الموت فانك ميت ولكن سل الله العافية فان الميت يكشف له عن هول
عظيم هو هول المطلع وبرى عالما آخر لا عهد له به فلا ينبغي للانسان ان يستعجل ذلك
فقد قال عمر عند موته لو ان لي ما في الارض لافتديت به من هول المطلع وجزع الحسن
بن علي عند موته فقال اني اريد ان اشرف على عالم لم اشرف عليه قط وكان الحسن البصري
يقول عند موته نفسية ضعيفة وامر هول عظيم وانا لله وانا اليه راجعون وجزع
حبيب بن محمد عند موته وجعل يقول اني اريد ان اسافر سفرا ما سافرت قط
اني اريد ان اسلك طريقا ما سلكت قط اريد ان ازور سيدي ومولاي وما رأيته
قط اريد ان اشرف على اهوال ما شاهدت مثلها قط وايضا فالموت نقمة اشد مما يلقاه الا
دمي ولا يعلم الناس في الدنيا حقيقة شدته وقال بعض السلف لو ان ميتا نشر فاخبر
اهل الدنيا بحقيقة الموت ما انتفعوا بعيش ولا استلذوا بنوم وانما كان الموت
خيرا للعاصي لانه كلما طال عمره زادت ذنوبه فرادعقابه وهذا كما قال ابن مسعود ان
كان مسيئا فان اسه يقول انما يملي لهم ليزدادوا اثما الاية وكان بعض السلف يقول
قد سئمنا من الحياة لكثرة ما نقترف من الذنوب مع كثرة اعمالنا الصالحة فكيف
يقول من عمره كله ضايع صغر اللذات ان اثمرت الى كبر الحسرات ما يعلى بصري
زادني قليلا قد تدانى سفري عمري ضايع فاندبوا لي عمري وكان كثير من الصالحين
يتمنى الموت فلما نزل به كرهه لشدته منهم ابو الدرداء وسفيان الثوري فما الظن بغير
هما وكان بعض الصالحين يتمنى الموت فرأى في منامه قايلا يقول له اتتمنى الموت قال قد
كان ذاك فقطب في وجهه ثم قال لو رأيت شدة الموت وكربه حتى تخالط عقلك معظم
بطارق نومك ليالي حياتك ولذهل عقلك حتى تمشي في الناس ولا بالها فكان اذا ذكر هذا
في منامه بكى وقال طوبى لمن نقص عيشه فكان طول عمره في زيادة في عمله وقد ذكرنا
كذلك قال ابراهيم بن ادهم ان للموت كاس لا يقوى على تجرعها الا خائف وجل طايع ولاي
العتاهية الا للموت كاس اي كاس وانت لكاسه لابد حاسي الا كم والمشارب

الألوكة
www.alukah.net

تذكر بالممات وانت تاني فينبغي للمؤمن ان يكون طول عمره زيادة في عمله وفي صحيح مسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اجعل الحياة زيادة لي في كل خير وقال بعضهم من لا خير له
في الموت لا خير له في الحياة وقد رأى بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له من استوى يوماه
فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون ومن لم يتعهد الزيادة في عمله فهو في نقصان
ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال ميمون بن مهران لا خير في الحياة الا لتائب او رجل
يعمل في الدرجات يعني العاصي يحو توبته ما سلف من السيآت والعامل في الدرجات تعلو
درجاته بما يعمل من الحسنات فهذا يزيد حسناته والاول يمحو اساءته فما عدا هذين الرجلين
فلا خير لهما في الحياة ولهذا قال بقية عمر المؤمن لا قيمة له يتوب فيه من السيآت ويستدرك
فيه ما فات رفع الى بعض العارفين رقعة في منامه وذا فيها مكتوب ان كنت لا ترتاب
انك ميت ولست بعد الموت ما انت تعمل فعمرك ما يغني وانت مفرط واسمك في الموتى
معد محصل وراك اخر في منامه كان قايلا ينشد ياخذ الكاس ان توسد لينا وسدت
بعد الموت صم الجندل فاعمل لنفسك في حياتك صالحا فلتندمن غدا اذا لم تعمل قوله
صلى الله عليه وسلم اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا و
القصد في الفقر والغنى هذه الثلاث منجيات التي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث
منجيات وثلاث مهلكات فذكر هذه الخصال الثلاث شح مطاع وهوى متبع واعجاب
كل ذي رأي برأيه وروي ان سليمان صلى الله عليه وسلم قال اوتينا مما اوتي الناس ومما لم يؤتوا
وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا فلم نجد شيأ افضل من هذه الثلاث خصال وقال نافع
بن سليمان قال عيسى بن مريم ثلاث من كن فيه بلغ ما بلغت تقوى الله في السر والعلانية
والعدل في الغضب والرضا والقصد في الغنا والفقر فاما خشية الله في الغيب والشها
دة فالمعنى بهما ان العبد يخشى الله سرا وعلانية وظاهرا وباطنا فان اكثر الناس يرى انه
يخشى الله في العلانية وفي الشهادة ولكنه الشان خشية الله في الغيب اذا غاب عن اعين
الناس وقد مدح الله من يخافه بالغيب قال تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة
مشفقون وقال من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب وقد فسر الغيب في هذه الآيات بالدنيا
لان اهلها في غيب عما وعدوا به في الآخرة واما في هذا الحديث فلا يتاتى ذلك كما ترى لقا
بلته بالشهادة كان بعض السلف يقول لاخوانه زهدنا الله واياكم في الحرام زهادة من
قدر عليه في الخلوة فعلم ان الله يراه فتركه ومن هذا قول بعضهم ليس الخايف من بكى
فعصر عينه انما الخايف من ترك ما اشتهى من الحرام اذا قدر عليه ومن هنا عظم ثواب
من اطاع الله سرا بينه وبينه ومن ترك المحرمات التي يقدر عليها سرا فاما الاول فمثل

قوله تعالى

قوله تعالى في جنوبهم عن المضاجع الى قوله قرة اعين قال بعض السلف اخفوا لله العمل فاخفى
لهم الجزاء وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله رجل ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه
وفي الحديث اذا اصلح العبد في العلانية فاحسن وصلى في السر فاحسن قال الله هذا عبدي حقا
وفي حديث اخر من احسن صلاته حيث يراه الناس واساء حين يراه احد فتلك استهانة
يستهين العبد بها واما الثالث فمثل قوله صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله
في ظله ورجل دعته امراة ذات حسن وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين ومثل هذا الحديث
الذي جاء فيمن ادى دينا خفيا انه يجزى في اي الحوائج شاء والموجب لخشية الله في السر والعلانية
امور منها قوة الايمان بوعده ووعيده على المعاصي ومنها النظر في شدة بطشه وانتقامه
وسطوته وقهره وذلك يوجب للعبد ترك التعرض لمخالفته كما قال الحسن يا ابن آدم هل لك
طاقة بمحاربة الله فان من عصاه فقد حاربه وقال بعضهم عجبت من ضعيف يعصي قويا
ومنها قوة المراقبة له والعلم بانه شاهد رقيب على القلوب وعلى عباده واعمالهم وانه مع عباده حيث
كانوا كما دل القرآن على ذلك في مواضع كقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله وما تكون في شان
وما تتلو منه من قرآن الاية وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الاية وقوله يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وكما في الحديث الذي خرجه الطبراني افضل الا
يمان ان يعلم العبد ان الله معه حيث كان فيوجب ذلك الحياء منه في السر والعلانية قال
بعضهم خف الله على قدر قدرته عليك واستح منه على قدر قربه منك وقال بعضهم لمن
استرعاه اتق الله ان يكون اهون الناظرين اليك وفي هذا المعنى يقول بعضهم
يا من على الذنب اما تستحي والله في الخلوة ثانيكا غرك من ربك امهاله وستره طول
مساويكا وفي حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل اتى قوما فسا
لهم بالله ولم يسالهم لقرابة كانت بينه وبينهم فتخلف رجل فاعطاه سرا لا يعلم بعطيته
الا الله والذي اعطاه وقوم ساروا بليلة حتى كان النوم احب اليهم مما يعدل به فوضعوا رؤسهم فقام رجل يتملقني ويتلو اياتي ورجل كان في سرية فلقي العدو
فهزموا فاقبل بصدره حتى يقتل او يفتح له فهؤلاء الثلاثة قد اجتمع لهم معاملة
الله سرا بينهم وبينه حيث غفل الناس فهم فهو تعالى يحب من يعامله سرا بينه
وبينه حيث لا يعلمه حينئذ احد ولهذا فضل قيام وسط الليل على ما
اوقات الليل والمحبوب يحبون ذلك ايضا علامتهم بالطلاء على

لهم فهم يكتفون بذلك لانهم عرفوه فاكتفوا به دون خلقه وعاملوه فيما بينه وبينهم معاملة
الشاهد غير الغائب وهذا مقام الاحسان قال بعض العارفين من عرف الله اكتفى به
عن خلقه وكان بعض المخلصين يقول لا عتد عاظهر من عمل يطلع على بعض احوال
بعضهم فدعى لنفسه بالموت وقال انما كانت تطيب الحياة اذا كانت المعاملة بيني و
بين الله سر اقيل لبعضهم الا تستوحش وحدك قال كيف استوحش وهو يقول
انا جليس من ذكرني انستني خلوتي بك عن كل انيسي وتفردت فعاينتك فخلا الغيب جليسي
واما كلمة الحق في الغضب والرضا فعزيز جدا وقد مدح الله من يقول الحق ويفعل الحق
واذا غضبوا لم يفرطوا لان الغضب يحمل صاحبه على ان يقول غير الحق ويفعل غير
العدل فمن كان لا يقول غير الحق في الغضب والرضا دل ذلك على قوة ايمانه وان الله يملك
نفسه فهذا هو الشديد حقا وفي الطبراني من حديث انس مرفوعا ثلاث من اخلاق
الايمان من اذا غضب لا يدخله غضبه في باطله ومن اذا رضي لا يخرجه رضاه من حق
ومن اذا قدر لم يتعاط ما ليس له وهذا هو الشديد حقا كما قال صلى الله عليه وسلم ليس
الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب خرجاه ولمسلم ما تعدون
الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند
الغضب وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب
خرجه البخاري وفي المسند ان رجلا قال يا رسول الله ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب
قال مورق العجلي ما قلت شيئا في الغضب ندمت عليه في الرضا قال عطاء ما ابكى العلماء بكا
اخر العمر الا من غضبة يغضبها احدهم فتهدم عمل خمسين سنة او ستين سنة ورب
غضبة قد اقحمت صاحبها نقما ما استقاله كان الشعبي ينشد ليست الاحلام
في حال الرضى انما الاحلام في حال الغضب وكان بن عوف اذا اشتد غضبه على احد
قال بارك الله فيك ولم يزد قال الفضيل انا منذ خمسين سنة اطلب صديقا اذا غضب
لا يكذب بل ما اجده فان من لا يملك نفسه عند الغضب اذا غضب يقول فيمن
غضب عليه ما ليس فيه من العظائم وهو يعلم انه كاذب وربما علم الناس بذلك
وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن
الخلق في كلمة قال ترك الغضب واما القصد في الفقر والغنى فهو عزيز
ايضا وهو حال الرسول صلى الله عليه وسلم كان مقتصدا في حال فقره وغناه

والقصد

والقصد هو التوسط في الانفاق فان كان فقيرا لم يعتر حق فاته انفاد الرزق
فيتحمل ما لا طاقة له به كما ادب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الاية وان كان غنيا لم
يحمله على السرف والطغيان بل يكون مقتصدا ايضا قال تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وان كان المؤمن في حال غناه يزيد على
نفقته في حال فقره كما قال بعض السلف ان المؤمن اخرق عنه اسراد ياحسنا
اذا وسع عليه وسع على نفسه لقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر
عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لكنه يكون في حال غناه مقتصدا غير مسرف
كما يفعل اهل الغنى الذين يخرجهم الغنى الى الطغيان كما قال تعالى كلا ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى كان علي رضي الله عنه يعاتب على اقتصاده في لباسه في
خلافته فيقول هو ابعد من الكبر واجدر ان يقتدي به المسلم وعوتب عمر بن عبد العزيز
في خلافته على تضييقه على نفسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وافضل العفو
عند القدرة يعني افضل ما اقتصد الانسان في عيشه وهو واجد قادر وهذه حال النبي
صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين لم يغيروا سعة الدنيا والملك ولم يتنعموا في الزينة
وقد روي عن سليمان عليه السلام انه كان يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف وسئل
الحسن عن رجل اتاه الله مالا فهو يحج منه ويتصدق افله ان يتنعم فيه منه قال لا
لو كانت له الدنيا ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وفاقته ان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اخذ عنهم من التابعين ما اتاهم الله من
رزق اخذوا منه الكفاف وقد سموا ذلك ليوم فقرهم وفاقتهم وقال بعض
ولده اياك ان تكون من الذين يجعلون ما انعم الله به عليهم في بطونهم وعاظهورهم
اشارة الى ان المال لا ينفق كله في شهوات النفوس وان كانت مباحة بل يجعل
صاحبه منه نصيبا لاداره الباقية فانه لا يبقى له منه غير ذلك وفي الجملة فالاقتصاد
في كل الامور حسن حتى في العبادة ولهذا ينهى عن التشديد في العبادة ويؤمر
بالاقتصاد فيها وقال صلى الله عليه وسلم عليكم هديا قاصدا فان الله لا

الألوكة
www.alukah.net

تملوا وفي مسند البزار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احسن القصد في الغنى
وما احسن القصد في الفقر وما احسنه القصد في العبادة قوله صلى الله عليه وسلم
واسئلك نعيما لا ينفد النعيم الذي لا ينفد هو نعيم الآخرة كما قال تعالى ما عندكم ينفد
وما عند الله باق وقال ان هذا لرزقنا ما له من نفاد وقال اكلها دائم وظلها وفي
الدعاء الى صلى الله عليه وسلم واسئلك الدرجات العلى والنعيم المقيم وسمع النبي صلى الله عليه
وسلم رجلا يقول اسئلك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
في جنة الخلد فقال سل تعط ولما سمع عثمان بن مظعون لبيد ينشد الا كل شيء ما
خلا الله باطل قال صدقت قال لبيد وكل نعيم لا محالة زائل فقال كذبت نعيم
الجنة لا ينفد فنعيم الجنة مقيم كما قال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه الآية واما نعيم
الدنيا فهو نافد كما ان الدنيا كلها نافدة فلو نعم الانسان في الدنيا ما عسى ان ينعم
فان ذلك ينفد فكأنه حين ينزل به الموت وسكرته لم يذق نعيما من نعيم الدنيا قط
كما قال تعالى افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
وقال بعض السلف اذا جاء الموت لم يغن عن الانسان ما كان فيه من النعيم واللذة ثم
تلى هذه الآية وكان الرشيد قد بنى قصرا فلما فرغ من بنوده وفرشه واستدعى بانواع
الاطعمة والاشربة وجلس فيه مع ندمائه ثم دعى ابا العتاهية ثم امره ان يصف
ما هم فيه من النعيم والعيش فقال ابو العتاهية عش ما بدا لك سالما في ظل شاهق
القصور يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور فاذا النفوس تقعقعت
في ضيق حشرجة الصدور فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور فبكى الرشيد واشتد
بكاؤه فقال الوزير لابي العتاهية دعاك امير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال دعه
فانه رأنا في عمى فكره ان يزيدنا عمى قال مالك بن دينار رأيت في البحرين قصرا مشيدا
وعليا بابه مكتوب بطلبت العيش لاسعد ناعما وعشت من المعايش في نعم
فلم البث ورب الناس طال سلبن من الاقارب والحميم فقلت ما هذا القصر
قالوا هذا لنعم اهل البحرين مات فاوصى ان يدفن في قصره وان يكتب على بابه
هذا الكلام قال مالك فعجبت من معرفته فهلا يستقبل الموت بتوبة ثم بكى مالك
اذا نعم انعم الناس خمسة كان في الدنيا خمسة في العذاب قيل له هل مر بك
نعيم قط فتقول الا بارك وفي الحقيقة ان النعيم الذي لا ينفد هو طاعته

وذكره

وذكره ومحبته والانس به والشوق الى لقائه فان هذا في الدنيا نعيم لا هله قال مالك بن
دينار في بعض الكتب يقول الله تعالى يا ابن آدم الصدق تنعموا بذكري فانه لكم في الدنيا نعيم
وفي الآخرة جزاء وقال ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله عز وجل وقال ابراهيم بن ادهم لو يعلم الملوك
وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف قال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من
اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وانه ليمر على القلب اوقات
يضحك فيها ضاحكا كان بعض العارفين يقول انه ليمر بي اوقات اقول ان كان اهل الجنة في مثل
هذا انهم لفي عيش طيب اهل المحبة قوم شانهم عجب يغدو هم حزن بهتر طرب
العيش عيشهم والملك ملكهم ما لناس الا هم بانوا واقتروا فهذا نعيم في الدنيا
فاذا انقلبوا الى البرزخ فهم في نعيم ازيد من ذلك كما قال بعض السلف انعم الناس
اجسادا في التراب امنت العذاب وانتظرت الثواب وقال عمر بن عبد العزيز
ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وامن من عذاب الله عز وجل واذا بعثوا للجزا
فلهم حينئذ النعيم الاعظم في جنات النعيم فينادي مناد ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا
ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا قوله صلى الله عليه وسلم وقرة عين لا تنقطع
قرة العين من جملة النعيم فمنه ما هو منقطع ومنه ما لا ينقطع فمن قرت عينه
بالدنيا فقرة عينه منقطعة وايضا فسرورها لا يدوم لان لذاتها مشوبة بالجوائح
والنقص وكيف تقر عين المؤمن في الدنيا وهو يعلم سرعة انقضائها وغدرها
فتهاله سكرات الموت وما يلقاه في البرزخ من الوحشة والوحدة والضيق
ثم ما يخشاه يوم القيمة من العقاب قال بعض السلف ما ترك الموت
للمؤمن من قرة عين في اهل ولا مال ولا ولد وقال مطرف اذكر الموت
قد افسد على اهل النعيم نعيمهم فالتمسوا نعيما لا موت فيه وقال بعض
السلف عجبا لمن يوقن بالموت كيف تقر بالدنيا عينه ام كيف يطيب فيها
عيشه وينظر بعضهم الى داره حسنة فبكى وقال والله لولا الموت لكنت
بكر سرور ولو لا ما نصل اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا
وهو حتى ارتفع صوته راى بعض السلف قائلا يقول له وكيف تنام العين

ولم تدر في اي المحلين تنزل فلا تقر عين المؤمن في الدنيا الا بالله عز وجل وذكره
ومحبته والانس به ومن قرت عينه بالله فقد حصلت له قرة العين التي لا
تنقطع في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة وقرت به عيون المؤمنين كما قال
بعضهم من قرت عينه بالله قرت به كل عين وكان حبيب العجلي يخلو في ليلة
ثم يقول من لم تقر عينه بك فلا قرت ومن لم يأنس بك فلا انس وروي عنه انه
كان يقول لا قرت عين من لم تقر عينه بك ولا فرح من لم يفرح بك وعزتك لئن
تعلم اني احبك وقال حبيب ليزيد الرقاشي بأبي شيء تقر اعين العابدين في الدنيا
وبأي شيء تقر اعينهم في الآخرة قال ما اعلم شيئا اقر لعيون العابدين في الدنيا من
التهجد في ظلمة الليل واما الذي تقر به عيونهم في الآخرة فما اعلم شيئا من نعيم الجنان
وسرورها اذ عند العابدين ولا اقر لعيونهم من النظر الى وجه الكبير يا العظيم
اذا ارتفعت تلك الحجب وتجلى لهم الكريم فصاح حبيب عند ذلك صيحة خر
مغشيا عليه كان كهشيم به حسن يقول في جوف الليل اتراك معذبي وانت
قرة عيني يا حبيب قلباه كان بعض العابدين يصلي فنام في سجوده فرأى
في منامه كانه وقف بين يدي الله عز وجل وهو يقول للملائكة انظروا الى عبدي
في طاعتي وروحه عندي فاستيقظ فقال انت قرة عيني في نومي وقرة
عيني في يقظتي كان يحيى بن معاذ الرازي يقول قرة عيني لا بد منك
وان اوحش بيني وبينك الزلل قرة عيني انا الغريق فحذ كف غريق عليك
يتكل وكان بعضهم يقول انت قرة عين المطيعين وانت منعت عليهم
بالطاعة وكيف لا تكون قرة عين العاصين وانت منعت عليهم بالتوبة
فمن قرت عينه بمناجاة الله في ظلمة الليل سرا اقر الله عينه عند مجالسة يطلع
عليه بشر كما قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله جزاء بما كانوا يعملون
وفي الاثر عن فضيل بن عياض يقول الله كذب من ادعى محبتي فاذا جنه
الليل نام عني اليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه فاذا جن الليل جعلت
ابصارهم في قلوبهم وكلموني على المشاهدة وخاطبوني على حضور

اجابني عنا قوله صلى الله عليه وسلم واسئلك الرضى بعد القضاء الرضا بالقضى
مقام عظيم من حصل له رضي الله عنه كما رضي عنهم ورضوا عنه وفي الحديث من رضي
فله الرضا ومن سخط فعليه السخط قال بعضهم لم ير الغيمة اعظم من الراضين بقضاء
الله عز وجل وقد قال بعضهم من وهب له الرضى فقد بلغ افضل الدرجات وقال
بعضهم في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال الرضى والقناعة قال عبد الواحد بن زيد
الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين قالت ام الدرداء رضي
الله عنها الراضين بقضاء الله ما قضا الله لهم رضوا به لهم في الجنة منازل يغبطهم
بها الشهداء وانما قال الرضى بعد القضا لان الرضا قبل القضا عزم على الرضا فاذا
وقع فقد تنفسخ العزائم كما قال بعضهم

وليس لي فيما سواك حظا ... فكيف ما شئت فاختبرني
فابتلي بعسر البول فلم يصبر وجعل يطوف على المكاتب ويقول للصبيان ادعوا
لعلكم الكذاب وكذا قول من قال لو ادخلني النار كنت راضيا هو ايضا عزم
على الرضا ولا يدري هل يثبت او ينفسخ فلا ينبغي للعبد ان يتعرض للبلا
ولكن يسئل الله المعافية وان يرزقه الرضى بالبلا ان قدر له البلا كان عمر
ابا عبد العزيز يقول ما تركتني هذه الدعوات وليس لي سرور في غير مواقع
القضا والقدر اللهم ارضني بقضائك وبارك لي في قدرتك حتى لا احب
تعجيل ما اخرت ولا تاخير ما عجلت قال بعضهم الراضي لا يتمنى غير منزلته التي هو
عليها لانه قد رضي بها وقد يستغرق الحب في الرضا عند حبيبه حتى لا يحس
بالم البلا لملاحظة عظمة المبتلي وجماله وحكمته ورحمته وانه غير متهم في قضائه
وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال ولا تتهم الله فيما قضى كان بعض
اهل البلا يقول لو قطعني ارباربا ... ما ازددت له الا حبا كان بعض العارفين
يطوف بالبيت فهجمت العرامطة على الناس فقتلوهم بالسيوف وهو يطوف
فاخذته السيوف ولم يقطع طوافه حتى سقط فتمثل

ترا المجبين صرعى في ديارهم ... كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

قتل رجل من الصالحين ابنان في الجهاد فجا الناس يعزونه بهما فبكى فقال ما ابكي
على قتلهما ولكن ابكي كيف رضاهما عن الله حين اخذتهما السيوف
ان كان سكان الغضا رضوا بقتلي فرضا ... والله لا كنت لما يهوى الحبيب بمغضا
صرت لهم عبدا وما للعبد يعترضا ... من المريض لا يرى الا الطبيب الممرضا
قوله صلى الله عليه وسلم وبرد العيش بعد الموت فان العيش قبل الموت منغص
ولو لم يكن له منغص سوى الموت كما قال بعضهم ان عيشا يكون اخره الموت لحقيق
التنغيص وكيف وذلك له منغصات كثيرة من الهموم والغموم والاحزان والاسقام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والهرم ومفارقة الاحباب واخر الدنيا كلها الموت قال بعض السلف كيف يلذ العيش من يعلم انه
يموت وبعضهم كيف قرت لاهل العلم اعينهم ∴ واستلذوا بلذيذ النوم اذ هجعوا ∴ ∴
∴ ∴ والموت ينذرهم جهرا علانية ∴ لو كان للقوم اسماع لقد سمعوا ∴ ∴
∴ ∴ وليس يدرون من يجلو وما يتعوا ∴ والنار حاضرة لابد مورودهم ∴
وحينئذ فلا عيش يطيب الا بعد الموت وهو عيش من امن من عذاب الله ووصل الى
ثوابه فكذلك سائر برد العيش بعده وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق يقول
اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة وكان يزيد الرقاشي يقول
امن اهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش ولمنوا من الاستقام فهنيئا بجوار الله طول
المقام وعن وهب قال اوحى الله الى عيسى عليه السلام ما حزين عني عن صاحبه يزول
وما حزين لذاذة لا تدوم ∴ تنقضي الدنيا وتفنى ∴ والغنى فيها هنا ∴ ليس في الدنيا نعيم
ولا عيش مهنا ∴ لبعضهم انما الدنيا وان سرت قليل من قليل ∴ ثم ترميك من المأمن في
الخطب الجليل ∴ انما العيش جوار الله في ظل ظليل ∴ حيث لا تسمع ما يؤذيك من قال وقيل ∴
قوله صلى الله عليه وسلم واسئلك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير
ضراء مضرة ولا فتنة مضلة هذان الامران هما سعادة الدنيا والآخرة واعظم لذاتها
واعلى ما يحصل للمؤمن فيها فاه علا ما في الآخرة النظر الى وجه الله عز وجل وهو اعظم
من الجنة وكل ما فيها وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى منادٍ
ان لكم عند الله وعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون الم يبيض وجوهنا الم تثقل موازيننا
الم تدخلنا الجنة وتجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب
اليهم من النظر اليه وفي رواية ولا اقر لاعينهم من النظر اليه وهو الزيادة ثم تلى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وفي مسند البزار من حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يكشف
الحجب فيتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لو قضي عليهم ان يحترقوا فوامن نوره لاحترقوا
مما غشيهم من نوره حتى يعودوا الى صورهم التي كانوا عليها قال الحسن ان الله يتجلى لاهل
الجنة فاذا رآه اهل الجنة نسوا نعيم الجنة وقال ابو ليلى اذا تجلى لهم ربهم فلا يكون ما اعطوه
عند ذلك بشيء ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد نظرهم الى الله عز وجل وقال الحسن
لو يعلم العابدون انهم لا يرون ربهم في الجنة لماتوا وفي رواية لذابت انفسهم وكان ابو سليمان
يقول اي شيء ادرك اهل المعرفة حاروا دلهم الا ما سار موسى عليه السلام قال ذا والنون
ما طابت الدنيا الا بذكره ولا طابت الجنة الا برؤيته وقال بعضهم لولا ان الله احتجب عن اهل الجنة
لاستغاث اهل الجنة من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار وكان بعض العارفين
يقول ليت ربي جعل ثوابي من عمله نظرة اليه ثم يقول اكرم تراه وكان علي ابن الموفق يقول
اللهم ان كنت عبدتك خوفا من نارك فعذبني بها وكنت تعلم اني عبدتك شوقا الى جنتك
فاحرمنيها وان كنت تعلم اني عبدتك حبا وشوقا الى وجهك فاجنيه واصنع بي ما شئت
العارفون في شغل عن الجنة فكيف يلتفتون الى الدنيا وانشد بعض العارفين في هذا المعنى

يا جيب القلب مالي سواكا ∴ ارحم اليوم مذنبا قد اتاكا ∴ انت سؤلي ومنيتي وسروري ∴
∴ قد ابى القلب ان يحب سواكا ∴ يا مرادي وسيدي واعتمادي ∴ طال شوقي حتى يكون لقاكا ∴
∴ ليس لي من الجنان نعيم ∴ غير اني اريدها لاراكا ∴ واما الشوق الى لقاء الله في الدنيا فهو
اعظم لذة تحصل للعارف في الدنيا فمن استرفح الدنيا بالله واشتاق الى لقائه فقد فاز باعظم
لذة يمكن البشر الوصول اليها في هذه الدار كان ابو الدرداء يقول احب الموت اشتياقا الى ربي عز وجل
قال ابو عقبة الخولاني كان اخوفكم لقاء الله احبهم اليه الموت وكان بعضهم يقول اذا ذكرت العدو
على الله كنت اشد اشتياقا الى الموت من الظمآن الشديد ظمأه في اليوم الحار الشديد حره الى الماء البارد
الشديد كانت رابعة تقول قد طالت الايام والليالي شوقا الى الله عز وجل وبقي فتح يوشخ في
ثلاثين سنة لم يرفع راسه الى السماء ثم رفع راسه الى السماء وقال طال شوقي اليك فعجل قدومي
اليك حذيفة شوقا الى لقاء الله فانه يوما يتجلى لاوليائه ولاهل الشوق على طبقتين احدهما من
يغضي به الشوق الى القلق والارق ويقل صبرهم عن طلب اللقاء كان ابو عبيدة الخواص يمشي في الاسواق
ويضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وعن ابراهيم بن ادهم انه قال اللهم
ان كنت اعطيت احدا من المحبين لك ما اسكنت به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فلقد
اجري القلم قال فرفعت فرايته تعالى في النوم فوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم احما
استحييت مني ان اعطيك ما يسكن قلبك قبل لقائي وهل يسكن قلب المشتاق
الى غير حبيبه ام يستريح المحب الى غير من اشتاق اليه فقلت يا رب تهت فلم ادر ما اقول
من الشوق فلو لا دموعه حرق ما بين العذيب والنقا واستعرت انفاسه وانما تلتهب
الانفاس من هر الجوى ∴ حرموا على واد الغضا فقتلوا من الجوى على جمر الغضا ∴

الطبقة الثانية من اعطاه الله بعد بلوغه الدرجة الشوق اليه الانس به والطمانينة
اليه فسكن قلوبهم بما يكشف لها من انوار قربه ومشاهدة ووجده ولذاذة الانس
به في الذكر والطاعة وصار عيشهم مع الله في نعيم سرمدي وطاب لهم السير اليه في الدنيا با
لطاعات وهذه كانت حال بني محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وهي حال كثير من العارفين
كابي سليمان واحمد ابي الحواري وذي النون والجنيد وغيرهم نسل الشبلي بما
تستريح قلوب المحبين والمشتاقين فقال الى سرورهم عن احبهم واشتاق اليه
فهؤلاء كلما اقلقهم الشوق سكنهم الانس والقرب والمشاهدة كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا ذكر له تركه الطعام والشراب واجتهاده في الطاعات والصيام يقول اني
اظل عند ربي يطعمني ويسقيني ساكن في القلب بعد لست انساه فاذكره ∴ غائب عن
سمعي وعن بصري ∴ منسوبا القلب تذكره ∴ ارواح المحبين جمرة تحت فحمة الليل
فاذا هب عليها نسيم السحر التهبت بالاشواق فلولا ان يرش عليها من ماء العيون
ويعدل ببرودة الذكر لسرى الحريق الى اجسادها وكان داود الطائي ينادي
بالليل هكذا عطل علي الهموم وخالف بيني وبين السهاد وشوق الى النظر
او تؤمن للذات وحال بيني وبين الشهوات فانا في سجنك ايها الكريم معطلون
ثم يترنم بالآية فيخيل لمن سمعه ان جميع لذات الدنيا ونعيمها جمع في تر

الشبكة الألوكة www.alukah.net

احيائي اما جفن عيني فمقروح ... واما فؤادي فهو بالشوق مجروح ... يذكرني مر النسيم عهودكم
فازداد شوقا كلما هبت الريح ... اراني اذا ما اظلم الليل اشرقت ... بقلبي من نار الغرام مصابيح
اصح اذا كنت خاليا ... الا ان تذكار الاحبة تشبيح ... يشيح فؤادي ان يسكر سره
سواكم وبعض الشيخ في الراح ممدوح ... وان لاح برق بالغدير تقطع الفؤاد ... على وادي البان والشيح

قوله صلى الله عليه وسلم اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اما زينة الايمان فالايمان قول وعمل ونية فزينة الايمان تشتمل زينة القلب بتحقيق الايمان وزينة اللسان بالقول بالايمان وزينة الجوارح باعمال الايمان وقد سمى الله التقوى لباسا واخبر انها خير من لباس الابدان قال تقا ولباس التقوى ذلك خير قال وهب عنه اوحى الله الى عيسى يا عيسى تزين لي بالذب واحب المساكين وعنه ان الله لما بعث موسى وهارون عليهما السلام قال انما يتزين اوليائي لي بالذكر والخشوع والخوف والتقوى يثبت في قلوبهم فنظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون وشعارهم الذين يظهرون وضميرهم الذي يستعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي يؤملون ومجدهم الذي به يفتخرون وسيماهم التي بها يعرفون وقال الحسن في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال قال يحب ان يتجمل له بالطاعة فالباس المؤمن التقوى وريشه الحيا فالزينة النافعة الدائمة الباقية هي زينة الايمان والتقوى اذا استمل القلب والجوارح فان اظهر التزين بذلك ظاهرا وقلبه فارغ عاد ذلك عليه شين كما قال بعضهم من تزين للناس بما يعلم الله منه خلافه شانه الله عز وجل وقال بعضهم لم اظهر التزين بالعلم من غير عمل به تزين بما شعثم فلن يزيدكم الله الا انتقاعا وقال بعضهم لا تقدم الساعة حتى يتزين الرجل بالعلم كما تتزين الرجل بثوبه يعني يظهره للناس تزينا به عندهم من غير ان يتزين قلبه وجوارحه بالعمل به وكان الفضيل يقول تزينت لهم بالصوف فلم تزههم ير فعوك بكم راسا تزينت لهم بالقرآن فلم تزل تزين لهم شيئا بعد شيء كل ذلك لحب الدنيا ومراده توبيخ من يتزين ظاهره بالاعمال وباطنه خال منها ومن زين الله جوارحه بالاعمال وقلبه بحقيقة الايمان زينه الله في الدنيا والاخرة كما في الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فمن علم الله من قلبه الصدق زينه عند عباده وبالعكس وما احسن قول ابي العتاهية اذا المرء لبس لباس التقى ... تقلب عريانا وان كان كاسيا

قوله صلى الله عليه وسلم واجعلنا هداة مهتدين بعني لغيرنا ونهتدي في انفسنا وهذه افضل الدرجات ان يكون العبد هاديا مهتديا قال تقا وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا وقال صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بكم رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وقال من دعى الى هدى كان له مثل اجر من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيا ويدخل فيمن دعى الى هدا من دعى الى التوحيد من الشرك والى السنة من البدعة والى العلم من الجهل والى الطاعة من المعصية والى اليقظة من الغفلة فمن استجيب له الى شيء من هذه الدعوات فله مثل اجر من اتبعه افضل الصدقة تعليم جاهل وايقاظ غافل ما وصل الى المشتغل في نوم الغفلة بافضل من ضربه بسياط الموعظة سياط المواعظ كالسياط يقع على نياط القلوب فمن المتة فصاح فلا جناح ومن زاد بها المه فمات فدمه مباح قضى في القتلى قصاص دعاهم ولكن دعاء العاشقين جبار وعظ عبد الواحد بن زيد قوما فصاح به رجل يا ابا عبيدة كم كف فقد كشفت الموعظة قناع قلبي فتاداى عبد الواحد في وعظه فمات الرجل صاح رجل في حلقة الشبلي فمات فاستعد اهله على الشبلي فقال نفس رنت فحنت فماذنب الشبلي فكر في افعالهم صاح الاخر في الحب بغير افتضاح فقد جئتكم ستا فخذ وعظ بها فما قال الا تقتلوني قد رميت السلاح وعظ ابو عامر العاعظ بالمدينة رجلا وولده فقتلت لهما مرحبا بكما واهلا فما زالت حذرا من وعظي لكما فما صنع الله بكما فقال الشيخ انت شريكي في الذي نلته ستا هلا ذكرت ابا عامر

وكلما ايقظ ذا غفلة فنصف ما يعطاه للآمر
من رد عبدا عن ذنبا كان كمن ترقب الفاطر
واجتمعا في دار عدن في جوار سيد غافر

اخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه اجمعين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اختصار الادلى في شرح حديث اختصام الملأ الاعلى تاليف الشيخ الامام العلامة
الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خاتم النبيين وامام المتقين وعلى آله وصحبه
والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين خرج الامام احمد من حديث معاذ بن جبل
رضي الله عنه قال احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة في صلاة الصبح حتى
كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة وصلى وجوز في صلاته فلما
سلم قال كما انتم على صفاكم ثم اقبل علينا فقال اني ساحدثكم ما حبسني عنكم الغداة
اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فاذا انا
بربي عز وجل في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري
يا رب فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري يا رب قال يا محمد فيم يختصم
الملأ الاعلى قلت لا ادري يا رب فرايته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله
في صدري وتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت في الكفارات
والدرجات قال وما الكفارات قلت نقل الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد
بعد الصلاة واسباغ الوضوء عند المكاره قال وما الدرجات قلت اطعام الطعام
ولين الكلام والصلوة والناس نيام قال سل قلت اللهم اني اسئلك
فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا اردت
فتنة في قوم فتوفني غير مفتون واسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل
يقربني الى حبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها وتعلموها
وخرجه الترمذي وقال صحيح قال وسالت محمد بن اسمعيل يعني البخاري عن
هذا فقال حديث حسن صحيح قلت وفي اسناده اختلاف وله طرق متعددة
وفي بعضها زيادة ونقصان وقد ذكرت عامة اسانيده والفاظه المختلفة
في كتاب شرح الترمذي وفي بعض الفاظه عند الامام احمد والترمذي ايضا
المشي على الاقدام الى الجماعات بدل الجمعات وفيه ايضا عندهما بعد ذكر الكفارات

بعض هم

زيادة

زيادة ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وفيه
ايضا عندهما والدرجات افشاء السلام وطيب الكلام وفي بعض رواياته فعلمت ما
في السموات والارض فتلى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من
الموقنين وفي رواية اخرى فتجلى لي ما بين السماء والارض وفي اخرى ما بين المشرق
والمغرب وفي بعضها زيادة في الدعاء وهي وتثبت على وفي بعضها اسباغ الوضوء
في السبرات وفي بعضها فقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسئلك فعل الخيرات وتذكر
والمقصود هنا شرح الحديث وما يستنبط منه من المعارف والاحكام وغير ذلك
ففي الحديث دلالة على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من عادته تاخير صلاة الصبح الى قرب
طلوع الشمس وانما كان عادته التغليس بها وكان احيانا يسفر بها عند انتشار الضوء
على وجه الارض واما تاخيرها الى قريب طلوع الشمس فلم يكن من عادته ولهذا اعتذر
لهم عنه في الحديث وقد قيل ان تاخيرها الى هذا الاسفار الفاحش لا يجوز لغير عذر وان
وقت ضرورة كتاخير العصر الى بعد اصفرار الشمس وهو قول القاضي من اصحابنا في بعض
كتبه وقد اومى اليه الامام احمد وقال هذه صلاة مغرط انما الاسفار ان ينتشر الضوء
على الارض وفي الحديث دلالة على ان من اخر الصلاة الى اخر الوقت لعذر او غيره وحاضر
في فرض الوقت في الصلاة ان طولها انه يخففها حتى يدركها كلها في الوقت والمراد قول
ابي بكر الصديق لما طول في صلاة الفجر وقرا البقرة قيل له كاد ان تطلع الشمس فقال
لو طلعت لم تجدنا غافلين فان ابا بكر لم يتعمد التاخير الى طلوع الشمس ولا ان يعمد
ها ويطيلها حتى تطلع الشمس لانه دخل فيها بغلس واطال القراءة ورعا كان قد
استغرق في تلاوته فلو طلعت الشمس حينئذ لم يضره لانه لم يكن متعمدا للذلك وهذا
يدل على انه كان يرى صحة الصلاة لمن طلعت عليه الشمس وهو في صلاته كما امر النبي
صلى الله عليه وسلم من طلعت عليه الشمس وقد صلى ركعة من الفجر ان يضيف اليها
اخرى وفي حديث معاذ دليل على ان من راى رؤيا تسره فانه يقصها على اصحابه
واخوانه المحبين له والاسيما ان تضمنت رؤياه بشارة لهم وتعليما لما ينفعهم
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الفجر يقول لاصحابه من راى منكم الليلة رؤيا وفيه
ايضا ان من استثقل نومه في تهجده بالليل حتى راى رؤيا تسره فان ذلك لا يشرع
له وفي مراسيل الحسن اذا نام العبد وهو ساجد باهى الله به الملائكة يقول

الألوكة
www.alukah.net

عكس النظر الى عبد به جسده في طاعتي وروحه عندي وفيه دلالة على شرف النبي
صلى الله عليه وسلم وتفضيله بتعليمه ما في السماء والارض وتجلي ذلك وما يختصم فيه
الملائكة في السماء وغير ذلك كما راى ابراهيم عليه السلام ملكوت السموات والارض
وقد ورد في حديث مرفوعا وموقوفا ان الله صلى الله عليه وسلم اعطي علم كل شيء خلا
مفاتيح الغيب الخمس التي اختص الله عز وجل بعلمها وهي المذكورة في قوله تعالى
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله خبير وبما
وصف النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بما وصفه به فكل ما وصفه به فهو حق و
صدق يجب الايمان به والتصديق به كما وصف الله به نفسه عز وجل مع نفي
التمثيل عنه ومن اشكل عليه فهم شيء من ذلك واشتبه عليه فليقل كما مدح الله
تعالى الراسخين في العلم واخبر عنهم انهم يقولون عند المتشابه امنا به كل من عند ربنا
وكما قال صلى الله عليه وسلم في القرآن وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه خرجه الامام احمد و
النسائي وغيرهما ولا يتكلف ما لا علم له به فانه يخشى عليه من ذلك الهلكة فقد
سمع ابن عباس يوما من يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الاحاديث
فانتفض رجل استنكارا لذلك فقال ابن عباس ما فرق هؤلاء يجدون رقة
عند محكمه ويهلكون عند متشابهه خرجه عبد الرزاق في كتابه عن معمر عن ابن
طاوس عن ابيه عن ابن عباس فكلما سمع المؤمنون شيئا من هذا الكلام
قالوا هذا ما اخبرنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما
وفيه دلالة على ان الملأ الاعلى هم الملائكة او المقربون منهم يختصمون فيما بينهم
ويتراجعون القول في الاعمال التي تقرب بني آدم الى الله عز وجل وتكفر بها
عنهم خطاياهم وقد اخبر الله عنهم بانهم يستغفرون للذين امنوا ويدعون
لهم وفي الحديث الصحيح ان الله اذا احب عبدا نادى يا جبريل اني احب
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وقال ابو هريرة

اذا مات بنو آدم قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم فالملائكة
يسئلون عن اعمال بني آدم ولهم اعتناء بذلك واهتمام به ينبغي الكلام على المقصود
من الحديث وهو ذكر الكفارات والدرجات ونعقد لكل منهما
فصلا مفردا الفصل الاول في ذكر الكفارات وهو اسباغ الوضوء في الكره
ونقل الاقدام الى الجمعات او الجماعات او الجلوس في المساجد بعد الصلاة و
سميت هذه كفارات لانها تكفر الخطايا والسيئات ولذلك في بعض الروايا
ث من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه
وهذه الخصال المذكورة الاغلب عليها تكفير السيئات وتحصل بها ايضا رفع
الدرجات كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم
على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ
الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة
فذلكم الرباط وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة
فهذه ثلاثة اسباب تكفر بها الذنوب احدها الوضوء وقد دل القرآن على تكفير
الذنوب في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق الى قوله ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم فقوله تعالى
ليطهركم يشمل طهارة ظاهر البدن بالماء وطهارة اباطنه من الذنوب
والخطايا واتمام النعمة انما يحصل بمغفرة الذنوب وتكفيرها كما قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته
عليك وهذا المعنى استنبطه محمد بن كعب القرظي ويشهد له الحديث
الذي خرجه الترمذي وغيره من معاذ ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو اللهم
تمام النعمة فقال له ادري ما تمام النعمة قال دعوة دعوت بها الرجو بها الخير
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تمام النعمة النجاة من النار ودخول الجنة فلانتم
نعمة الله على عبده الا بتكفير سيئاته وقد تكاثرت النصوص عن النبي صلى الله
عليه وسلم بتكفير الخطايا بالوضوء كما في صحيح مسلم عن عثمان انه توضأ

رسول الله صلى الله عليه وسلم توضى مثل وضوئي هذا ثم قال من صلى ركعتين وضئ هكذا غفر له
ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه الى المسجد نافلة وفيه ايضا عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من توضى فاحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى
تخرج من تحت اظفاره وفيه ايضا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توضى
العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر اليها
بعينه مع الماء او مع اخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة
بطشتها يداه مع الماء او مع اخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة
مشتها رجلاه مع الماء او مع اخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب وفيه ايضا
عن عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من رجل يقرب وضوءه فيتمضمض
ويستنشق فينثر الا خرجت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ثم اذا غسل وجهه
كما امره الله الا خرجت خطايا وجهه من اطراف لحيته مع الماء ثم يغسل يديه
الى المرفقين الا خرجت خطايا يديه من انامله مع الماء ثم مسح راسه الا خرجت
خطايا راسه من اطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه الى الكعبين الا خرجت
خطايا رجليه من انامله مع الماء فان هو قام فصلى فحمد الله واثنى عليه ومجده
بالذي هو اهل له وفرغ قلبه لله انصرف من خطيئته كيوم ولدته امه وفي
الموطا ومسند الامام احمد وسنن النسائي وابن ماجه عن الصنابحي عن ابي
صلى الله عليه وسلم اذا توضى العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا
استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه
حتى تخرج من تحت اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه
حتى تخرج من تحت اظفار يديه فاذا مسح راسه خرجت الخطايا من راسه حتى
تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج
من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له وفي
المسند عن ابي امامة عن ابي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يتوضى فيغسل يديه
ثلاثا ويتمضمض فاه ويتوضى كما امر الا حط الله عنه بوضوئه ما لفظ به بفمه وما مس
بيده وما مشى عليه حتى ان الخطايا تتحادر من اطراف ثم اذا هو مشى الى
المسجد فرجل تكتب حسنة واخرى تمحى سيئة وفيه ايضا عن ابي صلى

الله عليه وسلم قال ايما رجل قام الى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل كفيه نزلت خطيئة
من كفيه مع اول قطرة فاذا تمضمض واستنشق واستنثر نزلت خطيئة من
لسانه وشفتيه مع اول قطرة فاذا غسل وجهه نزلت خطيئة من سمعه وبصره
مع اول قطرة فاذا غسل يديه الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو له
وكان من كل خطيئة كهيئة يوم ولدته امه فاذا قام الى الصلاة قال رفع الله درجته وان
قعد قعد سالما وفي المعنى احاديث كثيرة وفيما ذكرناه كفاية وقد وردت النصوص
ايضا بحصول الثواب على الوضوء وهذا زيادة على تكفير السيئات به ففي صحيح مسلم عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من توضى فاحسن الوضوء ثم قال
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل
من ايتها شاء وفيه ايضا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبلغ الحلية من
المؤمن حيث يبلغ الوضوء وفيه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انتم الغر المحجلون من
اسباغ الوضوء وخرجه البخاري ولفظه ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من
اثار الوضوء واعلم ان حديث معاذ في المنام انما فيه ذكر اسباغ الوضوء على الكره
وكذا في حديث ابي هريرة المبدوء بذكره في هذا الفصل فهما هنا امران اصلهما
اسباغ الوضوء وهو اتمامه والاتيان بمواضعه الشرعية كالثوب اسابغ المغطي للبدن
كله وفي مسند البزار عن عثمان مرفوعا من توضى فاسبغ الوضوء غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر واسناده لا باس به وخرجه ابن ابي عاصم من وجه اخر عن عثمان
وخرج النسائي وابن ماجه من حديث ابي مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اسباغ الوضوء شطر الايمان وخرجه مسلم ولفظه الطهور شطر الايمان وثانيهما
ان يكون اسباغ على الكريهات والمراد ان يكون على حالة تكره النفس فيها الوضوء
وقد فسر في حال نزول المصائب فان النفس حينئذ تطلب الجزع فالاشتغال
عنه بالصبر والبداءة بالوضوء والصلاة من علامات الايمان كما قال
عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين والوضوء يطفئ
الصلاة وقد تطفئ به حرارة القلب الناشئة عن المصائب كما يطفئ به غضب
باطفاء غضبه بالوضوء وقد فسر الكره بهما بالبرد الشديد

الألوكة
www.alukah.net

في بعض روايات حديث معاذ اسباغ الوضوء على السبرات والسبرة شدة البرد
والاريب ان اسباغ الوضوء في شدة البرد يشق على النفس ويتألم به وكلما يؤلم النفس
ويشق عليها فانه كفارة للذنوب وان لم يكن للانسان فيه صنع والتسبب كالمرض
ونحوه كما دلت عليه النصوص الكثيرة واما ان كان هو ناشئ من فعله هو طاعة لله
عز وجل فانه يكتب لصاحبه اجر وترفع به درجاته كالالم الحاصل للمجاهد في
سبيل الله تعالى قال الله عز وجل ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في
سبيل الله الى قوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين وكذلك الجوع والعطش الذي
يحصل للصائم فكل التالم باسباغ الوضوء في البرد فيجب الصبر على الالم بذلك
فان حصل الرضى فذلك مقام العارفين المحبين وينشأ الرضى بذلك عن ملاحظة
امور احدها تذكر فضل الوضوء وانه حطة للخطايا ورفعة للدرجات وحصول النور
والتحجيل به وبلوغ الحلية في الجنة الى حيث يبلغ وهذا كالكسير ظفر بعض الصحابة
لما مات السلف من عشرة عشرتهما فضحكت فقالت انساني مملون ثوابه مرارة
وجعه وقال بعض العارفين ما لم يعرف ثواب الاعمال ثقلت عليه في جميع
الاحوال الثاني تذكر ما اعده الله تعالى لمن عصاه من العذاب بالبرد والزمهرير
في الآخرة فان شدة برد الدنيا يذكر برد زمهرير جهنم وفي الحديث الصحيح ان الله تعالى
تجود من البرد من زمهرير جهنم فملاحظة هذا الالم الموعود به يهون الالم الحاصل
بالم برد الماء كما روي عن زيد اليامي انه قام ليلة للتهجد وكان البرد شديدا
فلما ادخل يده في الاناء وجد شدة برده فذكر زمهرير جهنم فلم يشعر ببرد الماء
ونفيت يده في الماء حتى اصبح فقالت له جاريته هالك لم تصل الليلة كما كنت تصلي
فقال اني لما وجدت شدة برد الماء ذكرت زمهرير جهنم فما شعرت به حتى
اصبحت فلا تخبري بهذا احدا ما دمت حيا الثالث ملاحظة جلال
من امر بالوضوء وعظمة عظمته وكبريائه وذكر التعظيم للقيام بين يديه
ومناجاته في الصلاة فتذكر ما يهون من كلم الم نيال العبد في طلب مرضاة
من برد الماء وغيره وربما يشعر بالم بالكلية كما قال بعض العارفين

بالمعرفة هانت على العاملين العباد وقال سعيد بن عامر بلغني ان ابراهيم الخليل
عليه السلام كان اذا توضى تجمع تعظما تقعقع وكان على بن الحسين اذا توضى اصفر
فيقال له ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول انتدرون بين يدي من اريد ان
اقوم وكان منصور بن زاذان اذا فرغ من وضوئه يبكي حتى يرتفع صوته فقيل له ما
شانك فقال واي شيء اعظم من شاني اني اريد ان اقوم بين يدي من لا تاخذه سنة
ولا نوم فلعله يرضى عني وكان عطاء السلمي اذا فرغ من وضوئه ارتعد وانتفض وبكا
بكاء شديدا فقيل له في ذلك فقال اني اريد ان اقوم الى امر عظيم اني اريد ان اقوم بين
يدي الله عز وجل الرابع استحضار الاطلاع الله عز وجل على عبده في حال العمل له وتحمل
المشاق لاجله فمن تيقن ان البلاء يعين محبه هان عليه الالم كما اشار الله تعالى الى
ذلك بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقوله لموسى وهرون
عليهما السلام لا تخافا انني معكما اسمع وارى وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله
كانك تراه فان لم تكنه تراه فانه يراك قال ابو سليمان قرأت في بعض الكتب
يقول الله عز وجل يعيني ما تحمل المتحملون من اجلي وكابدوا المكابدون في طلب
مرضاتي فكيف لهم وقد صاروا في جواري وتبحبحوا في رياض خلدي فهنالك
فليبشر المصفون اعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب اترون
اني اضيع لهم عملا فكيف وانا اجود على المولين عني فكيف بالمقبلين الي فاما
اسباغ الوضوء في البرد لا سيما في الليل يطلع الله عليه ويرضى به ويباهي به
الملائكة فاستحضار ذلك يهون الم برد الماء وفي المسند وصحيح ابن حبان عن
عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رجلان من امتي يقوم احدهما الليل
يعالج نفسه الى الطهور وعليه عقد فيتوضى فاذا وضى يديه انحلت عقده واذا
وضى وجهه انحلت عقده واذا مسح راسه انحلت عقده واذا وضى رجليه انحلت
عقده فيقول الرب عز وجل للذي وراء الحجاب انظروا الى عبدي هذا يعالج نفسه ما سئلني
عبدي هذا فهو له وذكر بقية الحديث وروى عطية عن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يضحك الى ثلاثة نفر رجل قام من جوف الليل فاحسن الطهور ثم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحديث كان بعض السلف له ورد من الليل فقرئ منه فهتف به هاتف بعيد اما
يعمل العاملون في الليل لما يصنع خدامه اذا فاتوا وحشتهم على الخدمة اكلمه
الخاس الاستغراق في محبته من امر بمحبته من الطاعات وانه يرضى بها ويحبها كما
قال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فمن امتلا قلبه من محبة الله بها احب
ما يحبه الله وان شق على النفس وثالمت كما يقال المحبة تهون الاشكال وقال بعض
السلف في مرضه اعبه الي اصبه اليه كما قيل فما الجرح اذا رضاكم الم وقيل ايضا
في حكم هون ما قد الق ما يسعد بالنعيم من لا يشقى ومن حرم من يحب فلذ
بسعاينة في خوضه قال بعضهم القلب المحب لله يحب النصب له وقال عبد
الصمد اوجدهم في غوايه عذابه اسباغ الوضوء على المكاره من علامات المحبين
كما في كتاب الزهد للامام احمد عن عطاء بن يسار قال قال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب
من اهلك الذين هم اهلك الذين تظلهم في ظل عرشك قال هم البريا بذنبهم الطاهرة
قلوبهم الذين يتحابون بجلالي الذين اذا ذكرت ذكروني واذا ذكروا ذكرت بذكرهم
الذين يسبغون الوضوء في المكاره وينيبون الي ذكري كما ينيب النسور الى اوكارها
ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ويغضبون لمحارمي اذا استحلت
كما يغضب النمر اذا ضرب وقد يخرق الله العاده لبعض المحبين له فلا يجد البرد
الما كان بعض السلف قد دعي الله ان يمن عليه الطهور في الشتا فكان يؤتى بالماء
وله بخار وربما سلب بعضهم الاحساس بالم الحر والبرد مطلقا وكان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قد دعى له النبي صلى الله عليه وسلم ان يذهب الله عنه الحر والبرد فكان يلبس في
الصيف لباس الشتا وفي الشتا لباس الصيف وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه انه
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ورأى ابو سليمان الداراني في طريق الحج في شدة
برد الشتا شيخا عليه اخلاق رثه وهو يرتجف عرقا فسأله عن حاله فقال انما الحر والبرد
مخلوقان لله عز وجل فان امرهما ان يغشياني اصابا ني وان امرهما ان يتركاني
تركاني وقال انا في هذه البرية منذ ثلاثين سنة يلبسني في البرد فيحا من محبته
ويلبسني في الصيف بردا من محبته وقيل لآخر وعليه خرقتان في برد شديد
لو استترت في موضع يكنك من البرد فانشد وبحسب ظني اني في ضمانه

وهل احد في كنه بحر البرد السبب الثاني من مكفرات الذنوب المشي على الاقدام الى
الجماعات هو الجمعات ولا سيما ان توضى الرجل في بيته ثم خرج الى المسجد لا يريد بخروجه والجمعات
الا الصلاة فيه كما في الصحيحين عن ابي هريرة عن ابي صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل في الجماعة
تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفا وذلك انه اذا توضى فاحسن
الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه
بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا
يزال احدكم في صلاة ما انتظر الصلاة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن ابي صلى الله عليه وسلم
قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت
خطوتاه احداهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن
ابي صلى الله عليه وسلم قال كل خطوة يمشيها الرجل الى الصلاة صدقة وفي المسند وصحيح
حبان عن عقبة بن عامر عن ابي صلى الله عليه وسلم قال اذا تطهر الرجل ثم اتى المسجد يبتغي
الصلاة كتب كاتباه بكل خطوة يخطوها الى المسجد عشر حسنات وفيها ايضا عن عبد الله
بن عمر وعن ابي صلى الله عليه وسلم قال من راح الى مسجد جماعة فخطوتاه خطوة تمحو سيئة
وخطوة تكتب حسنة ذاهبا وراجعا وفي سنن ابي داود عن ابي امامة عن ابي صلى الله عليه
وسلم قال من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة فاجره كاجر الحاج المحرم وفيها ايضا
عن رجل من الانصار عن ابي صلى الله عليه وسلم قال من توضى فاحسن الوضوء ثم خرج الى
الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى الا كتب الله له بها حسنة ولم يضع قدمه اليسرى الا حط
الله عنه بها خطيئة فليقرب او ليبعد فان اتى المسجد فصلى في جماعة غفر له والا
احاديث في هذا المعنى كثيرة جدا واما المشي الى الجمعات فله مزيد فضل لا سيما وان
كان بعد الاغتسال كما في السنن عن اوس بن اوس عن ابي صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل
يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنى من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل
خطوة اجر سنة صيامها وقيامها وكل واحد من البعد المكان الذي يمشي منه الى المسجد
المشي منه افضل لكثرة الخطا وفي صحيح مسلم عن جابر قال قلت دارنا نائية عن
المسجد فاردنا ان نبيع بيوتنا وننقرب من المسجد فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان لكم بكل خطوة حسنة وفي صحيح البخاري عن انس عن ابي صلى الله عليه

قال يا بني سلمة الا تحتسبون اثاركم وفي الصحيحين عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم اليها ممشى فابعدهم ومع هذا فنفس الدار
القريبة من المسجد افضل من الدار البعيدة منه لكن المشي من الدار البعيدة افضل
في السنن من حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل الدار القريبة من المسجد على
الدار الشاسعة كفضل الغازي على القاعد واسناده منقطع والمشي الى المسجد
افضل من الركوب كما تقدم في حديث اوس في الجمعة وله شاهد في حديث معاذ
ذكر المشي على الاقدام وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج الى المسجد الا ماشيا حتى
العيد يخرج الى المصلى ماشيا فالمشي الى المسجد زيارة الله والزيارة على الاقدام
اقرب الى الخضوع والتذلل كما قيل لو جئتكم زائرا اسعى على بصري
ان حقا في الحق ان اتيت وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا او راح والنزل هو ما
يعد للزائر عند قدومه وفي الطبراني من حديث سلمان مرفوعا من توضأ في
بيته فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد فهو زائر الله تعالى وحق على المزور ان يكرم
الزائر وفي صحيح مسلم عن ابي بن كعب قال كان رجل لا اعلم رجلا ابعد من المسجد منه وكان
لا تخطيه صلاة في المسجد قال فقيل له او قلت له لو اشتريت حمارا ترتكبه في الظلماء
وفي الرمضاء فقال ما يسرني ان منزلي الى جنب المسجد اني اريد ان يكتب لي ممشاي
الى المسجد ورجوعي اذا رجعت الى اهلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع الله
لك ذلك كله وكلما شق المشي الى المسجد كان افضل ولهذا فضل المشي الى
صلاة العشاء وصلاة الصبح وعد بقيام الليل كله كما في صحيح مسلم عن عثمان
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى العشاء كمن قام نصف الليل ومن صلى الصبح
في جماعة فكأنما قام الليل وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا وانما ثقلت هاتان الصلاتان على المنافقين لان المنافق لا ينشط للصلاة الا اذا راه الناس كما قال تعالى واذا قاموا الى الصلاة

قاموا

كما قال تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون
الله الا قليلا والصلاة العشاء والصبح يثقلان في ظلمة الليل فلا ينشط
للمشي اليهما الا كل مخلص يكتفي برؤية الله تعالى له على عمله وثواب المشي
الى الصلاة في الظلم هو النور التام يوم القيمة كما في سنن ابي داود
والترمذي عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم بشر المشائين بالظلم الى المساجد
بالنور التام يوم القيمة وخرج ابن ماجه من حديث سهل بن سعد ورويا
من وجوه كثيرة ويحمل بعضها بزيادة يغفر للماشي ولا يغفر كما تواترت
ان المشي في الليلة الظلماء الى الصلاة موجبة يعني المغفرة وروينا عن
الحسن قال اهل التوحيد في النار لا يقيمون فتقول الخزنة بعضهم لبعض
ما بال هؤلاء كانوا يصلون في الظلم في المساجد لا يقيمون وهؤلاء
يقيمون فينادي بهم منادان هؤلاء كانوا يمشون في ظلم الليل الى المساجد
كما ان مواضع السجود من عصاة الموحدين في النار اكلتها النار فكذلك
الاقدام التي تمشي الى المساجد في الظلم لا تقيم في النار لان الله لا يسوي
بين من خدمه ومن لم يخدمه كما قيل ومن كان لله سخطه محسنا فليكن به اذا
رضي لما طنت الصلاة صلاة بين العبد وبين ربه ومناجات يظهر
فيها اثار محبته لعلوب العارفين وقربه شرع قبل الدخول فيها الطهارة
فانه لا يصلح للوقوف بين يدي الله تعالى وعند الخلوة بمناجاته الا طاهر فاما
المتلوث بالاوساخ الظاهرة والباطنة فلا يصلح للوقوف شرع الله للمصلي
غسل اعضاءه بالماء ورتب على ذلك الطهارة من الذنوب بتكفيرها حتى
يجتمع لمن يريد المناجات طهارة ظاهرة وباطنة ثم شرع المشي الى المساجد

الألوكة
www.alukah.net

وفيه ايضا تكفير الخطايا حتى تكمل طهارة الذنوب التي بقي منها شيء بعد الوضوء
عتى لا يقف العبد في مقام المناجاة الا بعد كمال طهارة ظاهرة وباطنة
من دون الاوساخ والذنوب ولهذا شرع له تجديد التوبة والاستغفار
عقيب كل وضوء لكي تكمل طهارة ذنوبه كما خرج النسائي من حديث ابي سعيد
مرفوعا وموقوفا من توضأ فاسبغ الوضوء ثم قال عند فراغه من الوضوء
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك
ختم عليهما بخاتم فوضعت تحت العرش فلم تكسر الى يوم القيمة ومتى اجتهد
العبد على تكميل طهارته ومشيه الى المسجد ولم يبق ذلك على تكفير ذنوبه
فان الصلاة يكمل بها التكفير كما في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل منه
كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء
قال فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا وان قوي الوضوء
وحده على تكفير الخطايا ومشيه الى المسجد فالمشي الى المسجد والصلاة بعده
زيادة حسنات وهذا هو المراد بقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عثمان
الصنابحي وكان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة وقد سبق ذكر الحديث واعلم
ان جمهور العلماء على ان هذه الاسباب كلها انما تكفر الصغائر دون الكبائر
وقد صرح بذلك عطاء وغيره من السلف في الوضوء وغيره وقال سلمان الفارسي
رضي الله عنه الوضوء يكفر الخراجات الصغار والمشي الى المسجد يكفر اكثر من ذلك
خرجه محمد بن نصر المروزي وبين ان الكبائر لا تكفر بذلك لما في الصحيحين عن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى
الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وفي
صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ مسلم يحضر
صلاة

صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها وسجودها الا كانت كفارة
لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وهذا الدهر كله يأتي دم الى كم تيسر لك اسباب
تكفير الخطايا العلك تطهر منها قبل الموت فتلقاه طاهرا لعلك تصلح لمجاورته في دار
السلام وهيهات هيهات ان يتمنى على حسب الذنوب فتجتاج الى تطهيرها في كير جهنم يا
فتى اما علمت انه لا يصلح للرب الا طاهر فان اردت قربه ومناجاته اليوم
فتطهر ظاهرك وباطنك لعلك تصلح لذلك واذا اردت قربها ومناجاتنا
غدا فتطهر قليل من حرصك تصلح لمجاورتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم والقلب السليم الذي فيه غير محبة الله ومحبة ما يحبه الله ان الله طيب
لا يقبل الا طيبا فمن اراد ان يصلح لمجاورة الله غدا والاكل عبد يصلح لمناجاة الله اليوم والخطا
كل الخطاء تحسن المناجات كما قيل الناس من الهوى على اصناف
هذا ناقض للعهد وهذا واف وهيهات من الكدر يعني الصافي ما يصلح
للحضرة قلب جافي السبب الثالث من مكفرات الذنوب الجلوس في المساجد
بعد الصلوات والمراد بهذا الجلوس انتظار صلاة اخرى كما في حديث ابي هريرة رضي الله عنه
وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فجعل الجلوس من الرباط
في سبيل الله وهذا فضل من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها فان الجلوس
للصلاة ليؤديها ثم يذهب بقصد مدة انتظار يخالف من صلى صلاة ثم
جلس ينتظر اخرى فان مدة تطول فان كان كلما صلى صلاة جلس ينتظر ما
بعدها فقد استغرق عمره بالطاعة وكان ذلك بمنزلة الرباط في سبيل الله
عز وجل وفي المسند وسنن ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال كنا صلينا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم المغرب فرجع من رجع وعقب من عقب فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسرعا قد عرفنا النعاس في حسر عن ركبتيه فقال ابشروا هذا ربكم قد فتح بابا من
ابواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول انظروا الى عبادي قد قضوا فريضة وهم
ينتظرون اخرى وفي المسند عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال منتظر الصلاة بعد الصلاة كفارس استلم فرسه فرسخ

على كثيره صلى عليه ملائكة الله عز وجل ما لم يحدث او يقوم وهو في الرباط الاكبر وهو خلق
قوله والجلوس في مساجد بعد الصلوة الجلوس للذكر والقرآن وسماع العلم وتعليمه وغير ذلك
لا سيما بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس فان الفضل قد ورد بفضل ذلك وهو
شبيه بمن جلس ينتظر صلاة اخرى لانه قد قضى ما عليه في الصلاة الاولى بمشيه الى المسجد
وجلس ينتظر طاعة اخرى وفي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما
اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة
ونزلت عليهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده واما الجالس
قبل الصلاة في المسجد لانتظار تلك الصلاة خاصة فهو في صلاة حتى يصليها
وفي الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما اخر صلاة العشاء الاخرة ثم خرج
فصلى بهم قال انه لم ينتظر احد غيركم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة وفيهما ايضا عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث اللهم اغفر له
اللهم ارحمه والعبد في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه لا يمنعه ان ينقلب الى اهله الا الصلاة
وفي رواية لمسلم ما لم يؤذ فيه او يحدث فيه وهذا يدل على ان المراد بالحدث حدث اللسان
ونحوه من الاذى وفسره ابو هريرة بحدث الفرج وقيل الله يسمع الحوشين ويرى
المسند عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغاعد يرعى الصلاة كالقانت العابد
وكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع الى بيته وفي رواية له فاذا صلى في المسجد
فصلى فيه كان كالقائم القانت حتى يرجع وفي هذا المعنى احاديث كثيرة وربما يحتج بها الجلوس في المسجد
لطاعة له فضل عظيم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال عبد في
المساجد الصلاة والذكر الا استشست الله به عز وجل كما يستشست اهل الغائب اذا قدم
عليهم غائبهم ولله المثل الاعلى وروى ابو الحسن عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من الف المسجد الف الله وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس الله ومن
النبي صلى الله عليه وسلم عن السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه رجل معلق قلبه في المساجد اذا خرج منها
حتى يعود اليها فان من اعظم منازل اهل الطاعات في الجنة ومن اعظم الذنوب ان فيه مجاهدة للنفس وكفا لها عن هواها
فانها لا تميل الى الا لتستمتع في الرضا بالكسب والجالسة الناس ومحادثتهم اول الشر
في الدور ومساكن الجيران ومواطن التجارة ونحو ذلك مما ولعت به النفوس من حبس
نفسه في المساجد على الطاعات فهو مرابط لها في سبيل الله محاربا لها وذلك من افضل انواع
الصبر والجهاد

وهذا

وهذا الجنس اعني ما يؤلم النفس ويخالف هواها فيه كفارة للذنوب وان كان
مما لا صفح فيه للعبد كالمرض ونحوه فكيف بما كان حاصلا عن فعل العبد واختياره
اذا اقصد به التقرب الى الله عز وجل فان هذا من انواع الجهاد في سبيل الله الذي
يمحقي تكفير الذنوب كلها ولهذا المعنى كان المشي الى المساجد كفارة للذنوب ايضا
وهو نوع من الجهاد ايضا كما خرجه الطبراني من حديث ابي امامة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الغدو والرواح الى المساجد من الجهاد في سبيل الله عز وجل وكان
زياد مولى ابن عباس احد العباد الصالحين وكان يلازم مسجد المدينة فمر به يوما
يعاتب نفسه ويقول لها اين تريدين لن تذهبي الا احد من هذا المسجد تديرين
ان تبصري دار فلانا ودار فلانا ما كانت المساجد في الارض بيوت الله اضافها
الى نفسه تشريفا لها تعلقت قلوب المحبين به عز وجل بما نسبها الى محبوبهم
وانعطفت الى ملازمتها لاظهار ذكره فيها في بيوت اذن الله ان ترفع
الى قوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار اين يذهب المحبون عن بيوت
مولاهم قلوب المحبين ببيوت محبوبهم متعلقة واقدام العابدين الى بيوت معبودهم
مترددة يا صاحب الغرز غز النجد والبان ودار قوم باكناف الحمى بانوا
واطيب الارض ما للنفس فيه هوى سم الخياط المحبوب ميدان

لا يذكر الرمل الا حن مقترب له ينبي الرمل او طار او وطان
تهفو الى البان من قلبي نوازعه وما البان بل من داره البان

الفصل الثاني في ذكر الوجه المذكورة في حديث معاذ وهي ثلاثة احدها اطعام
الطعام وقد جعله الله تعالى في كتابه من الاسباب الموجبة للجنة ونعيمها قال تعالى
يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا الى قوله شرا ولقاهم نضرة وسرورا وصف
فاكهتهم وطعامهم وشرابهم جزاء لاطعام الطعام وفي الترمذي عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مؤمن اطعم مؤمنا على جوع اطعمه
الله من ثمار الجنة ومن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم

الألوكة
www.alukah.net

وفي المسند والترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى
ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قالوا لمن يا رسول الله قال لمن اطعم الطعام
واطاب الكلام وصلى بالليل والناس نيام وفي حديث عبد الله بن سلام الذي خرجه
اهل السنن انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم اول قدومه المدينة يقول ايها الناس افشوا
السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا
الجنة بسلام وفي حديث عبادة عند البزار سئل اي الاعمال افضل
قال ايمان بالله وجهاد في سبيله وحج مبرور واهون من ذلك اطعام الطعام وليه
الكلام وخرجه الامام احمد وفي حديث هانئ بن يزيد ان رجلا قال يا رسول الله دلني على
عمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال تطعم الطعام وتفشي السلام وفي حديث
حذيفة رضي الله عنه عند النبي صلى الله عليه وسلم قال من خيم له باطعام مسكين دخل الجنة
وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله اي الاسلام
خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف وفي حديث
صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من اطعم الطعام فاطعام الطعام
يوجب دخول الجنة ويباعد من النار ويحمي منها كما قال تعالى فلا اقتحم العقبة الى قوله
ذا مترية وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وكان
ابو موسى الاشعري يقول والله اذكر واصاحب الرغيف ثم ذكر ان رجلا من بني
اسرائيل عبد الله سبعين سنة ثم ان الشيطان حسن في عينيه امرأة فاقام معها
سبعة ايام ثم خرج هاربا فاقام مع مساكين فتصدق عليهم برغيف
كان بعض اولئك المساكين يريده فاثره به ثم مات فوزن عبادته بالسبعة
الايام التي مع المرأة فرجحت الايام السبعة بعبادته ثم وزن الرغيف بالسبعة
الايام فرجح بها وبنا كول الطعام الطعام للجايع والمحبس ان خصوصا وارد
في الصحيحين عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطعموا
الجايع وعودوا المريض وفكوا العاني وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه ان

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك
وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما اهل عرصة
اصبح فيهم امرئ جايع فقد برئت منهم ذمة الله عز وجل وقال لا يشبع المؤمن
دون جاره وفي صحيح الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ليس المؤمن الذي
يشبع وجاره جايع وفي رواية ما آمن من بات شبعانا وجاره طاويا
وافضل انواع الطعام الايثار مع الحاجة كما وصف الله تعالى بذلك الانصار
فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقد صح ان سبب نزولها
ان رجلا منهم اضاف ضيفا من عند النبي صلى الله عليه وسلم ليضيفه فلم يجد عنده
الا قوت الصبية فاحتال هو وامرأته حتى نوما صبيانهما فقاما الى السراج كانه يصلح فاطفاه ثم جلس مع الضيف يريه انه يأكل معه ولم يأكل
فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عجب الله من صنيعكما الليلة ونزلت
هذه الآية وكان كثير من السلف يؤثر بطعامه وهو صايم ويصبح صايما منهم
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وداود الطايي وعبد العزيز بن سليمان ومالك بن دينار
واحمد بن حنبل وغيرهم وكان ابن عمر لا يفطر الا مع اليتامى والمساكين وربما علم
ان اهله قد ردوهم عنه فلم يفطر تلك الليلة ومنهم من كان لا يأكل الا مع ضيف له
قال ابو سوار العدوي كان رجالا من بني عدي يصلون في المسجد ما افطر واحد منهم
على طعام قط وحده ان وجد من يأكل معه اكل والا اخرج طعامه الى المسجد فاكل
مع الناس واكل الناس معه وكان منهم من يطعم اخوانه الطعام وهو صايم و
يجلس يخدمهم منهم الحسن وابن المبارك وكان ابن المبارك ربما يشتري الشيء
فلا يصنعه الا لضيف يريده فيأكل مع ضيفه وكان كثير منهم يفضل
طعام الاخوان على الصدقة على المساكين وروي هذا المرفوعا من حديث انس
باسناد ضعيف ولا سيما ان كان الاخوان لا يحبون مثل ذلك الطعام فبعضهم
يعمل الاطعمة الفاخرة ويطعمها اخوانه الفقراء ويقول انهم لا يحبون

وبعضهم يصنع له طعام ولا يأكل ويقول اني لا اشتهيه وانما صنعته لاكلكم
وبعضهم اتخذ حلاوة فاطعمها العتوه فقال له اهله ان هذا لا يدري ما يأكل
فقال لكن الله يدري واشتهى الربيع بن خثيم حلوى فلما صنعت له دعا بها
فقال لكن الله لا يدري واشتهى الربيع بن خثيم حلوى فلما صنعت له دعا بها
لفقراء فاكلوا فقال لاهله انعبتنا فلم تاكل فقال ومن اكله غيري وقال اخر منهم
وقد جرا له نحو من ذلك اذا اكلته كان في الحش واذا اطعمته كان عند الله مذكورا
ورويا عن علي انه قال لئن اجمع اناسا من اخواني على صاع من طعام احب الي من
ان ادخل سوقكم هذا فابتاع نسمة فاعتقها وعن ابي جعفر محمد بن علي قال
لئن ادعو عشرة من اصحابي فاطعمهم طعاما يشتهونه احب الي من ان
اعتق عشرة من ولد اسمعيل اصف الايثار لمن يبخل باداء الحقوق الواجبة
على الاعيان واطلب الشجاعة من الجبان والسخاء من البخيل والتشهد على رؤية الهلال من
هو من جملة الاعيان كم بين من قتل منهم فلما اتاهم من فضله يخلو به وبين من
قتل منهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة كم بيننا وبين القوم
كم بين اليقظة والنوم لا نعرف حتى نذكر ناني ذكرهم ليس الصحيح اذا مشى كالمقعد
فيما من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح هيهات هيهات ام حسب الذين
اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات نزلوا بمكة في
قبايل هاشم ونزلت بالبيداء بعد منزل الثنايا من الدرجات
لين الكلام وفي رواية افشاء السلام وهو داخل في لين الكلام قال الله تعالى وقولوا
للناس حسنا وقال تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وقال تعالى ادفع
بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقال تعالى ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة الى قوله ولي حميم وقال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن وقال تعالى ولا تجا
دلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقال الحسن لنبي صلى الله عليه وسلم
الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قالوا وما الحج المبرور يا رسول الله قال اطعام
الطعام ولين الكلام اخرجه الامام احمد وقد تقدم في ذكر اطعام الطعام

احاديث

احاديث اخر في طيب الكلام وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم والكلمة الطيبة
صدقة وفيه ايضا اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة واما افشاء
السلام فمن موجبات الجنة وفي صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شيء
اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وخرج ابو داود عن ابي امامة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله من بدأهم بالسلام وروى من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
مرفوعا وموقوفا اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه
ذكرهم بالسلام وان لم يردوا عليه ردا عليه ملائكة خير منهم واطيب وروى من حديث عمران
بن حصين رضي الله عنهما ان رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشرون
ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون خرجه
الترمذي وخرج ابو داود وزاد ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اربعون ثم قال هكذا تكون الفضايل وسبق حديث ان تقرا
السلام على من عرفت ومن لم تعرف وفي حديث ابن مسعود مرفوعا من اشراط الساعة
السلام بالمعرفة خرجه الامام احمد وتقدم جمع بين اطعام الطعام ولين الكلام ليكمل بذلك
الاحسان الى الخلق بالقول والفعل فلا يتم الاحسان باطعام الطعام الا بلين الكلام
وافشاء السلام فان اساءة القول تبطل الاحسان بالفعل من الاطعام وغيره كما قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وربما كان معاملة الناس
بالقول الحسن احب اليهم من الاحسان باعطاء المال كما قال لقمان لابنه يا بني
لتكن كلمتك طيبة ووجهك منبسطا تكن احب الى الناس ممن يعطيهم الذهب
والفضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يلين القول له يشهد له بالشريتغي بذلك
وقد كان لا يواجه احدا بما يكره في وجهه ولم يكن صلى الله عليه وسلم فحاشا

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان ينشد واغا البر شيء هين وجه طليق وكلام لين
وقد وصف الله عز وجل اهل الجنة بمعاملتهم الخلق بالاحسان بالمال واحتمال الاذى
فقال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فالانفاق في السراء والضراء يقتضي غاية الاحسان بالمال من الكثرة والقلة وكظم الغيظ والعفو عن الناس يقتضي عدم المقابلة على السيئة من قول وفعل وذلك يتضمن الانة القول واجتناب الفحش والاغلاظ في المقال ولو كان مما حاد وهذا غاية الاحسان ولهذا قال تعالى والله يحب المحسنين ومن هذا قول بعضهم وقد سئل عن حسن الخلق فقال بذل الندى وكف الاذى وهذا الوصف المذكور في القرآن اكمل من هذا لانه وصفهم ببذل الندى واحتمال الاذى وحسن الخلق يبلغ بالعبد درجات المجتهدين في العبادة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولهذا والله اعلم القائم الليل وروي بعض السلف في المنام فسئل عنه بعض اخوانه الصالحين فقال وابى ذاك رفع في الجنة بحسن خلقه ومما يندب الى الانة القول فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يكون برفق كما قال تعالى في حق الكفار وجادلهم بالتي هي احسن قال بعض السلف ما اغضبت احدا فقيل منك وكان اصحابه اذا رأوه على احد ما يكره يقولون لهم مهلا مهلا بارك الله فيكم وراى بعض التابعين رجلا واقعا مع امرأة فقال ان الله يراك كما يراني الله وراياك كما وفي الحث على الدعوة الى الله بالتي هي احسن فضة فيها حلوا فاخذ الحسن الحلوا فاكله على الغيظ فاكل منها فقال بعضهم من حظ هذا انه لم يشبع من سكوته وراى الفضيل رجلا يعبث في صلاته فزبره فقال له الرجل ما هذا ينبغي لمن يقوم بين يدي الله ان يكون هكذا فبكى الفضيل وقال له صدقت وقال شعيب بن حرب

ربما سمع سفيان الثوري يقوم يلعبون بالشطرنج فيقول ما يصنع هؤلاء
فيقال يا ابا عبد الله ينظرون في كتاب فيطأ على رأسه وبعضهم واضع يده بذلك ليعلم
انه قد نكر وقال سفيان الامر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كان فيه خصال ثلاث
رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عدل بما يأمر عدل بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى وقال الامام
احمد يحتاج الناس الى ثلاث رفق بالامر بالمعروف بلا غلظة الا رجلا معلنا بالفسق
فانه لا حرمة له وكان كثير من السلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الامر اخا
بينه وبين الله يأمره وينهاه وقال ابو الدرداء من وعظ اخاه سرا فقد زانه ومن
وعظه علانية فقد شانه وكذلك مقابلة الاذى بالانة القول كما قال
تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة وقال تعالى ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم
عقبى الدار قال بعض السلف هو الرجل يسبه الرجل فيقول ان كنت صادقا
فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك وقال رجل لسالم بن عبد الله وقد زحمته
راحلته فقال ما اراك الا رجل سوء فقال له سالم ما ارى الا بعدت وقالت امرأة لمالك بن
دينار يا مرائي قال من عرفت اسمي ما عرفه احد من اهل البصرة غيرك ومر بعضهم
على صبيان يلعبون بجوز فوقف على بعض الجوز بغير اختياره فكسر فقال
له الصبي يا شيخ النار فجلس الشيخ يبكي ويقول ما عرف في غيره ومر بعضهم مع
اصحابه في طريق فرموا عليهم رمادا فقال الشيخ لاصحابه من يستحق النار فصاحوا
عليه الرماد يعني فهو رابح وراى جنيد ابراهيم بن ادهم خارجا البلد فسأله
عن العمران فاشار له الى القبور فضرب رأسه ومضى فقيل له ابن ادهم فرجع
يعتذر اليه فقال له ابراهيم الراس الذي يحتاج الى اعتذارك تركته ببلخ
ومر به جندي اخر هو ينظر بستانا لقوم باجرة فسأله ان يناوله شيئا فلم
يفعل وقال ان اصحابه لم يأذنوا لي في ذلك فضرب رأسه فجعل ابراهيم يطأ
على رأسه ويقول اضرب رأسا طالما عصى الله تعالى اجلك قد تركت خوف الناس
للئامة والحاسد حتى ترضى التالث من الورع ترك الصلاة والصلاة بالليل من موجبات الجنة كما سبق ذكره في غير حديث

www.alukah.net

قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين
الى قوله والمحروم فوصفهم بالتيقظ في الليل والاستغفار بالاسحار وبالانفاق
من اموالهم كان بعض السلف نائما فاتاه آت في منامه فقال له قم فصل اما علمت
ان مقاسم الجنة مع اصحاب الليل هم خزانها وكذلك يوجب قيام الليل علو الدرجات
في الجنة قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن الليل فتهجد به نافلة لك الاية فجعل
جزاءه على التهجد بالقرآن بالليل ان يبعثه المقام المحمود وهو اعلى درجاته صلى الله عليه
وسلم قال عوف بن عبد الله ان الله يدخل الجنة اقواما فيعطيهم حتى ملوفوقهم ناس
في الدرجات العلى فلما نظروا اليهم عرفوهم فقالوا ربنا اخواننا كنا معهم فبما فضلتهم
علينا فيقول هيهات هيهات انهم كانوا يحيون حين تشبعون ويضحون
حين تروون ويقومون حين تنامون ويشخصون حين تحفظون ويوجبون
ايضا نعيم الجنة مالم يطلع عليه احد من العباد في الدنيا قال تعالى تتجافى جنوبهم عن
المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا الى قوله جزاء بما كانوا يعملون وفي الصحيح
ان صلى الله عليه وسلم اعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم الاية قال بعض
السلف اقعدوا بالعمل فما اعقلهم الجزاء فلو قد قدموا عليه لاحتقروا تلك الاعين عند
وما يجزى به المتهجدون كثرة الازواج من الحور العين في الجنة فالمتهجد قد ترك
لذة النوم بالليل ولذة التمتع بازواجه طلبا لما عند الله عز وجل فعوضه الله
خيرا مما تركه من الحور العين في الجنة ومن هنا قال بعضهم طول التهجد مهور
الحور العين في الجنة وكان بعض السلف يحيي الليل كله بالصلاة فعتب
عن ذلك فاتاه آت في منامه فقال يا فلان قد كنت تدأب في الخطبة فما الذي
قصر بك عن ذلك فقال وما ذاك قال كنت تقوم من الليل او ما علمت ان
المتهجد اذا قام الى التهجد قالت الملائكة قد قام الخاطب الى خطبته
ورأى بعضهم في منامه امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقال لها من انت قالت

حور

حور امة الله فقال لها زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي ومهري
مهرك قالت طول التهجد نام بعض المتهجدين ذات ليلة فرأى في منامه حورا تتشد
اتخطب مثلي وعيني تنام ونوم المحبين عناء حرام لانا خلقنا لكل امرئ كثير الصلاة
براه الصيام وكان لبعض السلف وردمن الليل فنام عنه ليلة فرأى في منامه جارية
كأن وجهها القمر ومعها رق فيه كتاب فقالت اتقرأ قال نعم فاعطته اياه ففتحه فاذا
فيه مكتوب انت من نومة عن حسن عيش مع الخيرات في غرف الجنان
بعيش مخلد لا موت فيه وتنعم في الجنان مع الحسان تيقظ من منامك ان خيرا
من النوم التهجد بالقرآن فاستيقظ قال فوالله ما ذكرتها الا ذهب عني النوم
وكان بعض الصالحين لورد فنام عنه فوقف عليه فتى في منامه فقال له بصوت محزون
تيقظ ساعات من الليل يا فتى لعلك تحضى في الجنان بحورها وتنعم في دار
يدوم نعيمها محمد فيها والجليل يزورها فقم فتهجد ساعة بعد ساعة عساك تحظى
تعضي ما بقي من مهورها وكان بعضهم قد اكثر التعبد ولكي شوقا الى الله ثماستين
سنة فرأى في منامه كانه على ضفة نهر يجري بالمسك حافتاه شجر لؤلؤ ونبت
من قضبان الذهب واذا بحور من بنات يقلن بصوت واحد سبحان المسبح بكل
لسان سبحانه سبحان الموحد بكل مكان سبحانه سبحان الدائم في كل الازمان سبحانه
فقال لهن ما تصنعن ها هنا فقلن ذرانا الله الناس ربح يجد لقوم على الاقدام
بالليل قوم ينادون رب العالمين الهم وتنسى هموم القوم والناس نوم
فقال نخ نخ لهؤلاء من هم لقد اقر الله اعينهم بكل خطلن او ما تقرهم قال الا
فقلن بلا هؤلاء المتهجدون من اصحاب القرآن والسهر وربما نام بعضهم في تهجد
فتوقظه الحور في منامه فيستيقظ باقاضها روي عن ابي سليمان الداراني
انه قال ذهب بي النوم ذات ليلة في صلاتي فاذا انا بحور العين تتبختن
وتقول يا ابا سليمان اترقد وانا ان لك في الخلد من خمسمائة سنة وفي
رواية منه انه نام ليلة في سجوده فاذا بهما قد ركضتني بين رجلها وقالت

سنة
الألوكة
www.alukah.net

اترقد عيناك والملك يقظان ينظر الى المتهجدين في تهجدهم بؤسا لعين آثرة
لذة النوم على مناجاة العزيز قم نعقد في الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضا فما هذا
الرقاد حبيبي وقرة عيني اترقد عيناك وانا الى لقائك في الخدور من كخمسمائة عام
فوثبت فزعا وقد عرق من توبيخها له قال وان حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي
وكان ابو سليمان يقول اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل
ما احببت البقاء في الدنيا وقال يزيد الرقاشي لحبيب العجمي ما اعلم شيأ في الدنيا
اقر لعيون العابدين من التهجد في ظلمة الليل وما اعلم شيأ مه نعيم الجنان وسرورها
عند العابدين ولا اقر لعيونهم من النظر الى ذي الكبرياء العظيم اذا رفعت
تلك الحجب وتجلى لهم الرب فصاح حبيب عند ذلك وخر مغشيا عليه وقال
السري رحمه الله رأيت الغواني ترد في ظلام الليل وقال ابو سليمان اذا جن الليل
وخلى كل حبيب بحبيبه افترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم
اشرف الجليل جل جلاله فنادى يا جبرئيل بعيني من تلذذ بكلامي والسرور
الى مناجاتي فنادهم يا جبرئيل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب احبابه
ام كيف يجمل بي ان اعذب قوما اذا جنهم الليل تملقوني فبي حلفت اذا قاموا
على الاكشفن لهم عن وجهي ينظرون الي وانظر اليهم وسئل الحسن البصري
لم كان المتهجدون احسن الناس وجوها قال لانهم خلوا بالرحمن عز وجل فالبسهم
نورا من نوره رأت امرأة من الصالحات في منامها كان حللا قد فرقت
على اهل مسجد محمد ابن جحاده فلما انتهى الذي يفرقها اليه دعى بسفط مختوم
فاخرج منه حلة صفرا قالت فلم يقم لها بصري فكساه اياها وقال هذه لك بطول
السهر قالت فوالله لقد كنت اراه يعني محمد بن جحاده بعد ذلك فاتخا
يلمها عليه يعني تلك الحلة وقال كرز بن وبرة بلغني ان كعبا قال ان الملائكة
ينظرون من السماء الى الذين يتهجدون بالليل كما تنظرون انتم الى نجوم السماء
يا نفس فاز الصالحون بالتقى وابصروا الحق وقلبي قد عمي يا حسنهم

والليل

والليل قد جنهم ونورهم يفوق نور الانجم ترنموا بالذكر في ليلهم فعيشهم قد طاب
بالترنم قلوبهم للذكر قد تفرغت دموعهم كلؤلؤ منتظم اسحارهم بهم لهم قد اشرقت
وخلع الغفران حين القسم في بعض الآثار يقول الله تعالى يا جبرئيل اقم فلانا
وانم فلانا قام بعض الصالحين في ليلة باردة وكان عليه خلقان رثة فضرب به
البرد فبكى فسمعها تقول اتمنانا وانمناهم ثم تبكي علينا تنبهوا يا اهل
وادي المنحنا كم ذا الكرى يهب نسيم نجدكم بنا حار وجه ساهر وراقد وكاتم
ومبدي قيل لابن سعود ما نستطيع قيام الليل قال ابعدكم ذنوبكم وقيل
للحسن اعجزنا قيام الليل قال قيدتكم خطاياكم انما يوهل الملوك للخلق بهم ومخاطبتهم
من يخلص في وداده ومعاملتهم فاما من كان من اهل مخالفتهم فلا يرضونه لمحاضرتهم
الليل ولاصحابي حادثهم قد اصطفيتهم كي يسمعوا ويعوا لهم قلوب باسراري قد
امتلئت على وداد وارشادي لها طبعوا قد اثمرت شجرات الغم عندهم فما ضنوا اذا
جنوا فما به ارتفعوا سروا فما وهنوا عجزوا وما ضعفوا وواصلوا حبل تقربي فما قطعوا
الفصل الثالث في ذكر الدعوات المذكورة في هذا الحديث وهي اللهم اني اسئلك فعل
الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة
فاقبضني اليك غير مفتون واسئلك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغني
حبك فقال ابن صلى الله عليه وسلم تعلموهن وادرسوهن فانهن حق هذا دعاء
عظيم من اجمع الادعية واكملها فقوله صلى الله عليه وسلم اسئلك فعل الخيرات وترك
المنكرات تتضمن طلب كل خير وترك كل شر فان الخيرات تجمع كل ما يحبه الله تعالى
ويقرب منه من الاعمال الصالحة والاقوال من الواجبات والمستحبات وتشمل الترك
لكل ما يكرهه الله ويباعد عنه من الاقوال والاعمال فحصل له هذا المطلوب حصل له
خير الدنيا والاخرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب مثل هذه الادعية الجامعة
قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين
ذلك خرجه ابو داود وقوله وحب المساكين هذا قد يقال انه من جملة فعل الخيرات

الألوكة
www.alukah.net

وانما افرده بالذكر لشرفه وقوة الاهتمام به كما افرد ايضا ذكر حب الله تعالى وحب من
يحبه وحب عمل يبلغه الى حبه وذلك اصل فعل الخيرات كلها وقد يقال انه طلب من
الله تعالى ان يرزقه اعمال الطاعات بالجوارح وترك المنكرات بالجوارح وان يرزقه ما
يوجب له ذلك وهو حبه وحب من يحبه وحب عمل يبلغه حبه فهذه المحبة
بالقلب يوجبه لفعل الخيرات بالجوارح وترك المنكرات بالجوارح وسئل الله تعالى
ان يرزقه المحبة فيه فقد تضمن هذا الدعاء سؤال حب الله تعالى واحبابه وحب
الاعمال التي تقرب من حبه والحب فيه وذلك مقتض لفعل الخيرات كلها وتضمن
ترك المنكرات والسلامة من الفتن وذلك يتضمن اجتناب الشر كله فجمع هذا
الدعاء طلب خير الدنيا وتضمن سؤال المغفرة والرحمة وذلك يجمع خير الاخرة كله
والمقصود ان حب المساكين اصل الحب في الله تعالى وان المساكين ليس عندهم من
الدنيا ما يوجب محبتهم لاجله فلا يحبون الا لله عز وجل والحب في الله تعالى من او
ثق عرى الايمان وهو علامة حلاوة ذوق الايمان وهو صريح الايمان وهو
افضل الايمان وهذا كله روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وصف به الحب في الله تعالى
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال به تنال ولاية الله وبه يوجد طعم الايمان
وحب المساكين قد وصى به النبي صلى الله عليه وسلم غير واحد من اصحابه قال ابو ذر رضي الله عنه
اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب المساكين وان ادنو منهم خرجه الامام احمد
وخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة احبي
المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيمة وروي ان داود عليه السلام كان
يجالس المساكين ويقول يا رب مسكيني بين مساكين ولم يزل السلف الصالح يدعون
ويحب المساكين كتب سفيان الثوري الى بعض اخوانه فليكن بالفقراء او
المساكين والدنو منهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل ربه حب المساكين
وحب المساكين مستلزم لاخلاص العمل لله تعالى والاخلاص هو اساس
الاعمال الذي لا تثبت الاعمال الا عليه فان حب المساكين يقتضي اسداء
النفع اليهم صباحهم ومساهم بما يمكن من منافع الدين والدنيا ومتى

حصل

حصل اسداء النفع اليهم صباحهم ومساهم كان هذا العمل خالصا وقد دل القرآن
على ذلك قال الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا الاية وقال تعالى ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله فتكونا من الظالمين وقال تعالى
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الاية
وقال سعد بن ابي وقاص نزلت هذه الاية في ستة فيّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار
والمقداد وبلال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نرضى ان نكون اتباعا لهم
فاطردهم عنك فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية وقال
خباب انه الارت في هذه الاية جاء الاقرع بن حابس وعيينة بن حصين
فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وعمار وبلال وخباب قاعدا في ناس
من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم فاتوه فخلوا به
وقالوا انا نريد ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود
العرب تاتيك فنستحي ان ترانا العرب مع هذه الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم
فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب بيننا وبينك كتابا
قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام
فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله فتطردهم فتكون من الظا
لمين ثم ذكر الاقرع وعيينة فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من
الله عليهم من بيننا الاية ثم قال واذا جاءك الذين يؤمنون بايا تنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية قال فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا
فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تجالس الاشراف ولا تطع من
اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني عيينة والاقرع قال خباب فكنا نقعد مع النبي صلى الله
عليه وسلم فاذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم خرجه ابن ماجه
وغيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى من مساكين اهل المدينة و
يشيع جنائزهم وكان لا يأنف ان يمشي مع الارملة والمساكين حتى يقضي

الألوكة
www.alukah.net

عنهما وعلى هذا الهدي كان اصحابه من بعده والتابعون لهم باحسان وروي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال كان جعفر ابن ابي طالب يحب المساكين ويجلس اليهم و
يحدثهم ويحدثونه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكنيه ابا المساكين وفي رواية انه كان
يطعمهم ورما اخرج لهم عكة فيها العسل فشقوها ولعقوها وكانت زينب
بنت خزيمة ام المؤمنين تسمى ام المساكين للكثرة احسانها اليهم وتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقال ضل ابن مرة في وصف علي بن ابي طالب
في ايام خلافته كان يعظم اهل الدين ويحب المساكين ومر ابنه الحسن رضي الله عنهما
على مساكين يأكلون فدعوه فاجابهم واكل معهم وتلى انه لا يحب المستكبرين ثم
دعاهم الى منزله فاطعمهم واكرمهم وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يأكل غالبا الا مع المساكين وكان يقول لعل بعضهم هو الذي يكون ملكا يوم القيمة وجاء مسكين الى ابن مسعود وقد ازدحم الناس عنده فناداه يا ابا عبد الرحمن ادنيت اصحاب الخز والميمنة واقصيتني لاجل اني مسكين فقال له ادنه فلم يزل يدنيه حتى اجلسه الى جنبه او بقربه وكان سفيان الثوري يعظم المساكين ويجعل اهل الدنيا فكان الفقراء في مجلسه هم الاغنياء والاغنياء هم الفقراء وقال سليمان التيمي كنا اذا طلبنا علية اصحابنا وجدناهم عند الفقراء او المساكين ومن فضل الله على المساكين انهم اكثر اهل الجنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم احتجت الجنة والنار فقالت الجنة لا يدخلني الا الضعفاء والمساكين وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اهل الجنة فقال كل ضعيف متضعف وهم اكثر الناس دخولا الجنة كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الفقراء يسبقون الاغنياء الى الجنة باربعين عاما وفي رواية انهم يدخلون الجنة بنصف يوم وهو خمس مائة سنة وهو اول الناس اجازة على الصراط كما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول الناس اجازة على الصراط فقال هم فقراء المهاجرين الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت احدهم وحاجته في صدره لا يستطيعها لا يؤذن له في الدنيا ولا يعرف مكانه فيزار وهم الذين لا ينكحون المنعمات ولا يفتح لهم السدد وهم اتباع الرسل كما اخبر الله

يتبع عن نوح عليه السلام ان قومه لما رأوه باتباع الضعفاء له قالوا انؤمن لك واتبعك الا
رذلون ولذلك قال هرقل لابي سفيان لما سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم وهل يتبعه اشراف
الناس ام ضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم فقال هرقل هم اتباع الرسل وهم افضل من الا
غنيا عند كثير من العلماء او اكثرهم وقد دل على ذلك دلالة كثيرة منها قول النبي صلى الله عليه
وسلم حين مر به الغني والمسكين في المسجد هذا يعني المسكين خير من ملء الارض من
مثل هذا يعني الغني وقد خرجه البخاري ومنهم من وقفه على ابن عمر كما في الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره وفي رواية
اشعث ذو طمرين مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره خرجه الحاكم وغيره
رب ذي طمرين نضو يأنف العالم شره لا يرى الا غنيا وهو لا يملك ذره
لو اقسم في شيء على الله لابره قال ابن مسعود كونوا جدد القلوب خلقان الثياب
سرج الليل مصابيح الظلام تعرفون في اهل السماء وتخفون على اهل الارض
طوبى لعبد بحبل الله معتصمه على صراط سوي ثابت قدمه رث الثياب جديد القلب
مستتر في الارض مشتهر فوق السما اسمه ما زال يستحقر الاولى فهمته
حتى ترقت الى الاخرى به همم فذاك اعظم من ذي التاج متكأ على النمارق محتف بالخدم
واعلم ان محبة المساكين لها فوائد كثيرة منها انها توجب اخلاص العمل لله تعالى لان الاحساء
اليهم ومحبتهم لا يكون الا لله تعالى لان نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبا فاما من احسن
اليهم ليمدح بذلك فما احسن اليهم حبا لهم بل حبا لاهل الدنيا وطلبا لمحبتهم له بحب المساكين
ومنها انها تزيل الكبر فان المتكبر لا يرضى مجالسة المساكين كما سبق عن رؤساء قريش
والاعراب ومن حذى حذوهم من هذه الامة ممن تشبه بهم حتى ان بعض علماء
السوء لا يشهد الصلاة في جماعة خشية ان يزاحمه المساكين في الصف فيمتنع
بسبب هذا الكبر خير كثير جدا فان مجالس الذكر والعلم يقع فيها خير كثير
مجالسة المساكين فانهم اكثر اهل هذه المجالس فيمتنع المتكبر من هذه
المجالس بتكبره وربما كان المسموع منه الذكر والعلم من جملة المساكين فيا
نفى اهل الكبر من التردد الى مجلسه لذلك فيفوتهم خير كثير و

الألوكة
www.alukah.net

تعالى عنه المشركين انهم قالوا لو انزل هذا القرآن على احد من القريتين عظيم يشيرون الى
عظماء مكة والطائف كعتبة بن ربيعة واخيه شيبة ونحوهما من صناديد قريش
وثقيف ذوي الاموال والشرف فيهم ممن كان اكثر مالا من محمد صلى الله عليه وسلم واعظم
رياسة عندهم ورد الله عليهم بانه يقسم رحمته كما يشاء وانه كما رفع درجات بعضهم
في الدنيا فكذلك في الآخرة وانه رحمة بالنبوة والايمان والرحمة خير مما يجمعونه
من الاموال التي تفنى فهو يختص بهذه الرحمة الدينية من يشاء ويرفعه على اهل
النعم الدنيوية وقد خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما لم يشركه فيه من هذه النعم
كما قال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاقوله وكان فضل الله عليك عظيما وقد
كان علي بن الحسين يجلس في مجلس زيد بن اسلم فيعاتب على ذلك فيقول انما
يجلس المرء حيث يكون له فيه نفع او كما قال يشير الى انه ينتفع بسماع ما يسمعه من
العلم والحكمة وزيد بن اسلم ابوه مولى لعمر وعلي بن الحسين سيد بني هاشم و
شريفهم ولما اجتمع الزهري وابو حازم الزاهد بالمدينة عند بعض بني امية
لما حج وسمع الزهري كلام ابي حازم وحكمته اعجبه ذلك وقال هو جاري من ذو
كذا وكذا وما جالسته ولا عرفت هذا عنده فقال له ابو حازم اجل اني منا لما
ابه احببتني ولكنك نسيت الله فنسيتني يشير الى ان من احب الله احب المال
من اهل العلم والحكمة لاجل محبتهم لله تعالى ومن غفل عن الله غفل عن اولياءه من
المساكين فلم يرفع بهم رأسا ولم ينتفع بما خصهم الله به من الحكمة والعلوم النافعة
التي لا توجد عند غيرهم من علماء اهل الدنيا وقد كان علماء السلف يأخذون العلم
من اهله والغالب عليهم المسكنة والرفعة عند الناس في الدنيا ويدعون اهل
الرياسة والولايات فلا يأخذون ما عندهم من العلم بالكلية ومنها انه يوجب صلاح
القلب وخشوعه وفي المسند عن ابي هريرة ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة
في قلبه فقال له ان احببت ان يلين قلبك فاطعم المساكين وامسح راس اليتيم
ومنها ان مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم بما يرزقه الله عز وجل
وتعظم عنده نعم الله عليه بنظره في الدنيا الى من دونه كما ان مجالسة الاغنياء

توجب

توجب التسخط بالرزق ومد العين الى زينتهم وما هم فيه وقد نهى الله عز وجل نبيه صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الى قوله وابقى وقال النبي
صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة
الله عليكم قال ابو ذر اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انظر الى من هو دوني ولا انظر الى من
هو فوقي وروى ابو داود في مراسيله ان اوجب المساكين ادناهم وكان عون بن عبد الله بن عتبة بن
مسعود يجالس الاغنياء فلا يزال في غم الا ان الذي يرى من هو احسن منه لباسا
ومركبا وطعاما فيتكهم ويجالس المساكين فيستريح من ذلك وقد روى عنه النبي صلى الله
عليه وسلم انه نهى عائشة عن مخالطة الاغنياء وقال عمر رضي الله عنه اياكم والدخول على اهل
الشبعة فانه مخط للرزق واعلم ان المسكين اذا اطلق فانما يراد به غالبا من لا مال له
يكفيه فان الحاجة توجب الرقة والتواضع بخلاف الغنى فانه يوجب الطغيان
ولهذا ذم الفقير المختال وعظم وعيده لانه عصى بما بنى في فقره وهو الاضمحلال والزوال
هو والتكبر مما كان المساكين عند الاطلاق طلاق لا ينصرف الا الى من لا كفاية له من
المال وحض الله تعالى باتيتا المساكين واطعامهم الطعام وتوعد من يفعل ذلك وذم من لا
يحض على طعامهم وجعل لهم حقا في اموال الصدقات والفيء وحض الغناء وحضهم على
الاموال وهؤلاء المساكين على اقسامهم احدها من هو محتاج في الباطن فقير ظاهرا
حتى للناس والثاني من يكتم حاجته ويظهر للناس انه غني فهذا اشرف القسمين
وقد مدح الله تعالى هذا في قوله للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون
ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان
والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد ما يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه قال
بعض السلف وهذا المحروم الذي في قوله للسائل والمحروم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ان من كتم حاجته فلم يفطن له احق باسم المسكين من الذي اظهر حاجته بالسؤال وهذا
فرق طائفة من العلماء بين الفقير والمسكين فقالوا من اظهر حاجته فهو مسكين ومن
كتمها فهو فقير وفي كلام الامام احمد ما يدل على ذلك وان كان المشهور عنه ان التفرقة
بينهما بكثرة الحاجة وقلتها كقول كثير من الفقهاء وهذا حيث جمع بينهما في الفقير
والمسكين كما في آية الصدقات فاما اذا افرد احدهما دخل فيه الاخر عند

الألوكة
www.alukah.net

وقد كان كثير من السلف يكتم حاجته ويظهر الغنى تعففا وتكرما منهم ابراهيم النخعي
كان يلبس شيابا حسانا ويخرج بها الى الناس وهم يرون انها تحل لهم الميتة من الحاجة وكان بعض الصالحين يلبس الثياب الجميلة وفي كمه مفتاح داره كبيرة ولاجل
ذلك لا المساجد وكان اخر لا يلبس جبة في الشتاء الفقره ويقول لي علة تمنعني
من لبس المحشو وانما يعني به الفقر ان المكرم ليخفي عنك حاجته حتى تراه
غنيا وهو مجهود وكان بعكس هؤلاء من يلبس ثياب المساكين مع الغنى تواضعا
لله تعالى وبعد ان الكبر كما كان يفعله الخلفاء الراشدون الاربعة وبعدهم عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنهم اجمعين وكذلك كان جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عمر وعبد الله
بن عمرو بن العاص وغيرهما وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان ينتشل
اذا اردت شريف الناس كلهم فانظر الى رجل في زي مسكين ذاكر الذي حسنت في الناس
سيرته وذلك يصلح للدنيا وللدين وكان علي رضي الله عنه يعاتب على لباسه ويقول
هو العدو الكبير واجود ان يقتدي بي المسلم وعوتب عمر بن عبد العزيز على ذلك فقال
ان القصد عند الجدة يعني فضل ما اقتصد الرجل في لباسه مع قدرته
ووجدانه وفي سنن ابي داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البذاذة من الايمان
يعني التقشف وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ترك اللباس تواضعا لله عز وجل
وهو يقدر عليه دعاه يوم القيمة حتى يخيره من اي حلل الايمان شاء يلبسها وخرج ابو
داود من وجه اخر ولفظه من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه اخبه قال تواضعا كساه
امه حلة الكرامة وانما يذم من ترك اللباس مع قدرته عليه بخلا على نفسه او كتمان لنعمة
الله تعالى وفي هذا جاء الحديث المشهور ان الله اذا انعم على عبد نعمة احب ان يرى اثر نعمته
على عبده فمن لبس لباسا حسنا اظهارا للنعمة التي انعم الله عليه وعلم بفعله اختيارا لا كان حسنا
وكان كثير من الصحابة والتابعين يلبسون لباسا حسنا منهم ابن عباس والحسن البصري
وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الرجل يحب ان يكون لباسه حسنا ونعله حسنا
فقال ليس ذلك بالكبر انما الكبر بطر الحق وغمط الناس يعني الكبر عن قبول الحق والانقياد
له واحتقار الناس وازدراءهم فمن هذا هو الكبر فاما مجرد اللباس الحسن الخالي من الخيلاء
فليس بكبر واحتقار الناس مع اثنائه اشياء كبر وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم

كان

كان ماشيا في طريق وهناك امة سوداء فتكاءلها رجل الطريق للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت
الطريق يمنة ويسرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوها فانها جبارة خرجه النسائي وغيره
وفي رواية للطبراني وغيره قالوا يا رسول الله انها يعني مسكينة قال ان ذاكر في قلبها يعني
ان الكبر في قلبها وان كان لباسها لباس المساكين وقال الحسن ان اقواما جعلوا
التواضع في لباسهم والكبر في صدورهم ان احدهم اشد كبرا بمدرعته من صاحب
السريسر وصاحب المطرف بمطرفه وقال احمد بن ابي الحواري قال لي سليمان بن ابي سليمان
وكان يعد بابيه اي شيء اراد ابشيا الصوف قلت التواضع قال وما يتكبر احدهم الا
اذا لبس الصوف قال ابو سليمان يكون ظاهرك قطنيا وباطنك صوفيا وقال ابو الحسن
بن بشار صوف قلبك والبس ما شئت يعني مع التعوي يعني رفيع الثياب دني الظهر الا
نسان لباس المساكين لدعوى الصلاح والاشتهار عند الناس كان ذلك كبرا وريا
ومن هنا ترك كثير من السلف المخلصين اللباس المختص بالفقراء والصالحين
وقالوا انه صار شهره ولما قدم سيار ابو الحكم البصره لزيارة مالك بن دينار لبس
ثيابا حسانا ثم دخل المسجد فصلى صلاة حسنة فراه مالك فلم يعرفه فقال له شيخ اني
ارغب بك عن هذه الشباب مع هذه الصلاة فقال له يا مالك ثيابي هذه تضعني
عندك ام ترفعني قال بل تضعك فقال نعم الثوب ثوب يضع صاحبه عند الناس
ولكنه انظر يا مالك لعل ثوبيك هذين يعني الصوف انزل الاكرمة الناس ما لا ينزل الاكرمة
الله فبكى مالك وقام اليه واعتنقه وقال له انشدك الله انت سيار ابو الحكم قال نعم
فلهذا كره من كره من السلف كابن سيرين وغيره لباس الصوف حيث صار شعار
الزاهدين فيكون لباسه شهار للنفس واظهار للزهد واما النبي صلى الله
عليه وسلم فكان يلبس ما وجد فتارة يلبس لباس الاغنياء من حلل اليمن وثياب
الشام ونحوها وتارة يلبس لباس المساكين فيلبس جبة من صوف احيانا واحيانا
يتزر بعباءة وابل الصدقة بيده يعني انها يطلبها بيده ويصلحها كما يفعل الارباب
الابل بها ولم يبعث الله نبيا من اهل الكبر وانما بعث من الاكبر عنه فلا يتكبر عن
معالجة الاشياء التي يأنف منها المتكبرون كرعاية الابل والغنم واجارة نفسه عند الحاجة
الى الاكتساب ومن اعطاه الله ملكا منهم فانه لم يزد به تواضعا كداود
وسليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد يطلق اسم المساكين ويراد به من اسقط رفيعة

الألوكة
www.alukah.net

وتواضع لجلاله وكبريائه وعظمته وخشيته ومحبته ومهابته وعلى هذا المعنى حمل بعضهم
الحديث المروي عنه اني صلى الله عليه وسلم انه قال احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني
في زمرة المساكين خرجه الترمذي من حديث انس وخرجه ابن ماجه من حديث بن عباس
س وفي حمله على ذلك نظر لان في تمام حديثها ما يرد به المساكين من المال لانه ذكر
سبقهم الاغنياء الى الجنة مع ان في اسناد الحديثين ضعفا وقد خير النبي صلى الله عليه وسلم
بين ان يكون نبيا ملكا او عبدا رسولا فاشار عليه جبريل ان تواضع فقال عبدا رسولا فكان
بعد ذلك لا يأكل متكيا ويقول آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد قال الحسن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني الله لذلك ان جعلني سيد ولد ادم واول شافع واول
مشفع واول من تنشق عنه الارض ومع صلى الله عليه وسلم انه قال انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله فاشرف اسمائه عبد الله ولهذا سمي بهذا الاسم في القرآن في اشرف مقاماته
فلما حقق صلى الله عليه وسلم عبوديته لربه حصلت له السيادة على جميع الخلق وكان كثير من
العارفين يقول في مناجاته لربه كفى بي فخرا اني لك عبد وكفى بي شرفا انك لي ربا وكان
بعضهم يقول كلما ذكرت انه ربي وانا عبده حصل لي من السرور ما يصلح به بدني ه
شرف النفوس دخولها في رقهم والعبد يحوي الفخر بالتملك وكان ابو يزيد ينشد
يا ليتني صرت شيأ من غير شيء اعد اصبحت لكل مولاي لاني لكل عبد من انكسر قلبه
سر عز وجل واستكان وخشع وتواضع جبره الله عز وجل ورفعه بقدر ذلك وفي الاثر
المشهور ان الله عز وجل قال لموسى حين سأله اين اجدك قال عند المنكسرة قلوبهم من
اجلي فاني ادنو منهم كل يوم باعا ولولا ذلك لانهدوا وروي عن عبد الله بن سلام
انه فسر فقال هم المنكسرة قلوبهم بحب الله عز وجل وفي الحديث المشهور
المرفوع ان الله عز وجل اذا تجلى لشيء من خلقه خشع له فاذا تجلى للقلوب العارفين
عظمة الله وجلاله وكبريائه اذكرت قلوبهم من هيبته وخشعت وانكسرت
من محبته ومخافته ساكنين اهل الحب حتى قلوبهم عليهم ارق من الذين هم العابد
فالمسكين في الحقيقة من استكان قلبه لربه وخشع من خشيته ومحبته
ولا يكون المسكين ممدوحا بهذه الصفة فان من لم يخشع قلبه مع فقره

وحاجته

وحاجته فهو جبار كتلك الامة السوداء التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم انها جبارة وهو اما
عائل مستكبر او فقير مختال وكلاهما لا ينظر الله اليه يوم القيمة فالمؤمن المسكين قلبه
لله وتخشع له وتواضع ويظهر مسكنته وفاقته وفقره اليه في الشدة والرخاء اما في
حال الرخاء فباظهار الشكر واما في حال الشدة فباظهار الذل والعبودية والفاقة
والحاجة الى كشف الضر قال تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فذم من لا يستكين لربه عند الشدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج عند الاستسقاء
متواضعا متخشعا مستكينا وحبس لمطرف بن عبد الله قريب فلبس خلقان ثيابه
واخذ بيده قصبة وقال اتمسكن لربي لعله يشفعني فيه ومما يشرع التمسكن فيه
سر عز وجل حال الصلاة كما في حديث الفضل بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة
مثنى مثنى تشهد في كل ركعتين وتخشع وتضرع وتمسكن وتفقع يديك تمسكن
يقول يرفعهما ويقول يا رب يا رب ثلاثا فمن لم يفعل ذلك فهي خداج خرجه الترمذي
وغيره وكذلك شرع اظهار المسكنة في الدعاء وخرج الطبراني من حديث بن عباس
قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بعرفة ويداه الى صدره كاستطعام المسكين
ومن حديث ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في دعائه عشية عرفة انا البائس الفقير
المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه اسئلك مسئلة المسكين واتبتهل اليك ابتهال المذنب وادعوك دعاء الخائف الضرير وكان بعض السلف يجلس مطرقا راسه
ويمد يديه وهو ساكت كحال المسكين المستعطي وقال طاوس دخل علي بن الحسين
الحجر ليلة فصلى فسمعته يقول في سجوده عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك
بفنائك سائلك بفنائك قال طاوس فحفظتها فما دعوت بها في كرب الا فرج
عني وكان بعض العباد قد حج ثمانين حجة على قدميه فبينما هو في الطواف وهو
يقول يا حبيبي يا حبيبي فهتف به هاتف ليس ترضى ان تكون مسكينا حتى تكون
حبيبا فغشي عليه فكان بعد ذلك يقول مسكينك مسكينك وشيخ الاسلام بن تيمية
رحمه الله كان يقول الفقير الى رب البريات انا المسكين في جموع حالاتي انا الظلوم الجهول
وهي ظالمتي والخير ان ياتينا من عنده بالتي لا استطيع لنفسي جلب منفعة

الألوكة
www.alukah.net

والاعتماد لي دفع المضار اي وليس لي دونه معول يدبر لي والا شفيع اذا احاطت
بي خطيئات الاباذن من الرحمن خالقنا الى الشفيع كما قد جاء في الايات
وليست الملك شيئا دونه ابدا والاشريك له في بعض ذرات والاظهير له كي يستعين به
كما يكون الارباب الولايات والغفر وصف ذات لازم ابدا كما الغني ابدا وصوله ذاتي
يقوم به هو هذه الحال احال الخلق اجمعهم وكلهم عنده عبد له اتي قوله صلى الله عليه وسلم وان تغفر لي
وترحمني المغفرة والرحمة يجمعان خير الاخرة كله لان المغفر ستر الذنب مع وقاية شره
وقد قيل انه لا يجتمع المغفرة مع عقوبة الذنب حيث كانت المغفرة وقاية شر الذنب
وهذا لا يكون مع عقوبة عليه ولذلك سمي المغفر مغفرا لانه يستر الراس ويقيه الاذى
وهذا بخلاف العفو فانه يكون تارة قبل العقوبة وتارة بعدها واما الرحمة فانها دخول
الجنة وعلو درجاتها وجميع ما في الجنة من النعيم بالمخلوقات ومن رضا الله عنا وقربه
ومشاهدته وزيارته فانه من رحمته الله تعالى وفي الحديث الصحيح ان الله عز وجل يقول للجنة انت
رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي فكل ما في الجنة فهو من رحمة الله عز وجل وانما ينال برحمته
لا بالعمل كما قال صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد منكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه قوله صلى الله عليه وسلم واذا اردت بقوم فتنة
فاقبضني اليك غير مفتون المقصود من هذا سلامة العبد من فتنة الدنيا مدة حياته فان قد الله عز وجل على عباده فتنة قبض عبده اليه قبل وقوعها وهذا من
اهم الادعية فان المؤمن اذا عاش سليما من الفتن ثم قبضه الله تعالى اليه قبل وقوعها وهذا
وحصول الناس فيها كان في ذلك نجاة من الشر كله وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ
بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وكان صلى الله عليه وسلم يخص بعض الفتن العظام
بالذكر فكان يتعوذ في صلاته من اربع ويأمر بالتعوذ منها ويعوذ بالله من عذاب
جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال
ففتنة الدنيا يدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها كالكفر والبدع والفسوق
والعصيان وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة وفتنة الملكين في القبر فالناس
يفتنون في قبورهم مثل او قريبا من فتنة الدجال ثم خص فتنة الدجال بالذكر
لعظم موقعها فانه لم يكن فتنة في الدنيا قبل يوم القيمة اعظم منها وكلما قرب الزمان

من الساعة

من الساعة كثر الفتن وفي حديث معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يبق من الدنيا الا بلاء
وفتنة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الفتن التي كقطع الليل المظلم يصبح المرء فيها مؤمنا
ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وكان اول هذه الفتن ما حدث بعد عمر رضي الله عنه
ونشا من ذلك قتل عثمان رضي الله عنه وما ترتب عليه من اراقة الدماء وتفرق القلوب
وظهور فتن الدين كبدع الخوارج المارقين من الدين واظهارهم ما اظهروا ثم ظهور
بدع اهل القدر والرفض ونحوهم وهذه هي الفتنة التي تموج كموج البحر المذكورة في
حديث حذيفة المشهور حين سأله عنها عمر رضي الله عنهما وكان حذيفة من اكثر الناس
سؤالا للنبي صلى الله عليه وسلم عن الفتن ضوفاعة الوقوع فيها ولما حضره الموت
قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم الحمد لله الذي سبق لي الفتنة قادتها وعلوجها
وكان موته قبل قتل عثمان باربعين يوما وقيل بل مات بعد قتل عثمان وكان
في ذلك الايام رجل من الصحابة نائما فاتاه آت في منامه فقال له قم فسئل الله
ان يعيذك من الفتنة التي اعاذ منها صالح عباده فقام فتوضأ وصلى ثم اشتكى
ومات بعد قليل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اذا مت انا وابو بكر
وعمر وعثمان فان استطعت ان تموت فمت وهذا اشارة الى هذه الفتن التي و
قعت بقتل عثمان رضي الله عنه والدعا بالموت خشية الفتنة في الدين جائز وقد
دعا به الصحابة والصالحون بعدهم الحاج عمر رضي الله عنه اخر حجة حجها استلقى بالابطح
ثم رفع يديه وقال اللهم انه قد كبرت سني ورق عظمي وانتشرت رعيتي فاقبضني اليك
غير مضيع ولا مفتون ثم رجع الى المدينة فما انسلخ الشهر حتى قتل رضي الله عنه ودعا علي
رضي الله عنه ربه عز وجل ان يريحه من رعيته حيث سيئ منهم فقتل شهيدا بمحراب ودعت
زينب بنت جحش لما جاءها عطاء عمر من المال فاستكثرته وقالت اللهم لا يدركني
عطاء عمر بعدها فماتت قبل العطاء الثاني ولما ضبط عمر بن عبد العزيز بنار وعيته جيش
ثقل عليهم قيامهم فيهم بالحق طلب من رجل كان معروفا باجابة الدعوة ان يدعوا
له بالموت فدعا له ونفسه بالموت فماتا وروي ان جماعة من اهل الصلاح الى ان بقي
فاستمهلوا ثلاثة ايام فدعوا له لانفسهم بالموت فماتوا والطلع على حال بعض الصالحين

ومعاملته التي كانت سرا بينه وبين ربه عز وجل فسئل الله ان يقبضه اليه خوفا من فتنة
الاستهار فمات فان الشهرة بالخير فتنة كما جاء في بعض الحديث كفى بالمرء فتنة ان
يشار اليه بالاصابع فانها فتنة وكان سفيان الثوري يتمنى الموت كثيرا فسئل عن ذلك
فقال ما يدريني لعلي ادخل في بدعة لعلي ادخل فيما يحال لي لعلي ادخل في فتنة اكون فقومت
فسمعت هذا واعلم ان الانسان لا يخلو امن فتنة قال به مسعود لا يقل احد اعوذ بالله من
الفتن ولكن ليقل اعوذ بالله من مضلات الفتن ثم تلى انما اموالكم واولادكم فتنة يشير
الى انه لا يستعاذ من المال والولد وهما فتنة وفي المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم احرام سلمة
ان تقول اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن
ما ابقيتني وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم النساء الاعوال فتنة ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
قال ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وفيه ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال والله
ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها
كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وفيه صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال اتقوا
النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء وفي الترمذي انه قال صلى الله عليه وسلم
لكل امة فتنة وفتنة امتي المال وقد قال الله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
الاية فالرجل فتنة للمرأة والمرأة فتنة للرجل والغني فتنة للفقير والفقير فتنة للغني
البر فتنة للفاجر والفاجر فتنة للبر والكافر فتنة للمؤمن والمؤمن فتنة للكافر قال
الله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم
بالشاكرين وقال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة يعني نمتحنهم بها فان اصيب
بخير استحق به شكرا وان اصيب بشر استحق به صبرا وفتنة السراء اشد من
فتنة الضراء قال عبد الرحمن بن عوف ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا
بفتنة السراء فلم نصبر وقال بعضهم فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر وفتنة
السراء لا يصبر عليها الا صديق وكان بتلى الامام احمد رضي الله عنه بفتنة الضراء
فلم يجزع وقال كانت زيادة في ايماني ولما ابتلي بفتنة السراء جزع وتمنى الموت
صباحا ومساء خشية ان يكون نقصا في دينه ثم ان المؤمن لا بد ان يفتتن بشيء من الفتن
الكونية الخافية عليه ليمتحن ايمانه كما قال تعالى احسب الناس ان يتركوا

ان يقولوا

ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون الى قوله وليعلمن الكاذبين ولكن الله تعالى يلطف بمن يختصه
من عباده المؤمنين في هذه الفتن ويصبرهم عليها ويثبتهم ولا يلقيهم في فتنة مهلكة
مضلة تذهب بدينهم بل تمر عليهم الفتن وهم منها في عافية او خرج به الى الدنيا من حوض
بن عمر مرفوعا انه ضمنا به من عباده يعني هم في رحمة وتحيتهم في عافية ويتوفاهم
هم في عافية الى الجنة او ليكل الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية
والفتن الصغار التي يبتلى بها المرء في اهله وماله وولده وجاره تكفرها الطاعات
من الصلاة والصيام والصدقة كما جاء في حديث حذيفة وروي عنه انه سئل النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان في لساني ذربا على ناس عامة ذلك على اهلي فقال له لست منه الاستغفار
واما الفتن المضلة التي تحشى منها فساد الدين فهي التي يستعاذ منها ويسال
الموت قبلها فمه مات قبل وقوعه في شيء من هذه الفتن فقد حفظ الله وحماه وفي
المسند عن محمود بن لبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اثنتان يكرههما ابن ادم يكره الموت
والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال اقل للحساب قوله صلى الله عليه
وسلم واسئلك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغني حبك هذه الدعا
يجمع كل خير فان الافعال الاختيارية من العباد انما تنشئ عن محبة وارادة فان
كانت محبة الله ثابتة في القلب نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب ما تحبه
الله ويرضاه فاحب ما يحبه الله عز وجل من الاعمال والاقوال كلها فعل حينئذ الخير
كلها وترك المنكرات كلها واحب ما يحبه الله من خلقه وهذا الدعا كانت الانبياء
عليهم السلام يدعون به كما في الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان يقول
اللهم اني اسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني حبك وفيه ايضا ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يدعو اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني حبك
اللهم ما رزقتني مما احب فاجعله قوة لي فيما تحب وما زويت عني مما احب فاجعله
فراغا لي فيما تحب وفي حديث مرحل خرجه بن ابي الدنيا وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقول اللهم اجعل حبك احب الاشياء الي وخشيتك اخوف الاشياء عندي واقطع
عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا اقررت اعين اهل الدنيا من دنياهم
فاقر عيني من عبادتك ومن كان همه طلب محبة الله عز وجل اعطاه ما يقر به عينه

الألوكة
www.alukah.net

من الدنيا تبعا قال بعض السلف لما تاب الله على داود عليه السلام ارسل الله عز وجل الريح سليمان الى كل حاجة تسئلني اياها فقال سليمان اسئل الله ان يجعل قلبي يحبه كما كان قلب ابي داود يحبه وان يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب ابي داود يخشاه فشكر الله له ذلك واعطاه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ومحبة الله عز وجل على درجتين احداهما واجبة وهي المحبة التي توجب للعبد محبة ما يحبه من الواجبات وكراهة ما يكرهه من المحرمات فان المحبة التامة تقتضي الموافقة للمحبوب في محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه المحبوب من محبة سئل بعض العارفين عن المحبة فقال الموافقة في جميع الاحوال وانشد

ولو قلت لي مت مت سمعا وطاعة ... وقلت لداعي الموت اهلا ومرحبا وانشد اخر

تعصي الاله وانت تزعم حبه ... هذا العمري في القياس فضيع

لو كان حبك صادقا ... لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ومتى اخل العبد ببعض الواجبات او ارتكب بعض المحرمات فمحبته لربه غير تامة فالواجب عليه المبادرة بالتوبة والاجتهاد في تكميل المحبة المقتضية لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فان الايمان الكامل يقتضي محبة ما يحبه الله وكراهة ما يكرهه الله والعمل بمقتضى ذلك فلا يرتكب احد شيئا من المحرمات اذا بخل بشيء من الواجبات الا لتقديم هوى النفس المقتضي للانكار ذلك على محبة الله المقتضية لخلافه الدرجة الثانية من المحبة درجة المقربين وهي ان يمتلئ القلب بمحبة الله حتى توجب له محبة النوافل والاجتهاد فيها وكراهة الكدر فيها والانكفاف عنها والرضى بالاقضية والاقدار المولمة للنفوس لصدورها من المحبوب كما قال عامر بن عبد القيس لجمعت الله حبا هو لي على كل مصيبة ورضاني بكل بليه فلا ابالي مع حبي اياه على ما اصبحت والا على ما امسيت وقال عمر بن عبد العزيز ما سات ولله الصالح ان الله احبه فبضنه والي اعوذ بالله من ان تكون لي محبة من الامور تخالف محبة الله تعالى وكان يقول اصبحت وما لي سرور الا في مواضع القضى والقدر يا ما ينعم علينا ان نقابل فيهم الم وجوعنا كل شيء بعدكم عدم ان كانه سركم ما بليت به فما الجرح اذا ارضاكم الم

ولبعضهم

وحسبت سلطان الهوى انه يلذ منه كل ما يؤلم كان عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول اللهم لو اعلم ان الرضى لك بمعنى ان ارمي بنفسي من هذا الجبل فاسقط فعلت ولو اعلم ان الرضى لك بمعنى ان اوقد نارا عظيمة فاقع فيها فعلت ولو اعلم انها الرضى لك بمعنى ان الق بنفسي في الماء فاغرق نفسي فعلت واني لا اقول هذا الا اريد وجهك وانا ارجو ان لا تخيبني وانا اريد وجهك وقتل بعض الصالحين ولوالده في الجهاد نعزاه الناس فيهما فبكى وقال ما ابكي لفقدهما انما ابكي كيف رضاهما عن الله حين اخذ تهما السيوف وكان بعض العارفين يطوف بالبيت فهجمت اللصوص عليه ليقتلوه فلما رأوا السيوف قد سلت عليه ضربت السيوف صريعا فقتلوهم في الطواف فوصلوا اليه فلم يقطع طوافه حتى سقط من ضرب السيوف صريعا فانشد

ترى المحبين في ديارهم ... كفتية الكهف لا يريمون كم لبثوا اقل ثمن المحبة

بذل الروح بدم المحب يباع ... وصلهم فهذا الذي يباع بالثمن قال بعض الصالحين ان كنت تسمح ببذل روحك في هذا الطريق والا فلا تشتغل بالترهات خاطر بروحك في هواه واستريح ان شئت تحظى بالمحل الاعظم ولما كانت محبة الله تعالى لوازم وهي محبة ما يحبه الله تعالى من الاشخاص والاعمال وكراهة ما يكرهه من ذلك سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن محبة شيئين اخرين احدهما محبة ما يحب الله فان من احب الله احب اصحابه فيه وموالاتهم فيه وابغض اعداءه ومعاداتهم كما قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله الحديث واعظم ما تجب محبته في الله تعالى انبياؤه ورسله واعظمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته وجعل متابعته علامة لصحة محبته كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وتوعد من قدم شيئا من الخلق على محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الجهاد في سبيله في قوله قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ووصف المحبين بالذلة على المؤمنين من الرأفة بهم والمحبة لهم والشدة على الكافرين ببعث البغض لهم والجهاد في سبيل الله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين الى قوله لومة لائم

محبة ما يحبه تعالى من الاعمال التي يبلغ بها الى

الألوكة
www.alukah.net

اشارة الى ان درجة المحبين لله تعالى انما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه فاذا امتثل العبد
اوامر مولاه وفعل ما يحبه احبه الله تعالى ورقاه الى درجة محبته كما في الحديث الالهي الذي خرجه
البخاري وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوا
فل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
جعل النبي صلى الله عليه وسلم من علامات وجدان حلاوة الايمان ان يكره ان يرجع الى
الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وسئل ذو النون متى احب ربي قال
اذا كان ما يكرهه عندك اعز من الصبر ثم بعد ذلك الجهاد في نوافل الطاعات وترك دقائق
المكروهات والشبهات ومن اعظم ما تحصل به محبة الله من النوافل تلاوة القرآن وخصوصا
مع التدبر قال ابن مسعود لا يسئل احدكم عن نفسه الا القرآن فمن احب القرآن فهو
يحب الله ورسوله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال اني احب سورة قل هو الله احد
لانها صفة الرحمن اخبروه ان الله يحبه قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة خطب فقال في خطبته ان احسن الحديث كتاب الله وقد افلح من زينه
الله في قلبه وادخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من الاحاديث انه احسن
الحديث وابلغه احبوا من احب الله احبوا الله من قلوبكم وكان بعضهم يكثر تلا
وة القرآن فعتب عليه في ذلك فرأى في المنام قايلا يقول ان كنت تزعم صدي فلم جفوة
كتابي اما تريد عافية من لطيف عتابي فاستيقظ وعاد الى تلاوته ومن الاعمال التي
توصل الى محبة الله تعالى وهي من اعظم علامات المحبين كثرة ذكر الله تعالى بالقلب واللسان
قال بعضهم ما ادمن احد ذكر الله الا افاد منه محبة الله وقال ذو النون من ادمن ذكر الله
قذف الله في قلبه نور الاشتياق اليه وقال بعض التابعين علامة حب الله كثرة ذكره
فانك لن تحب شيئا الا اكثرت ذكره وقال فتح الموصلي المحب لله لا يجد مع حب الله للدنيا
لذة ولا يتفرغ عند ذكر الله طرفة المحبوب اذا نطقوا انطقوا بالذكر وان سكتوا اشتغلوا
بالذكر وان نطقت فلم النطق لغيركم وان سكتت فانتم عندي اضماري ومن علامات
المحبين وهو ما يحصل به المحبة ايضا الخلوة بمناجاة الله تعالى وخصوصا في ظلم
الليل الليل لي والاحباب اسامرهم قد خلا اصطفيتهم لي بسحر او يعوا قال
الفضيل يقول الله عز وجل كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني اليس
كل حبيب يحب خلوة حبيبه هانا نطلع على احبابي اذا جنهم الليل
جعلت ابصارهم في قلوبهم ومثلت نفسي بين اعينهم فخاطبوني على

المشاهد

المشاهدة وكلموني على حضوري وخاطبوا عن اقراعين احبابي في جنابي تنام عيناك
وتشكو الهوى لو كنت صبا لكنت نائما قلوب المحبين تحت فحمة الليل
كلما هب نسيم السحر التهب يذكرني من النسيم عهودكم فازداد شوقا كلما
هبت الريح واني اذا ما اظلم الليل اشرقت بقلبي من نار الغرام مصابيح
كما حنت الغاشق حنت العاشق لو انك ابصرت اهل الهوى اذا غارت
الانجم الطلع فهذا يتوجع على ذنبه وهذا يصلي وذا راكع منهم لم يكن به
مثل هواهم لم ير مثلهم من لم يشاهدهم جمال يوسف لم ير مثل الذي ابيعقوب
سئل السري عن حاله فانشد من لم يبت والحب حشو فواده لم يدر كيف
تفتت الاكباد اين رجال الليل اين بنو ادهم والفضيل ذهب الابطال وبقي
كل بطال يا من رضي من الزهد بالزي ومن الفقر بالاسم ومن التصوف بالصوف
ومن التسبيح بالسبح اين جنيد اين سري السري اين بشر بشر اين همة بنو
ادهم ويحك انك لم تقوم على معرفة معروف فاندب على ربع رابعه هاتيك ربوعهم
وفيها كانوا بانوعنها فليتهم ما بانوا نادبت وفي حشاشتي نيران يا دار
متى تحول السكان يا من كان له قلب فانقلب يا من كان له وقت مع الله فذهب
قيام الاسحار يستوحشك كما صيام النهار يستملك عنك ليالي الوصال تعاتبك
على انقطاعك تتشاغلهم عنا بصحبة غيرنا واظهرتم الهجران ما هكذا كنا
واصمتم ان لا تحولوا عن الهوى فقد وصياة الحب حلتم وما حلنا
ليالي كنا نجتني من ثماركم وخلي الى تلك الليالي قد حننا اخواني مجالس الذكر
ماتم الاحزان فهذا يبكي لذنوبه وهذا يندب لعيوبه وهذا يتاسف على
فوات مطلوبه وهذا يتلهف لاعراض محبوبه وهذا ينوح بوجده
وهذا ينوح على فقده ما اذكر عيشنا الذي قد سلفا الا وجف القلب وكم قد وجفا
واها لزماننا الذي ان صفا والا سفا لفوته واسفا كاني اراك الخلع قد خلعت على
المقبولين كاني اراك الملايكة تصافح الثانيين فتعالوا نجتمع فنبكي على المطرودين
ما زال دهر اللقا متعرضا وبطال ما كنت متعرضا جانبتنا

الألوكة
www.alukah.net

سوانا صرت تبكي ما مضى لو كنت لازمت الوقوف ببابنا للبست من احسا
ننا خلع الرضا تحن لكن تركت حقوقنا فهجرتنا فلذا اضاق عليك متسع الفو
اخره والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضا ويرضى
وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى اله وصحبه اجمعين آمين

الكلام على حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه تاليف الشيخ الامام الزاهد عبد الرحمه
بن رجب رحمه الله تعالى وعفى عنه وغفر لنا وله ولوالدينا وجميع اخواننا المسلمين امين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله

خرج الامام احمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
علم دعاء امره ان يتعاهد به اهله كل يوم قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك وبك واليك اللهم ما قلت من قول او نذرت من نذر او حلفت
من حلف فمشيتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة
الا بك انك على كل شيء قدير اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما
لعنت من لعنه فعلى من لعنت انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني
بالصالحين اللهم اني اسئلك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر
الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك اللهم
ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكسب خطيئة محظية او ذنبا لا
تغفره اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام فاني اعهد
اليك في هذه الحياة الدنيا واشهدك وكفى بك شهيدا اني اشهد ان لا اله الا انت لك
الملك ولك الحمد وانت على كل شيء قدير واشهد ان محمدا عبدك ورسولك واشهد ان
وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة لاريب فيها وانك تبعث
من في القبور واشهد انك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة
واني لا اثق الا برحمتك فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وتب علي
انك انت التواب الرحيم قوله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك معناه اجابة
لدعائك مرة بعد مرة وليس المراد به حقيقة التثنية للتكثير والتكثير كقوله
ثم ارجع البصر كرتين يعني مرة بعد مرة واصله من لبب بالمكان اذا لزمه

واقام فيه

واقام فيه فكان الملبي يجيب دعوة الله ويلزم ذلك ويقتضي ايضا سرعة الاجابة
مع الدوام عليها قوله وسعديك يعني اسعادا بعد اسعاد والمعنى طاعة بعد طاعة
واصله ان المنادي اذا دعى غيره ان المجيب لدعائه يجيبه اسعادا له ومساعدة ثم نقل
ذلك الى مطلق الطاعة حتى استعمل في اجابة دعاء الله عز وجل وحكى عن العرب سبحانك
وسعدانه على معنى اسبحه واطيعه تسمية الاسعاد بسعد ان كما سمي التسبيح
بسبحان ولم يسمع سعديك مفردا ولا عكس انه سبحانه يدعو عباده الى ما فيه رضاه
عنهم ويوجب لهم سعادة الاخرة فمن اجاب داعاه واستجاب له فقد افلح قال تعالى والله يدعو
الى دار السلام وقال تعالى قالت لهم رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض الاية وقال تعالى
حكاية عن الجن الذين استمعوا القرآن يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به الاية ولهذا
يقول الملبي في الحج لبيك اللهم لبيك يعني اجابة لدعائك وطاعة لك حيث دعوتنا الى الحج
ببيتك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الاستفتاح في الصلاة وقد قيل انه
كان يقوله في قيام الليل وروي انه كان يقول في استفتاح المكتوبة لبيك اللهم ولبيك
وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس اليك انا بك واليك تباركت وتعاليت
استغفرك واتوب اليك خرجه مسلم من حديث علي وروي من حديث حذيفة
مرفوعا وموقوفا وهو الحج لبيك وسعديك والخير بيديك تباركت وتعاليت
وحنانيك والمهتدي من هديت عبدك بين يديك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك
تباركت وتعاليت رب البيت فاذا كان العبد في صبح كل يوم يقول لبيك اللهم
لبيك وسعديك فانه يريد بذلك اني اصبحت مجيبا لدعوتك مسرعا اليها مقيما
على طاعتك ممتثلا لاوامرك مجتنبا لنواهيك فاذا قال ذلك بلسانه فالواجب
ان يتبع ذلك بعمله ليكون مستجيبا لدعوة الله قولا وفعلا وانه قال ذلك بلسانه
ثم خالف ذلك بعمله فقد خالف قوله عمله وهو جدير ان لا يجاب كما لا يجاب من
حج بمال حرام وقال اللهم لبيك فيقال له لا لبيك ولا سعديك في بعض الاثار ان الله عز
وجل ينادي كل يوم ابن ادم ما انصفتني اذكرك وتنساني وادعوك الى ودك
الى غيري واذهب عنك البلايا وانت معتكف على الخطايا ابن آدم ما اعدلك
اذا جئتني كم دعاك الي بابه فما اجبت والبيت كم استدعاك الى جنابه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وابيت كم عرضت عليك واجبانه فتكاسلت وتوانيت وزجرت عن منهيانه
فما انزجرت وتماديت كم سمعت داعي الحق فتصاممت وكم رايت ايانه فتعاميت
فيامن جسده حي وقلبه ميت شعرا يا نفس وعكف قد اتاك هداك اجيبي فداع
الحق قد ناداك كم دعيتي الى الرشاد فتعرضي واجبت داعي الغي حين دعاك
طوبى لمن اجاب داعي الله حين دعاه يا قوم اجيبوا داعي الله هكذا يا عبد سوء
هكذا عبد سوء انت لم تصلح لنا هكذا يا عبد سوء هكذا بعد ما فارقتنا جانبتنا كم
دعوناك فما اجبتنا واختبرناك فما اعجبتنا قوله والخير في يديك اشارة الى ان
الله عز وجل انما يدعو اعباده الى ما هو خير لهم مما يصلح دينهم ودنياهم واخرتهم فانه
يدعوهم الى دار السلام ويدعوهم ليغفر لهم ذنوبهم فاذا سارع العبد الى اجابة دعوة ربه
بتلبيته والاستجابة له قال مع ذلك والخير في يديك اشارة الى اني استجيب دعوتك
طمعا في نيل الخير الذي كله بيديك وانت ما تدعو العبد الا الى ما هو خير له في دنياه
واخرته يا هذا الوداعك مخلوق ترجو اخير لاسرعت الى اجابته مع انه لا يملك لك
ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فكيف لا تسارع الى اجابته من الخير كله في يديه والايدي
عموا الا الى خير يوصله اليك الم ير التقي ناس صدقوا فقادهم التقى حيث القوا ذلك
الم يقل الاله الى عبدي كل الخير عندي في المعاد قوله ومنك وبك واليك
يحتمل ان مراده ان الخير كله منك وبك واليك يعني ان مبدا الخير منك كما قال تعالى
وما بكم من نعمة فمن الله وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فالله تعالى
هو المبتدي بالخير فمنه بدا ونشا والخير به يعني ان دوامه واستمراره وثبوته
بامره ولو شاء لنزعه وسلبه صاحبه وقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولئن شئنا لنذ
هبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا قوله كبيرا يعني ان دوام هذه
النعمة عليك من الله كما ان ابتدائها منه والخير اليه يعني انه يرجع بصاحبه في
الاخرة اليه والى جواره وقربه في جنات النعيم فينتهي الخير بصاحبه الى الله عز وجل
ويحتمل ان المراد بقوله ومنك وبك واليك ان العبد بنفسه منه الله وبالله والى
الله كما في حديث الاستفتاح انا لك واليك فلعل هذا الضمير يكون معنى الكلام
ان العبد وجوده من الله فانه كان عدما فاوجده ربه وخلقه وهو في حال وجوده

في الدنيا

في الدنيا بالله اي بان ثباته وقيامه بالله فلولا ان الله يقيم الوجود وما فيه من انواع الخلق
لهلك ذلك كله وتلف ومنه اسماء الحي القيوم وقال ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا
وفي الاثر المعروف في التوراة يا موسى لو مت لسقطت السماء على الارض وبعد انتقال
العباد من هذه الدار فان مرجعهم الى الله كما قال تعالى اليه مرجعكم جميعا وقال ثم اليه ترجعون
في ايات كثيرة وفي هذا المعنى قال بعض العارفين حقيقة التوحيد ان يكون العبد فانيا
بالله عز وجل عن كل شيء سواه ومنه واليه كما قال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شيء
الا ورايت الله فيه من اوجد الانسان من عدم واقامه ولولا الله لا له الا هو لم يقم اليه مرجعه
وهو باعثه بعد الممات من الاجداث والرمم قوله اللهم ما قلت من قول او نذرت من
نذر او حلفت من حلف فمشيتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشا لم يكن ولا حول ولا قوة
الا بك انك على كل شيء قدير ذكر الخطابي في كتاب الدعاء ان قوله فمشيتك روي بضم التاء
فقها واه من رواه بالضم قال المعنى الاعتذار السابق الاقوال العائقة عن الوفاء مما الزم
العبد نفسه من النذور والايمان قال وفي هذا طرف من الجبر قال والصواب رواية من رواه
بفتح التاء على اضمار فعل كانه قال فاني اقدم مشيتك في ذلك وانوي الاستثناء فيه رجاء
للحنث عني عند وقوع الحلف قلت وفيه حجة لمن ذهب من المكيين في جواز الا
ستثناء منفصلا عن اليمين قلت والصواب هذا للعني على الروايتين اعني رواية
الضم وليس المراد برواية الضم الاعتذار بالعذر وانما المعنى فمشيتك بين يدي ذلك كله
مقدمة فهو مبتدا حذف خبره ويشهد لهذا المعنى ما خرجه ابو داود في سننه باسناده
عن ابي الورد انه كان يقول حين يصبح اللهم ما حلفت من حلف او قلت من قول
او نذرت من نذر فمشيتك بين يدي ذلك كله ما شئت كان وما لم تشا لم يكن اللهم
اغفر لي وتجاوز عني اللهم ما صليت عليه فعليه صلاتي ومن لعنت فعليه لعنتي
كان في استثنائه يومه ذلك فقد صرح ابو داود بهذا الاستثناء بالمشيئة انه يكون
استثناء يومه ذلك يعني فيما يحلف به وينذره ويقوله في هذا اليوم وهذا صريح
في انه يكون استثناء فيما يستقبله من الكلام في يومه ذلك واما قول الخطابي انه
ينفع الحنث كقول من يقول ذلك في الاستثناء المتصل بعد الكلام كما حكاه عن
المكيين فاصل ذلك انه قد روي عن المكيين كعطا ومجاهد وعمرو بن دينار وابن
جريج وغيرهم انه ينفع الاستثناء بعد مدة من اليمين وروي ذلك عن ابن عباس
من وجوه وقد طعن فيها كلها غير واحد منهم القاضي اسمعيل المالكي والحافظ

موسى الدينوري وله في ذلك مصنف مفرد وروي عن ابن عباس في قوله واذكر ربك اذا نسيت
قال هي خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره خرجه الطبري من وجه ضعيف وروي
ذلك عن ابن جريج ايضا وقالت طائفة انما اراد هو والا ان هذا الاستثنا المنفصل
يحصل به امتثال قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا
نسيت وسبب نزولها ان قوما سئلوا النبي صلى الله عليه وسلم عن قصة فقال غدا اخبركم
ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه مدة ثم نزلت هذه الاية في الصحيح ان سليمان
عليه السلام قال لاطوفن الليلة على مائة امراة الحديث وفي الحديث ان بني اسرائيل لولم
يقولوا ان شاء الله لما اهتدوا ابدا يعني الى البقرة التي امروا بذبحها وفي الحديث الذي في
السنن ان يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم السد حتى يكادوا يرون منه شعاع الشمس ثم
يعيدونه فيقولون غدا نفتحه فاذا رجعوا اليه وجدوه كما كان فلا يفتحونه
حتى يأذن الله في فتحه فيقولون غدا نفتحه انشاء الله فيرجعون فيجدونه كما تركوه
فيفتحونه قال سعيد القواح بلغني ان موسى عليه السلام كانت له الى الله حاجة فطلبها
فابطأت فقال ما شاء الله اذا حاجة بين يديه فتعجب فاوحى الله اليه اما علمت
ان قولك ما شاء الله الخ ما طلبت به الحوائج قال ابراهيم بن ادهم قل بعضهم ما
شاء الله سئل السائلون مسئلة هي ان حج من ان يقول العبد ما شاء الله ما شاء الله قال
يعني بذلك التفويض الى الله وكانه مالك به الا ان كثيرا مما يقول ما شاء الله خفايا من رجل
على ذلك فراد في منامه قائلا يقول الله المعاتب لمالك على قوله ما شاء الله لو شاء ما
لك ان يتعتب الخذول يقوله ما شاء الله فعل قال حماد بن زيد جعل رجل جعلا
على ان يعبر نهرا فعبر حتى اذا قرب من الشط قال عبرت والله فقال له رجل قل
ما شاء الله فقال شاء الله او لم يشا فاخذته الارض فلا ينبغي للعبد ان يخبر بفعل
يفعله في المستقبل الا ان يلحقه بمشيئة الله فانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن
والعبد لا يشاء الا ان يشاء الله فاذا نسي هذه المشيئة ثم ذكرها ولو بعد مدة فقد
امتثل ما امر به وزال عنه الاثم وان كان لا يرفع عنه الكفارة ولا الحنث في
يمينه ولهذا في كلام ابي الدرداء اللهم اغفر لي وتجاوز عني فلم استثن الا رفع الاثم
دون رفع الكفارة وكذا روي عن سعيد بن جبير في قوله واذكر ربك اذا نسيت

قال

قال يقول اذا حلفت ونسيت الاستثنا فاستثن اذا ذكرت ولو بعد خمسة اشهر
وستة اشهر فانه يجزيك ما لم تحنث خرجه ادم بن ابي اياس في تفسيره وعلى هذا حمل قول
ابن عباس واصحابه وطائفة من العلماء منهم ابو مسعود الاصبهاني وابن جرير الطبري
وكذا يقال في هذا الحديث في تقديم الاستثنا في اليمين فان تقديمه ابدا متاخرة
عن اليمين فان اليمين لم توجد بعد بالكلية وفي تاخيره قد وجدت وقد قال مالك في
الاستثنا في اليمين انه ذكر المشيئة يريد بها الاستثنا فيمنعه ذلك في منع الحنث
وان كان انما يريد استثنا قول لسعيد ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله لم
يحنث فاني ارى الكفارة وتعقبه المنذر وغيره وكذلك حكاه ابو عبيد عن العلماء
وتردد بعض العلماء في وجوب الكفارة في هذا القسم لتردد نظره بين اللفظ والمعنى فلفظ
معلق بالمشيئة ومعناه الجزم بالفعل غير معلق وانما ذكر الاستثنا تحقيقا وتا
كيدا للفعل وفي الجملة فينبغي حمل حديث زيد بن ثابت على هذا المعنى وان يقدم
المشيئة على كل قول يقوله وحلف وكذا نذره ليخرج بذلك من معهودة استعمال
العبد بفعله واليحقق العبد انه لا يكون مما يعزم عليه العبد ويقوله من حلف ونذر
وغيرهما الا ما شاء الله واراده ولهذا قال بعده ما شئت كان وما لم تشا لم يكن ولا
حول ولا قوة الا بك انك على كل شيء قدير فتبرا من حوله وقوته ومشيئته بدون مشيئة الله
وحوله وقوته واقراره به بقدرته على كل شيء فان العبد عاجز عن كل شيء الا ما قدره
عليه ربه ففي هذا الكلام اقرار الرب بالحول والقوة والقدرة والمشيئة فان العبد غير قادر
على ذلك كله الا على ما يقدره مولاه وهذا نهاية توحيد الربوبية ولله في رحمته من
ابيات ما شئت كان وان لم اشا وما شئت ان لم تشا لم يكن وقد حمل طائفة كلام
الامام احمد كلام ابن عباس في تاويل الاية على وجه اخر وهو ان الرجل اذا قال لا افعل
كذا ولم يكن في نيته الا ان يفعله ثم بدا له ان يفعله ويتخلص بذلك من
الكذب ان لم يكن قد حلف عليه باليمين وكان يحيى بن سعيد القطان اذا قال لا افعل كذا الا
ان يفعله ابدا فاذا قيل له لم لا تحلف يقول ارهو الله يعني الكذب لو كنت حلفت كان اهون
كنت اكفر يميني وافعله وسئل الامام احمد عمن يقول لا اكلم ثم يأكل قال هو كذا ان
يفعل ذلك وسئل ابو الوليد بن مسلم في كتاب الايمان والنذور عما الاوزاعي في

www.alukah.net

فيقول نعم ان شاء الله وما نيته الا ان لا يفعل قال هذا الكذب والحلف قال انما يجوز
المستثنى في اليمين قيل له فان قال نعم ان شاء الله وما نيته ان يفعل ثم بدا له ان
لا يفعل قال استثناؤه مخالفة ما قاله من اول كلامه وهذا يدل على ان الاستثناء
بالمشيئة في غير اليمين انما ينفع لمن لم يكذه مصمما على مخالفة ما قاله من اول كلامه قوله
اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعنه فعلى من لعنت
قال الخطابي الوجه الارتفاع الناس صليت ولعنت في الاولى وتنصبهما في الآخر
والمعنى كانه يقول اصرف صلاتي ودعائي الى من خصصته بصلاتك ورحمتك فاجعل
لعنتي على من استحق اللعن عندك واستوجب الطرد والابعاد في حكمك والالوا
حفوني بالخطابي في وضعي اياها غير موضعها واحلها في غير محلها قال وانما يصح هذا
التاويل اذا كان قد سبقت منه صلاة او لعنه لغير المستحقين قال وقد يحتمل انما
دعا بالتوفيق واشترط في مسئلة العصمة لئلا يجري على لسانه ثناء على الله
يستحق اثنا من او ليائه والاذم الله يستحقه من اعدائه كانه قال اللهم وفقني
حتى لا اوالي الا اوليائك ولا اعادي الا اعدائك قال فالوجه الاول فانما ينصرف
الى الماضي والوجه الآخر الى المستقبل والله اعلم انتهى قلت الاول اصح يشهد له
قول ابي الدرداء اللهم ما صليت عليه فعلية صلاتي ومن لعنت فعليه لعنتي
وقول الخطابي ان هذا الوجه انما ينصرف الى الماضي ضعيف بل الصواب ان ينصرف
الى المستقبل وانما المراد ما لعنت في هذا اليوم من لعنه وما صليت فيه من صلاة
يعني ما العنه وما اصلي وهذا ما تقدم في قوله ما قلت من قول او نذرت من
نذر او حلفت من حلف فمشيتك بين يديه وقد وافق ما تقدم منه ان المراد
ما يقوله ويحلفه وينذره في المستقبل فكذا كل الصلاة واللعن واعلم ان العبد
مبتلى بلسانه يلعن من لا يستحق اللعنة فاذا لم يكن المدعو عليه بها اهلا لها رجعت
الى اللاعن واللعن دعاء فربما اجيب واصاب ذلك الملعون وقد امر النبي صلى الله
عليه وسلم المرأة التي لعنت بعيرها ان ترسله وقال لا تصحبنا ناقة ملعونة وكان
بعض الناس يستفز الا يدخل بيته بشيء ملعون ولا ياكل بيض دجاجة
يلعنها قال بعضهم ما اكلت شيئا ملعونا قط وذكر بن حامد من اصحابنا عن احمد

قال ابن

قال ابن لعن عبده فعليه ان يعتقه او يشأ من ماله ان عليه ان يتصدق قال وبحق في
زوجته ان عليه ان يطلقها ويشهد لهذا في الزوجة وقوع الفرقة بين المتلاعنين
لما كان احدهما كاذبا في الامر قد حقت عليه اللعنة والغضب فاذا قدم العبد من اول
نهاره ان ما لعنت من لعنه فانه لاحق من لعنه الله وما اثنا شنا فهو لاحق بمن
اثنى عليه الله فقد خلص بذلك من اثم اللعنه من لا يستحق اللعن ومدح من لا
يستحق المدح اذا وقع ذلك سهوا او غلطا او عن قوة غضب ونحوه فاما من تعمد
ذلك مع علمه بالحال ففي دخوله في هذا الشرط نظر مع ان عموم الشرط يقتضي دخوله
فيه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من سبه او لعنه او ضربه في غضب ونحوه
انه يكون له كفارة وصلاة وفي رواية وهو غير مستحق وهذا انما يكون اذا ظن استحقا
قد لذلك تبين انه غير مستحق قوله انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني
بالصالحين هذا ما خوذ من دعاء يوسف عليه السلام حين قال فاطر السموات والارض انت
والله عز وجل ولي اوليائه في الدنيا والآخرة يتولى عظيم وكلايتهم وحراستهم في
دينهم ودنياهم ما كانوا احياء فاذا حضرهم الموت توفاهم على الاسلام وادخلهم
بعد الموت بالصالحين وهذا اجل النعم واتمها على الاطلاق وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند وفاته مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وقول يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين قيل دعا لنفسه
بالموت من غير ضر نزل به وقيل انما دعا لنفسه بالموت عند الاسلام عند نزول الموت
وليس فيه دعاء بتعجيل الموت كما اخبر عنه المؤمنين انهم قالوا في دعائهم ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ويؤيد التفسير الاول انه عقبه بالدعاء
الشوق الى لقاء الله وهو يتضمن الدعاء بالموت وتمنيه بقوله تعالى ان كانت لكم الدار الآ
خرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين الاية ثم ذمهم على
عدم تمنيهم بسبب سيئاتهم وعلى حرصهم على طول الحياة في الدنيا وكفى بذلك قوله تعالى
يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم الاية وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم الا تتمنين
الموت الامن وثق بعمله فمن كان له عمل صالح فانه يتمنى القدوم عليه وكف كل من غلب
عليه الخوف لشوقه الى لقاء الله عز وجل ولعامة تمنى الموت خوف فتنة فانه يجوز بغير خلاف
وقد بسطنا الكلام على هذه المسايل في غير هذا الموضع قوله اللهم اني اسئلك الروح
بعد القضى وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك

ضراء مضره والافتقار بضله هذه الثلاث خصال قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يد
عوا بهما في غير هذا الحديث ايضا من حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد شرحنا
حديثه بتمامه في موضع اخر فاما الرضى بالقضا فهو من علامات المحبين الصادقين في المحبة
نعم امتلأت القلوب بمحبة مولاها رضيت بكل ما يقضيه عليها من مولم
سيا ان لامواه وان عذلوا ما لي عن الاحباب مصطبر لابد لي منهم وان تركوا
قلبي بنار الهجر تستعر وعلى ان ارضى بما حكم او طبع كل ما امر اذا امتلأت
القلوب بارضي عن المحبوب صار رضاها ما يرد عليها من احكامه واقداره قال عمر
بن عبد العزيز اصبحت وما لي سرور الا مواقع القضا والقدر دخلوا على بعض
اتباعه في مرضه فقال اصبه الي احبه اليه ان كان سروركم ما قد بليت به
فما الجرح اذا ارضاكم الم حسب سلطان الهوى انه يلذ كل ما يؤلم وربما اختار
بعض الصالحين الذل على العز والفقر على الغنا والمرض على الصحة والموت على الحياة
عزي ذلي وصحتي في سقمي يا قوم رضيت في الهوى سقمي دعني اكفو قد ملا
مني الم مبات على مواعد اللئام ينم وانما قال الرضى بعد القضا لان ذلك هو الرضى
حقيقة وهو الرضى بالقضا قبل وقوعه فهو عزم على الرضى وقد تنفسخ العزائم
مع وقوع الحقائق ومع هذا فلا ينبغي ان يستعجل العبد البلا بل يسأل الله العافية
فيه فان نزل البلا تلقاه بالرضى قتل بعضهم ولدان في الجهاد فجا الناس يعزونه
فبكى وقال ما ابكي على قتلها ولكن كيف رضاها عن الله حين اخذ نفسها السيف
ان كان سكان القضى رضوا بقتلي فرضى والله ما كنت لما يهوى الحبيب مبغضا
صرت لهم عبدا وما للعبد ان يتعرضا من لم يضق لا يرى الا الطيب الممرضا واما
برد العيش ولذاته وما يقر به عين صاحبه فان البرد يحصل به قرة عين الانسان
وطيبها وبرد القلب يوجب انشراحه وطمأنينته بخلاف حرارة القلب والعين ولهذا
في الحديث طهر قلبي بماء الثلج والبرد ودمعة السرور باردة بخلاف دمعة الحزن فانها حارة
فبرد العيش طيبه ونعيمه وفي الحقيقة انما يكمل طيب العيش ونعيمه في الآخرة لا في
الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة وسبب ذلك ان ابن ادم مركب
من جسد وروح وكل منهما يحتاج الى ما يتقوت به وينتعم به وذلك هو عيشه فالجسد

عيشه

عيشه الاكل والشرب والنكاح والطيب وغير ذلك من اللذات الحسية فعيشه بهذا الاعتبار
شابهة بالحيوانات في هذه الاوصاف والروح فهي لطيفة وهي روحانية من جنس الملائكة
فقوتها ولذتها وفرحها وسرورها في معرفة خالقها وبارئها وفاطرها وفيما يقرب منه
من طاعته في ذكره ومحبته والانس به والشوق الى لقائه فهذا هو عيش النفس وقوتها
فاذا فقدت ذلك مرضت او هلكت اعظم مما يهلك الجسد بفقد طعامه وشرابه ولهذا
يوجد كثير من اهل الغنا والسعة يعطى جسده حظه من النعيم ثم يجد الما في قلبه ووحشة
فيظنه الجاهل ان هذا يزول بزيادة هذه اللذات الحسية وبعضهم يظنه انه يزول بالسكر
وكل هذا يزيد الالم والوحشة وانما سببه ان الروح فقدت قوتها وغذاها فمرضت
وتألمت اذا كانت قوت النفوس ثم هجرتها فلم تصبر النفوس التي انست قوتها
ستبقى بقاء الصنب في الما او كما يعيش بعيد المفاوز قوتها قال بعض العارفين لقوم
ما تقولون العيش فيكم قالوا الطعام والشراب ونحو ذلك فقال انما العيش ان الا سقى
منكم احمر الاوهي تجاذبكم الى طاعة الله عز وجل من عاش مع الله طاب عيشه ومن
عاش مع نفسه وهواه طال طيشه قال الحسن ان اصبر الله الذين هم ورثوا طيب
الحياة بما وصلوا اليه من مناجاة حبيبهم وبما وجدوا لذة حبه في قلوبهم وكما
ابراهيم بن ادهم مع اصحابه كسر اربعة ثم قام الى نهر فشرب منه ثم حمد الله ثم قال
لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف ايام الحياة
على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب فقال بعض اصحابه يا ابا اسحق طلب
القوم الراحة والنعيم فاخطأوا الصراط المستقيم ثم قال من اين لكم هذا اهل الجنة قوم
شاتهم عجيب سرورهم زايد وعيشهم طرب العيش عيشهم الكل يلكم ما الناس الا
هم بانوا واقتربوا قيل لبعض العارفين وقد اعتزل الخلق اذا هجرت الخلق مع
ما تعيش قال مع ما هجرتهم لاجلهم وبروعة عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين
كلم الناس قليلا وكلموا الله كثيرا قالوا كيف نكلم الله كثيرا قال اخلوا يذكر لا اخلوا
بذكر نعمائه اخلوا بمناجاته ما اطيب عيش من يخلو بحبيبه من اجل فضل مثلكم
كيف بحبيب واعلم ان الجمع بين هذين العيشين في دار الدنيا غير ممكن فمن اشتغل
بعيش روحه وقلبه حصل له منه نصيب وافر ومن اشتغل بعيش جسده فاته

الألوكة
www.alukah.net

ولم يقدر ان يأخذ منه نهاية شهوته ولم يقدر ان يتوسع في نيل الشهوات انما يأخذ منها
بقدر ما يقوم به حاجته البدنه خاصة فيتنقص بذلك عيش الجسد والابد وهذه
كانت طريقة الانبياء والمرسلين واتباعهم فكان الله تعالى يختار ان يجعل نصيبهم من عيش
اجسادهم ويوفر نصيبهم من عيش قلوبهم وارواحهم قال سهل التستري ما رأى الله
عبدا من قربه ومعرفته نصيبا الاحرمه من الدنيا بقدر ما اعطاه من معرفته وقربه والا
اتاه من الدنيا نصيبا الاحرمه من معرفته وقربه بقدر ما اتاه من الدنيا فكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقتصد في عيشه غاية الاقتصاد مع ما فتح الله عليه من الدنيا والملك
ومات ولم يشبع من خبز الشعير وكان يقول مالي ولي الدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب
قال في ظل شجرة ثم راح وتركها وقال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلاة والنساء والطيب فيهما قوة الروح بخلاف الطعام
والشراب فان ما لا بد منه شرعا من بطنه فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث
نفس وقال بعضهم السعة قلة الطعام عونا على السير الى الخيرات وقال اخر ما قل طعام
امرء الا رق قلبه ونورت عيناه وقال ابراهيم بن ادهم الشبع يميت القلب ومنه الفرح و
الضحك وقال ابو سليمان الجوعة اذا جاعت وعطشت صفى القلب ورق فاذا شبعت
وروت عمي وقال مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الاخرة الجوع وقيل للامام احمد بن حنبل الرجل
رقة من قلبه وهو يشبع قال ما ارى فهذا المعنى شرع الصيام وقد كان النبي صلى الله
عليه وسلم يواصل في صيامه اياما فلا يأكل ولا يشرب واذا سئل عن ذلك يقول اني
لست مثلكم اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني يشير الى انه يستغني عن
قوت جسده بما يمنحه الله من قوت روحه عوض الخلوة به والانس بذكره
ومناجاته وما يورده على قلبه من المعارف القدسية والمواهب الالهية
لها احاديث من ذكر اكر تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد
واعلم ان عيش الجسد يفسد عيش الروح وينغصه واما عيش الروح
فانه يصلح عيش الجسد وقد يغنيه عن كثير مما يحتاج اليه من عيشه كما
بالبصرة رجل من المجتهدين في الطاعة وكان قليل المطعم وبدنه غير

محفوظ فسئل عن سبب ذلك فقال ذلك من فرحي بحب الله اذا ذكرت انه ربي وانا عبده
لم يزل بعيني ان يصلي وسئل ابو الحسن بن بشار هل يكون الولي سمينا قال نعم اذا
كان الولي اهينا قيل له فما الله يبغض الحبر السمين قال اذا علم الحبر عبد من هو زاد سمنا
وكان بشر يخطو في داره ويقول كفى بي عزا اني لك عبد وكفى بي فخرا انك لي رب
نسبت لكم عبدا وذلك بغيضي وتشريفي قدره بنسبتي لعلاكم فكل عذاب في هواكم
يلذ لي وكل هوان طيب في هواكم لحا الله قلبي ان تغير عنكم وان مال في الدنيا لحب سواكم
فمن وفى بنفسه حظها من عيش جسده بالشهوات الحسية كالطعام والشراب فسد
قلبه وقسي وجلب له ذلك الغفلة وكثرة النوم فتنقص حظ روحه وقلبه من طعام
المناجاة وشراب المعرفة فخسر خسرانا مبينا قال بعضهم مساكين اهل الدنيا خرجوا منها
وما ذاقوا الطيب شيء فيها قيل وما هو قال معرفة الله عز وجل فمن عاش في الدنيا ولا
يعرف ربه ولا يتنعم بخدمته فعيشه عيش البهائم نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والرد لك الازم وتتعب فيما سوف تكره عنه كذلك في الدنيا تعيش البهائم
فالصالحون كلهم قللوا من عيش الاجساد وتوفروا من عيش الارواح لكن منهم من
قلل من عيش بدنه ليستوفيه في الاخرة وهذا تاجر ومنهم من فعل ذلك خوفا من
الحساب عليه في الاخرة والمحققون فعلوا ذلك تقربا للمسيء ما يشغل عن الله لتفرغ القلوب
للعكوف على طاعته وخدمته وشكره والانس به والشوق الى لقائه فان الاخذ من عيش
الاجساد اكثر من قدر الحاجة يلهي عن الله ويشغل عن خدمته قال بعضهم كلما
شغلك عن الله فهو عليك مشوم فلا كان ما يلهي عن الله بعض ويوذيه انه لمشوم
فمن تفرغ احد لطلب عيش الاجساد واعطا نفسه حظها من ذلك الا ونقص حظه
من عيش الارواح وازعامات قلبه من غفلته عن الله واعراضه عنه وقد ذم الله من كان
كذلك فقال فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات الاية انما حصلوا
من شهواتهم ينقطع وبزوال المولى وينقص حظهم بذلك في الاخرة فان كان ما حصلوا
من شهواتهم من حرام فذلك هو الخسران المبين فانه يوجب العقوبة الشديدة في الاخرة
فلما لم يجتمع في الدنيا للعبد بلوغ حظه من عيش روحه وبلوغ نهايته من عيش

الشبكة الألوكة www.alukah.net

جسده جعل للمؤمنين دار جمع لهم فيها بين هذه الحظين على نهاية ما يكون من الكمال
وهي الجنة فان فيها جميع لذات الاجساد وعيشها ونعيمها كما قال تعالى وفيها ما تشتهيه
الانفس وتلذ الاعين وقال لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ولا ينقص حظهم من لذات
ارواحهم فانه يتواتر لذات قلوبهم وتتزايد على ما كان للمؤمنين في الدنيا مما لا نسبة لها
لما كان في الدنيا اليه فان الخير في الدنيا يصير هناك عيانا فاعلى نعيمهم هناك رؤية
الله عز وجل وسماع هويته وقربه ورضاه ويحصل لهم نهاية المعرفة والانس وتتزايد هناك
لذة ذكره على ما كانت في الدنيا فانهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وتصير كلمة التوحيد
لهم كالماء البارد لاهل الدنيا فعلم بهذا ان العيش الطيب على الحقيقة لا يحصل في الدنيا انما
يكون بعد الموت فان من توفر حظه من نعيم جسده في الدنيا نغص به اضعاف حظه من نعيم
الآخرة ومع هذا فهو نعيم منغص لا يدوم ولا يبقى وكثيرا ما ينغص بالامراض والاسقام
وربما انقطع وتبدل صاحبه بالفقر والذل بعد الغنى والعز فان سلم من ذلك كله فانه
ينغصه الموت فاذا جاء الموت فمن كان من تنعم في الدنيا ولذاتها كانه ما ذاق شيئا من لذاتها
خصوصا اذا انتقل العبد بعد الموت الى عذاب الآخرة كما قال تعالى افرايت ان متعناهم سنين
الى قوله فما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وكان الرشيد قد بنى قصرا ونجق وفرشه واستدعاه
بطعام وشراب وملاهي واستدعى ايا العتاهية فقال صف ما نحن فيه من العيش
فانشأ يقول عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور يسعى عليك بما اشتهيت
لدى الرواح وفي البكور فاذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجت الصدور
فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور فبكى الرشيد فقال له الوزير ما يبكيك
يا امير المؤمنين انس فاحزنته فقال الرشيد دعه فانه راثا في عمي فكره ان يزيدنا
في عمي نظر بعض العارفين عند موته الى منزله فاستحسنه فقال لان عيشا يكون آخره
الموت لعيش معجل التنغيص ثم مات من يومه وقال آخر يا غني بالدنانير محب الله اغنى
وقال آخر انما الدنيا وان سرت قليل منغص انما العيش جوار الله في ظل ظليل
حيث لا تسمع ما يوذيك من قال وقيل وقال آخر وكيف يلذ العيش من كان عالما
بان الله الخلق الابد سائله فيا حزنه منه ظلم لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فضله
فلا شقيا في النار منه ولا في عيش ضنك قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة

ضنكا

ضنكا وقد روي عن ابي سعيد الخدري رفوعا وموقوفا ان المعيشة الضنك عذاب القبر
يضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ويسلط عليه تسعة وتسعون تنينا فاما عيشهم في
الآخرة فاضيق واضيق فاما من طاب عيشه بعد الموت فان طيب عيشه لا ينقطع
بل كلما جاءت اليد طيبة ولهذا سئل بعضهم من انعم الناس عيشا فقال الاجسام في التراب
قد امنت العذاب فانتظرت الثواب فهذا في البرزخ فان المؤمن في البرزخ في عيش
طيب روي معمر في المنام بعد موته وهو ينشد موت التقي حياة لا نفاد لها قد مات قوم
وهم في الناس احياء كما ان ابليس ينشد ما احد انعم من مؤمن قبر اعماله توؤنسه منعم
الجسم وفي روضة زينها الله في مجلسه روي عن بعض الصالحين في المنام بعد موته
قال نحن في برزخ محمود نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والاستبرق الى يوم
النشور روي عن بعض الموتى سئل عن حال الفضيل بن عياض فقال كسي حلة لا تقوم لها
الدنيا بحواشيها فاما عيش المتقين في الجنة فلا يحتاج ان يسئل عن طيبه ولذته ويكفي
في ذلك قوله تعالى فهو في عيشة راضية في جنة عالية الآيات ومعنى راضية اي عيشة
يحصل بها الرضى وفسر ابن عباس قوله هنيئا بانه الاكل والشرب فيما يشير الى انه لم يهنهم
العيش الا بعد الموت والخلود فيها قال يزيد الرقاشي اذا اهل الجنة الموت فطاب
لهم العيش واستوت الاسقام فهنيئا لهم في جوار الله طول المقام وقال تعالى ان المتقين
في جنات ونهر الآخر هادنى اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه وسروره وقصوره مسيرة
الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه واعلاهم من ينظر الى وجه الله بكرة وعشيا قال بعض
السلف واذا مر المؤمن له بابا من الجنة من داره الى دار السلام يدخل عليه اذا شاء بلا اذن
قال ابو سليمان الداراني واذا اتاه رسول من رب العزة بالتحية واللطف فلا يدخل عليه
حتى يقول للحاجب استاذن لي على ولي الله قال ليست اصل اليه فذلك قوله واذا رايت
ثم رايت نعيما وملكا كبيرا فسمى ذلك العيش بين فيها ورضوانها والتنعم في الروضات
يبسم وسمي كم من حفيرة ان تبسمت اضاء لها الجنان حين تبسم وسمي وادعما الويهو
المزيد كوفود المحب لو كنت منهم بذلها لك الوادي بهم صابة يرى ان الصبابة مغنم
وسمي افراح المحبين عند ما يخاطبهم مولاهم ويسلم وسمي ابصار تراه جهرة
فلا الضيم يغشاها ولا هي تشام فيا نظرة اهديت الى القلب نظرة اقل بعدها
يسلو المحب المتيم فوحق قرب ان الارادة وصالهم فما غلبت نظرة تشتهي
واقوم والاشتغال بعيش منغص فما فاز بالذات من ليس يقوم فصل

فيا بايعا هذا بخس معمل كانكل لا
لعلك في غمرة تفوز بعيد الغطر والناس صوم فيا بايعا هذا بخس معمل كانكل لا
تدري بلى سوف تعلم ان كنت لا تدري فتلك مصيبه وان كنت تعلم
تدري فالمصيبة اعظم قوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا واستلك لذة النظر الى
وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة هذا يشمل اعلى
نعيم المؤمنين في الدنيا والاخرة واطيب عيش لهم في الدارين فاما لذة النظر الى وجه
الله عز وجل فانه اعلا نعيم اهل الجنة واعظم لذة لهم كما في صحيح مسلم عن صهيب رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى المنادي يا اهل الجنة ان
لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم يبيض وجوهنا الم يدخلنا
الجنة الم يجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا
هو احب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وفي رواية لابن ماجه وغيره في هذا الحديث فواسه ما اعطاهم
شيئا هو احب اليهم ولا اقر لاعينهم منه النظر اليه واخرج الدارمي منه حديث عمر مرفوعا
ان اهل الجنة اذا بلغ بهم النعيم كل مبلغ فظنوا انه لا نعيم افضل منه تجلى الرب
تبارك وتعالى عليهم فينظرون الى وجه الرحمن تبارك وتعالى فينسون كل نعيم وما هم فيه
حين نظروا الى وجه الرحمن واخرج الدارقطني بسند صحيح عنه وزيادة وفيه فيقول
يا اهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني كما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني
في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى انا داود عليه السلام يا داود
ودتم مجوني فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل وفي سنن ابن ماجه مرفوعا بينما اهل
الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فاذا الرب جل جلاله قد اشرف عليهم فقال السلام عليكم
يا اهل الجنة وهو قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فلا يلتفتون الى شيء مما هم فيه
من النعيم ما داموا ينظرون اليه واخرج البيهقي منه حديث جابر مرفوعا ان اهل الجنة
يرزقهم الله عز وجل فيها ما شاءوا من زمرد اخضر فيأتي الرجل بكثبان من مسك اذفر ابيض فتثير عليهم ريحا يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم الى
عدن وهي قصبة الجنة فتقول الملائكة ربنا جاء القوم فيقول مرحبا بالصادقين
مرحبا بالطائعين قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه ويتمتعون بنوره

حتى

حتى لا يبصر بعضهم بعضا ثم يقول ارجعوا الى القصور بما تحف فيرجعون وقد ابصر بعضهم
بعضا فذلك قوله تعالى لا ما نظرة فمظور رحيم وفي مسند البزار من حديث حذيفة مرفوعا في يوم
المزيد ان الله يكشف تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ولولا ان الله قضى الا يحترق
قوم الا احترقوا مما يغشاهم من نوره فيرجعون الى منازلهم تزاد انوارا وامكنة ونضارة وحسنا
حتى يرجعون الى صورهم التي كانوا عليها وروى من حديث انس مرفوعا ان الله يقول لاهل
الجنة اذا استزادهم وتجلى لهم سلام عليكم يا عبادي الذين رضيت عنكم فيقولون
سبحانك فتتصوغ لهم من الجنة وقصورها فيها جونة فيقول غجبها وانهارها وما
جميع ما فيها سبحانك حيا نك فاستقرت الجنة وجميع ما فيها حين نظروا الى الله عز وجل
وروى من حديث علي مرفوعا ان الله عز وجل يتجلى لاهل الجنة عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة
قبل ذلك وهو قوله تعالى وزيادة ولنا مزيد وروى من حديث ابي جعفر مرسلا ان اهل الجنة اذا زار
ربهم تبارك وتعالى وكشف لهم عن وجهه قالوا انت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال
والاكرام فيقول انعامي حبا بعبادي الذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي وخافوني بالغيب
وكانوا مني على اوجل مشفقين فقالوا وعزتك وعظمتك وجلالك ما قدرنا الحق قدرك
وما ادينا اليك حقك فاذن لنا في السجود لك فيقول لهم عز وجل اني قد وضعت عنكم مؤنة
العبادة واريحت لكم ابدانكم فطالما انصبتم لي الابدان واعنيتم لي الوجوه فالان افضيكم
الى روحي ورحمتي وكرامتي فسلوني ما شئتم وتمنوا علي اعطكم امانيكم فاني لم اجزكم اليوم
بقدر اعمالكم ولكنه بقدر رحمتي وكرامتي فما يزالون في الاماني والعطايا والمواهب حتى ان
المقصر في امنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله الى افنائها فيقول لهم تبارك وتعالى
لقد قصرتم في امانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم فقد اوجبت لكم ما سالتم وتمنيتم واكثر
بكم ذريتكم وزدتكم ما تمنيتم عن امانيكم قال ابو عبد الرحمن بن ابي ليلى اذا تجلى لهم ربهم لا يكون
ما اعطوا عند ذلك شيئا قال الحسن اذا تجلى لاهل الجنة نسوا كل نعيم الجنة وكان يقول لو
علم العابدون انهم لا يرون ربهم في الآخرة لماتوا وقال ان احب اسمائهم الذين هم الذين
ارتوا طيب الحياة وذاقوا نعيمها بما وصلوا اليه من مناجاة ربهم وبما وجدوه
من حلاوة حبه في قلوبهم لا سيما اذا خطر على بالهم ذكر شافهته وكشف ستور الحجب عنه في
الغمام الابهى والسرور امامهم جلاله واسمعهم لذة كلامه ورد عليهم جواب ما ناجوه
به ايام حياتهم املى ان اراك يوما من الدهر فاشكو لك الهوى والغليل
وانا جيل من قرب وابدي لك هذا الجوى وهذا التحول قال وهب لو جعل

شبكة الألوكة www.alukah.net

الرؤية والجنة لاحترقت الرؤية روي بشر في المنام فسئل عن حاله وحال الصوفية فقال
تركت فلانا وفلانا بين يدي الله يأكلان ويشربان ويتنعمان قيل فأنت قال أعلم قلة
رغبتي في الطعام فأباحني النظر اليه ياحبيب القلوب مالي سواكا الرحم اليوم
من ناقد اتاكا أنت سؤلي ومنيتي وسروري طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس شوقي من الجنان نعيم غير اني اريدها لاراكا قال ذو النون ماطابت الدنيا الا
بذكره ولا طابت الآخرة الا بعفوه ولا طابت الجنة الا برؤيته ولولا ان الله احتجب عنهم
اهل الجنة لاستغاثت اهل الجنة من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار كان
بعض الصالحين يقول ليت ربي جعل ثوابي من عمله نظرة اليهم يقول كنت ترابا كان
علي بن الموفق يقول اللهم ان كنت تعلم اني اعبدك خوفا من نارك فعذبني بها وان كنت
تعلم اني اعبدك حبا لجنتك فاحرمنيها وان كنت تعلم انما عبدتك حبا مني لك وشوقا
الى وجهك الكريم فاعطنيه واصنع بي ماشئت سمع بعضهم قائلا يقول
كبرت هذه عبدك طمعت في ان تراكا وما حسبت ان ترامن راكا ثم شهق شهقة
فمات لما غلب الشوق على قلوب المحبين استرسوا الى مثل هذه الكلمات وما
تخفي صدورهم اكبر تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر فان منعني الناس المحبين
فمني وعطفك لي عذر ابصار المحب قد غضت من الدنيا والآخرة فلم تقع
الا عند مشاهدة محبوبهم يوم المزيد الروح وقد حمت على فؤادي بحبك
ان يعل به سواكا قلوبي اذا استطعت فضنت طرفي فلم انظر به حتى اراكا اهل
لا بعضي بل كلي وان لم يبق جسمي اجزاكا وفي الاحباب مخصوص بوجد
واخر يدعي معه اشتراكا واذا استكبت دموعي في خدودي تبين من بكى ممن تباكا
فاما من بكى فيقول وجدا وينطق بالهوى من قد تشاكا كان سحنون المحب ينشد
وكان فؤادي خاليا قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهى ويمرح فلما دعى قلبي هواك اجابه
فلست اراه عن فنائك يبرح رضيت ببعدان كنت كاذبا وان كنت في الدنيا
بغيرك افرح وان كان سكني بالبلاد باسرها ان غبت عن عيني لعيني عملح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل فلست ارى قلبي لغيرك يصلح واما الشوق
الى لقائه فهو اجل مقامات العارفين في الدنيا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان

يدعو

يدعو اللهم اجعل حبك احب الاشياء الي وخشيتك اخوف الاشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا اقررت اعين اهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني من عبادتك
وانما قال من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة لان الشوق الى لقاء الله يستلزم محبة
الموت والموت يقع تمنيه كثيرا من اهل الدنيا بوقوع الضراء المضرة في الدنيا وان
كان منهيا عنه في الشرع ويقع من اهل الدين كتمنيه لخشية الوقوع في الفتن المضلة
فسأل تمني الموت خاليا من هذه الحالين وان يكون ناشيا عن محض محبة الله والشوق
الى لقائه وقد حصل هذا المقام لكثير من السلف قال ابو الدرداء احب الموت اشتياقا
الى ربي قال ابو عتبة الخواص كان اخوان لنا احب اليهم من الشهد فقالت رابعة
لقد طالت الايام والليالي بالشوق الى لقاء الله ومكث فتح بن شخرف ثلاثين سنة
لم يرفع رأسه الى السماء ثم رفع رأسه فقال طال شوقي اليك فعجل بالقدوم عليك وكان
بعضهم يقول في مناجاته قبيح بعد ذليل مثلي يعلم عظيما مثلك اللهم انك تعلم انك
لو خيرتني ان تكون لي الدنيا منذ خلقت انتعم فيها حلالا لا اسئل عنها يوم القيمة
وبين ان تخرج روحي الساعة قال بعض السلف اذا ذكرت القدوم على الله كنت
اشد استياقا الى الموت من الصادي الشديد ضمأه في اليوم الحار الشديد حره
الى الشراب الشديد برده اشتاق اليك يا قريب نابع شوق الصادي الى الزلال
الماء قال الجنيد سمعت سريا يقول الشوق اجل مقامات العارف اذا تحقق العارف
بالشوق لها عد كل شيء يشغله عمن يشتاق اليه روى داود الطائي في المنام
على منبر وهو ينشد ما نال عبد من الرحمة منزلة اعلى من الشوق ان الشوق محمود
لازال المحبون يروضون الراحهم في الدنيا حتى خرجته عن ابدان الهوى وصارت
في حواصل طير الشوق فهي تسرح في رياض الانس وترد حياض القدس ثم تأوي
الى قناديل المعرفة المعلقة في المحل الاعلى حول العرش كما قال بعض العارفين
القلوب جوالة فقلب يدور حول العرش وطور حول الحش كلما حلت سما
شت العزيمة من ارجاء الانس على اغصان قلوب الاحباب تمايلت شوقا
الى ذلك الجناب كان بعض السلف يمشي ايه على قوداه من الشوق

الألوكة
www.alukah.net

كانه محمور من غير شراب تر يحني اليك الشوق حتى اميل من اليمين الى الشمال
وياحنيني لذكركم الرياح كما ينشط الاسير من العقال اهل الشوق على طبقتين
احدهما من اقلقه الشوق فغني اصطباره كان ابو عبيدة الخواص ينشد ويضرب
على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه كان داود الطائي يقول بالليل هملي
عطل على الهموم وخالق بيني وبين السهاد وشوقي الى النظر اليك اوبق مني اللذاذ
وخالق بيني وبين الشهوات فانا في سجنك ايها الكريم مطلوب احباي اما جفا
عيني مقروح واما فوادي فهو بالشوق مجروح يذكرني من النسيم عهدكم
فازداد شوقا كلما هبت الريح الراني اذا ما اظلم الليل اشرقت يقلبي من نار
الغرام مصابيح اصلي بذكراكم اذا كنت خاليا لان تذكار الاحبة تسبيح
الطبقة الثانية من اذا اقلقهم الشوق سكنهم الانس بالله فاطمأنت قلوبهم
بذكره وانسوا بقربه وهذه حال الربوبية صلى الله عليه وسلم وخواص العارفين وسئل
الشبلي بماذا نستريح قلوب المحبين والمشتاقين فقال بسرورهم ممن احبوه
واشتاقوا اليه اموت اذا ذكرتك ثم احيا ولولا ما اعد لي ما حييت فاحيا
بالمنى واموت شوقا فكم احيا عليك وكم اموت كانت بعض الصالحات تقول
اليس عجبا ان اكون حية بين اظهركم وقلبي من الاشتياق الى ربي مثل شعل
النار التي لا تنطفئ اموت اشتياقا ثم احيا بذكركم وبين التراقي والصلوع لهيب
فوا عجبا من موت الشوق صبابة ولكن بقاه في الحياة عجيب هذا اصل الايمان
الامن زاحمها لا يصفو الوجد الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها فاما
من ليس عنده منها خبر فربما الام اهلها يا عاذل الاشتياق دعه فانه لديه من
الزفرات غير حشا كما لو كان قلبك قلبه عالمته حاشاك مما عنده حاشاك قوله
صلى الله عليه وسلم اعوذ بك اللهم ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكسب خطيئة
محظمة او ذنبا لا تغفره استعاذ من اربعة اشياء احدها ان يظلم من الطرفين
وهو ان يظلم غيره او يظلم غيره وخرج ابو داود من حديث ام سلمة قالت ما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيتي قط الا رفع طرفه الى السماء فقال اللهم اني اعوذ بك ان

اضل

اضل او افضل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي وخرجه الترمذي وصححه ولفظه اللهم انا
نعوذ بك ان نزل او نضل او نظلم او نظلم او نجهل او يجهل علينا فمن سلم من ظلم
غيره وسلم الناس من ظلمه فقد عفي وعوفي الناس منه وكان بعض السلف يدعو
اللهم سلمني وسلم مني والناس العدوان وفرق بين الظلم والعدوان في قوله يا ايها
الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا قوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما الاية
وقد يفرق بين الظلم والعدوان بان الظلم ما كان بغير حق بالكلية كاخذ مال بغير استحقاق
شيء منه وقتل النفس لا بحق قتلها واما العدوان فهو مجاوزة الحد وتعدى بهما فيما
اصله مباح مثل ان يكون له عند احد حق من مال او دم او عرض فيستوفي اكثر منه فهذا
هو العدوان وهو تجاوز ما يجوز اخذه الى ما ليس له اخذه وهو من انواع الربا
المحرمة وقد ورد السببين بالسببية ربا والظلم المطلق اخذ ما ليس له اخذه والاثم
منه من مال او عرض او دم كلاهما في الحقيقة ظلم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا وفي الصحيحين
صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيمة وفيهما عنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليملي
للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وتلى قوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
الاية وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لاخيه فليتحلله
منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان توخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن
له حسنات اخذ من سيئات اخيه فطرحت عليه وفي صحيح مسلم عن صلى الله عليه وسلم قال
اتدرون من المفلس قالوا المفلس من الدراهم له والامتاع قال ان المفلس من ياتي
يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا
وضرب هذا فيقعد هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل
ان يقضى ما عليه اخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وفي الحديث لتؤدن
الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وفي حديث عبد الله
بن انيس ويستل الحجر لم تكب الحجر لم تكب الحجر وليستلن لم خدش صاحبه
نخع القطا غدا اذا وافيت ما كسبت اليوم بالقسطاس في موقف ما فيه الاناصف
او مصطلى وتقنع بالراس اعضاؤهم هي الشهود وسجنهم نار وحاكمهم

ان تعطل الحقوق اليوم مع الغنى فعد التوديها مع الافلاس والظلم المحرم يكون
تارة في النفوس واشده في الدماء وتارة في الاموال وتارة في الاعراض ولهذا قال في خطبته
صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وفي رواية قال الا اسمعتكم الا لا تظالموا الا لا
تظالموا انه لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه
وسلم قال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه فظلم العباد شر مكتسب
لان الحق فيه لادمي مطبوع على الشح فلا يترك من حقه شيأ لا سيما مع شدة
حاجته يوم القيمة فان الامم تتزاحم يومئذ اذا كان لها حق على ولوها تتاخذه
منه ومع هذا فالغالب ان الظالم تعجل له العقوبة في الدنيا وان امهل كما قال صلى الله
عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة الاية قال بعض التابعين لرجل يا مفلس فابتلي بالدين
والحبس بعد اربعين سنة وضرب رجل اباه وسحبه الى مكان فقال الذي راه
هاهنا رايته المضروب قد ضرب اباه وسحبه اليه وصاد بعض وزراء الخلفا
رجلا فاخذ منه ثلاثة الاف دينار فبعد مدة غضب الخليفة على الوزير وطلب وطلب
منه عشرة الاف دينار فجزع اهله من ذلك فقال ما ياخذ مني اكثر من ثلاثة الاف
دينار كما كنت ظلمت فلما اداه ثلاثة الاف دينار وقع الخليفة بالافراج عنه
فسبحان من هو قائم على كل نفس بما كسبت ان ربك لبالمرصاد حاكم العدل
لا يجور وانما يجازي بالعدل وميزان عدله لا يحابي احدا بل يتحرر فيه مثاقيل الذر فجانب الظلم لا تسلك طريقته عواقب الظلم تخشى وهي تنتظر
وكل نفس ستجزى بالذي عملت وليس للخلق من دنياهم وزر الثالث
مما استعاذ منه وهي اكتساب الخطيئة المحيطة قال عز وجل بلى من كسب سيئة و
احاطت به خطيئته الاية وفسر احاطة الخطيئة بالموت على الشرك وفسر بالموت
على الذنوب الموجبة للنار من غير توبة منها وكأن ذنوبه احاطت به فمنع جميع

جهاته

جهاته فلم يبق له مخلص منها فالخطايا تحيط بصاحبها حتى تهلكه وقد ضرب النبي
صلى الله عليه وسلم مثل الخطايا يتلبس بها العبد بمثل درع ضيقة يلبسها فتضيق
عليه حتى تخنقه ولا تنفك عنه الا بعمل الحسنات من توبة او غيرها من الاعمال الصالحة
ففي المسند عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مثل الذي
يعمل الحسنات مثل رجل كانت عليه درع ضيقة يلبسها فتضيق عليه ضيقة ثم عمل
حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة فانفكت حلقة اخرى حتى يخرج الى الارض
فلا يخلص العبد من ضيق الذنوب عليه واحاطتها به الا بالتوبة والعمل الصالح
وكان بعض السلف يردد هذين البيتين بالليل ويبكي بكاء شديدا ابكى لذنبك
طول الليل مجتهدا ان البكا معول الاحزان لا تنس ذنبك في النهار وطوله
ان الذنوب تحيط بالانسان الرابع مما استعاذ منه الذنب الذي لا يغفر يدخل
فيه شيئان احدهما الشرك قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية الثاني ان
يعمل العبد ذنبا ولا يوفق لسبب يمحوه عنه بل يلقى الله بغير سبب ما له فلا
يغفر له بل يعاقب عليه فان الله اذا احب عبدا اوقعه في ذنب ووفقه لاسباب
يمحوه عنه اما بالتوبة النصوح واما بحسنات ماحيه وفي ابن ماجه عن ابن مسعود
مرفوعا التائب من الذنب كمن لا ذنب له اذ الحسنات يذهبن السيئات واما ان
يبتليه بمصائب مكفرة فمن يرد الله به خيرا يصب منه ولا تزال البلايا بالمؤمن
حتى يمشي على الارض ولا عليه خطيئة واما ان يغفر بشفاعة باذن الله له يوم
القيامة واما ان يغفر بمجرد فضله ورحمته من غير سبب اخر فحينئذ يكون هذا الذنب
مغفورا قال بعضهم اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب ومراده انه يمحوه عنه واما بجعل
الذنب في حقه سببا للخوف من ربه وذله وانكساره فيكون سببا للرفع
درجة ذلك العبد عنده واذا خف على عبد وقضى عليه بذنب لم يوقفه لشيء من ذلك
فلقي الله بذنبه من غير سبب يمحوه عنه في الدنيا ثم يؤاخذه عليه في الاخرة ولا يغفر
فهذا هو الذنب المستعاذ منه ها هنا وحاصل الامر ان من عامله الله في ذنوبه
بالعدل هلك ومن عامله بالفضل نجى كما قال يحيى بن معاذ اذا وضع عبده على
عبد لم يبق له حسنة واذا بسط فضله على عبد لم يبق له سيئة يا ولي المؤمنين

www.alukah.net

قف مابه اخوف منه ان يعذبك الحاكم يارب عفوك امنك عذبت اسرف الانه نادم

قوله صلى الله عليه وسلم اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام
فاني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا واشهدك وكفى بك شهيدا اني اشهد ان لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وانت على كل شئ قدير واشهد ان محمدا عبدك ورسولك
واشهد ان وعدك حق ولقائك حق والجنة حق والنار حق والساعة اتية لا ريب فيها وانك
تبعث من في القبور هذا الدعاء استفتحه بقوله اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة ذا الجلال والاكرام وقال الله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انت تحكم بين عبادك الاية وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح
صلاة الليل بقوله اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف
فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي المسند والترمذي ان
النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال لقد استجيب لك فسل
والمسؤل في هذا الدعاء ان العبد يعهد الى ربه في هذه الحياة الدنيا ويشهده
كفى به شهيدا انه يشهد له باصول الايمان التي من وفى بها فقد نجى وهي الشهادة
له بالوحدانية واتباعها بالشهادة له بالملك والحمد والقدرة على كل شئ والشهادة
لمحمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية والرسالة والشهادة له بان وعده حق ولقاءه
حق والجنة حق والنار حق والساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في
القبور وقد تضمنت هذه الشهادة اصول الايمان الخمسة فان من شهد لمحمد صلى
الله عليه وسلم بالرسالة فقد شهد بما امر محمد صلى الله عليه وسلم بالشهادة به وهو اصول
الايمان الخمسة بكلها وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكما
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في استفتاحه صلاة الليل انت الحق ووعدك الحق وقولك
الحق ولقائك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق
وقد وردت احاديث بفضل من عهد الى ربه في الدنيا هذا العهد واستشهده
على نفسه بمثل هذه الشهادة ففي سنن ابي داود عن انس مرفوعا من قال حين
يصبح او يمسي اللهم اني اصبحت اشهدك واشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك

اني اشهد

اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك اعتق الله ربعه من
النار ومن قالها مرتين اعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا اعتق الله ثلاثة ارباعه
من النار ومن قالها اربعا اعتقه الله من النار واخرج النسائي والترمذي بمعناه من حديث
سلمان وعايشه وفي المسند عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا اني
اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فانك ان تكلني الى
نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا
توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد الا قال الله عز وجل للملائكة يوم القيمة ان
عبدي قد عهد الي عهدا فاوفوه اياه فيدخله الله الجنة قال القاسم بن عبد الرحمن ما في اهلنا
جارية الا تقول هذا في خدرها قوله صلى الله عليه وسلم واشهدك ان تكلني الى نفسي تكلني
الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك هذا كما في حديث ابن سعود
المتقدم فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير فاني لا اثق الا برحمتك
والمقصود من ذلك سوال العبد لربه ان يتولاه برحمته وان لا يكله الى نفسه وفي كتاب
اليوم والليلة للنسائي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك
به ان تقولي اذا اصبحت واذا امسيت يا حي يا قيوم برحمتك استغيث اصلح لي شاني كله
ولا تكلني الى نفسي طرفة عين وخرج الطبراني وزاد فيه ولا الى احد من الناس وخرج ابو داود
والنسائي من حديث ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوة المكروب اللهم رحمتك
ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت وقال قتادة لما نزل
قوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وفي سنن ابي داود عن عبد الله بن حوالة قال بعثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنغنم على اقدامنا فرجعنا ولم نغنم شيأ وقد عرف الجهد في وجوهنا
فقال اللهم لا تكلهم الي فاضعف عنهم ولا تكلهم الى انفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم الى الناس
فيستاثروا عليهم فاذا وفق الله عبدا توكل بحفظه وكلاءته وهدايته وتوفيقه وتسديده واذا خذله وكله الى نفسه او الى غيره ولهذا كانت هذه

الألوكة
www.alukah.net

حسبنا الله ونعم الوكيل كلمة عظيمة وهي التي قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين القي في النار
وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقالتها عائشة
حين ركبت الناقة لما انقطعت بها الجيش وهي كلمة المؤمنين فمن حقق التوكل على الله
لم يكله الى غيره وتولاه بنفسه وحقيقة التوكل تكلة الامور كلها الى من هي بيده فمن
توكل على الله في جلب مصالحه كلها فانه تعالى هو ولي الذين امنوا وهذا هو حقيقة
مصالح دينه ودنياه تتولى الله مصالحه كلها فانه تعالى هو ولي الذين امنوا وهذا هو حقيقة
الوثوق برحمة الله كما في هذا الدعاء اني لا اثق الا برحمتك فمن وثق برحمة ربه ولم يثق
بغير رحمته فقد حقق التوكل على ربه في توفيقه وتسديده فهو حسبه يتكفل الله بحفظه
ولا يكله الى نفسه وفي هذا الحديث وصف النفس باوصاف ذميمة كل ذلك حذرا ان يوكل
العبد الى منه صفاته وهي اربعة اوصاف الضيعة والعورة والذنب والخطيئة
فالضيعة هي الضياع فمن وكل الى نفسه ضاع لان النفس ضيعة فانها لا تعدو الى الرشد
وانما تعدو الى الغي والعورة ما ينبغي ستره لقبحه ودناءته وكذلك النفس لقبح اوصافها
وسوء اخلاقها الذميمة والذنب والخطيئة معناهما متقارب او متحد وقد يراد بهما
الصغائر وبالآخر الكبائر وقد وصف الله سبحانه وتعالى النفس بانها امارة بالسوء فقال
تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فمن رحمه الله عصمه من السوء الذي تأمر به النفس
وفي حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه ان يقول في كل صباح
ومساء عند نومه اعوذ بك من شر نفسي واعوذ بك من كل دابة انت آخذ بناصيتها
اي نفسه الامارة بالسوء فيفعل كل ما تأمره به نفسه وفي المسند والترمذي مرفوعا
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وجل فقسم الناس الى قسمين كيس وعاجز فالكيس هو اللبيب الحازم العاقل
الذي ينظر في عواقب الامور فهذا يقهر نفسه ويستعملها فيما يعلم انه ينفعها بعد موتها
وان كانت كارهة لذلك والعاجز هو الاحمق الجاهل الذي لا يفكر في العواقب بل يتبع
نفسه على ما تهواه وهي لا تهوى الا ما تظن ان فيه لذاتها وشهواتها في العاجل
وان عاد ذلك بضررها فيما بعد الموت وقد يعود ذلك عليها بالضرر في الدنيا قبل الآخرة
فهذا هو الغالب والملازم فينتج هو لنفسه العار والفضيحة في الدنيا وسقوط

المنزلة عند الله وعند خلقه والهوان والخزي ويحرم بذلك خير الدنيا والآخرة من علم نافع
ورزق واسع وغير ذلك ومن خالف نفسه ولم يتبعها هواها تعجل ذلك العز في الدنيا والآخرة
بركة ذلك من حصول العلم والايمان والرزق وغير ذلك وقيل لبعضهم بما بلغ الاحنف
بن قيس فيكم ما بلغ قال لكان اشد الناس سلطانا على نفسه فهذه النفوس تحتاج الى
محاربة ومجاهدة ومعاداتها اعدى عدو لابن آدم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
المجاهد من جاهد نفسه في الله وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اعدى عدوك
التي بين جنبيك وقال الصديق لعمر رضي الله عنهما في وصيته له عند موته اولا اما احذرك
نفسك التي بين جنبيك وفيه يقول بعضهم كم اصلح ازيد من عدوي اذا كان عدوي
بين اظلاعي وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص لما سأله عن الجهاد ابدأ بنفسك فجاهدها
وابدأ بنفسك فاغزها ويقال ان الجهاد الاكبر وروي من فوي عامة وهو ضعيف فمن
ملك نفسه وقهرها عز بذلك لانه انتصر على اشد اعدائه وقهرة واسره وكفى شره
قال تعالى ومن يوق شح نفسه فالكلام المفلحون فحصر الفلاح في وقاية شح النفس وشحها
وهو تطلعها الى ما منعت منه وحرصها على ما عندها مما تشتهيه من علو ورفع
ومال وجاه ومسكن ومأكل ومشرب وملبس وغير ذلك فانها تطلع الى ذلك كله
وتشتهيه وهو عين هلاكها ومنه ينشأ البغي والحسد والحقد فمن وقي شح نفسه
فقد قهرها وقصرها على ما ابيح لها واذن لها فيه وذلك عين الفلاح كان بعض العارفين
ينشد اذا ما عدلت النفس عن الحق زجرناها وان مالت عن الاخرى الى الدنيا
منعناها تخادعنا وتخدعها وبالصبر غلبناها لها خوف من الفقر وفي العقر
لفقر اخناها وبكل حال فلا يقوى العبد على نفسه الا بتوفيق الله اياه وتوليه له
فمن عصمه الله وحفظه تولاه ووقاه شح نفسه وشرها وقوته على مجاهدتها ومعاداتها
ومن وكله الى نفسه غلبته وقهرته واسرته وجرته الى ما هو عين هلاكه وهو لا
يقدر على الامتناع كما يصنع العدو الكافر اذا ظفر بعدوه المسلم بل شر من ذلك فان
المسلم اذا قتله عدوه الكافر كان شهيدا واما النفس اذا تمكنت من صاحبها فقتلته
قتلا يهلك به في الدنيا والآخرة وهذا معنى الحديث الذي روي من فوي ما ليس عدو كنفسك
اذا قتلته كان لك نورا يوم القيمة وان قتلك دخلت الجنة اعدى عدو كنفسك التي

الألوكة
www.alukah.net

المغفرة بالكلية وفي الحديث يا بن آدم ان جئتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة وفي حديث سيد الاستغفار البداية بذكر التوحيد قبل طلب المغفرة واذا اعترف العبد بذنبه وطلب المغفرة من ربه واقر له بانه لا يغفر الذنوب غيره كان جديرا ان يغفر له ولهذا قال في هذا الحديث فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وكذلك في دعاء سيد الاستغفار وكذلك في الدعاء الذي علمه الصديق ان يقوله في صلاته والى هذا الاشارة في القرآن كقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وفي حديث ابي ذر الذي رواه عن الله عز وجل من علم اني ذو قدرة على المغفرة غفرت له ولا ابالي وفي حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرب ليعجب من عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي يعلم انه لا يغفر الذنوب غيري وفي الصحيح حديث الذي اذنب ذنبا فقال رب عملت ذنبا فاغفر لي فقال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي ثم قال في الرابعة فليعمل ما شاء يعني ما دام في هذه الحال كلما اذنب استغفر وفي السنن عن ابن بكر الصديق رضي الله عنه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة التوبة والاستغفار تقبل انا آية الليل والنهار وفي صحيح مسلم مرفوعا ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ولكن بعض الاوقات ارجى للقبول فاذا وقعت التوبة والاستغفار في مظان الاجابة كان اقرب الى حصول المطلوب ولهذا مدح الله المستغفرين بالاسحار فقال والمستغفرين بالاسحار وفي الصحيح حديث النزول ان الله يقول كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فاتوب عليه قال الفضيل بن عياض ما من ليلة اختلط ظلامها والرجاء الليل بالستر بها الا ناداه الجليل جل جلاله من اعظم مني جودا والخلق يقلي لعاصون وانا لهم مراقب اكلؤهم في مضاجعهم كانهم لم يعصوني وانوفي حفظهم كانهم لم يزالوا فيما بيني وبينهم اجود بالفضل على العاصي والتفضل على المسيء من ذا الذي دعاني فلم البه ام من ذا الذي سألني فلم اعطه ام من ذا الذي اناخ ببابي فنحيته انا الفضل ومني الفضل انا الجواد ومني الجود انا الكريم ومني الكرم ومن كرمي اني اغفر للعاصي بعد المعاصي ومن كرمي اني اعطي العبد ما سألني ومالم يسألني ومن كرمي اني اعطي التائب كانه لم يعصني فاتيه في بعض الخلايق واني

شبكة الألوكة www.alukah.net

صنيعك ولهذا كان من اهم ما سئل العبد ربه ان لا يكله الى نفسه طرفة عين يا رب حي لنا منك امرا رشدا واجعل معونتك الحسنى لنا مددا ولا تكلنا الى تدبير انفسنا فالعبد يعجز عن اصلاح ما فسد وقوله صلى الله عليه وسلم فاغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وتب علي انك انت التواب الرحيم ختم الدعا بسؤال المغفرة والتوبة قال بعض السلف الدنيا اما عصمة الله او الهلكة والاخرة اما عفو الله او النار فمن حصل له في الدنيا التوبة وفي الاخرة المغفرة فقد ظفر بسعادة الدنيا والاخرة وقد تكرر في الكتاب والسنة ذكر الامر بالتوبة والاستغفار قال الله تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه الاية وقال تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه واخبر عن هود عليه السلام وصالح وشعيب عليهم السلام انهم امروا امتهم بالاستغفار والتوبة وقال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله الاية ثم وترك الاصرار هو التوبة وفي صحيح مسلم عن الاغر المزني انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس توبوا الى ربكم واستغفروه فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة خرجه النسائي ولفظه يا ايها الناس توبوا الى ربكم واستغفروه فاني اتوب الى الله واستغفره كل يوم اكثر من سبعين مرة وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وخرجه النسائي وابن ماجه ولفظهما اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة مرة وفي السنن عن حذيفة قال كان في لساني ذرب على اهلي ما اعده الى غيرهم فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اين انت من الاستغفار اني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة واتوب اليه وفيه عن ابن موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة واتوب اليه وفي السنن الاربعة عن ابن عمر انا كنا نعد للنبي صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم الغفور وانما قدم ذكر الشهادة بالتوحيد على طلب المغفرة لان التوحيد اعظم الاسباب التي تستجلب بها المغفرة وعدمه مانع من

يتمنى

باب يتمنى العاصون ما للعصاة هرب منه الاليه هربت منه اليه بكيت منه عليه

وحقه هو سؤلي لازلت بينا بينه حتى انال داخلي بما ارجو لديه اساءت واحسن

وحبيبك تائبا واني لعبدك مواليه بهرب يؤمل غفرانا خان خائب ظنه فما احر

على الارض اخيب هو ارحم بعبادة منه الوالدة بولدها وافرح بتوبة عبده ممن

فقد راحلته بارض مهلكة حتى يئس من الحياة ثم وجدها يا مطرود احذر ان تفارق

عتبة بابهم يا مرميا بالبعاد ابا كل ان تبعد عن جنابهم يا محجوبا بالبكا وترام عليهم

يا مسوف بالعقاب لا تهرب منهم الا اليهم في حديث جابر المرفوع ان العبد ليدع

الله وهو عليه غضبان فيعرض عنه فلا يزال يدعوه حتى يقول الله عز وجل للملائكة

ان عبدي قد ابى ان يدعوا غيري فقد استجبت له كان رجل من اصحاب ذي النون يطوف

في الليل يبكي وينادي اين قلبي اين قلبي منذ وجد قلبي فدخل يوما بعض السكك فوجد

صبيا يبكي وامه تضربه ثم اخرجته من الدار واغلقت الباب دونه فجعل الصبي يلتفت

يمينا وشمالا ولا يدري اين يذهب والا اين يقصد فرجع الى باب الدار فوضع راسه

على عتبته فنام فلما استيقظ جعل يبكي ويقول يا امام من يفتح لي الباب اذا اغلقت عني

بابك ومن يدنيني منه نفسه اذا طردتني ومن ذا الذي يدنيني بعد ان غضبتي علي

فرجعت امه فقامت ونظرت من خلل الباب فوجدته ولوها تجري الدموع على خديه

متمعكا في التراب ففتحت الباب واخذته حتى وضعته في حجرها وجعلت تقبله

وتقول يا قرة عيني وعز نفسي انت الذي حملتني على نفسك وانت الذي تعرضت

لما حل بك لو كنت اطعتني لم تلق مني مكروها فتواجد الرجل ثم قام وصاح وقال

قد وجدت قلبي قد وجد قلبي هكذا ينبغي ان تكون حال العبد مع ربه اذا هجر واغرا

وصلنا لذ للاذ وان بعد وايا ساقربنا تعللا وان غلقوا بالهجر الباب وصلهم

وقالوا البعد واعنا طلبنا التوصلا وقفنا على ابوابهم نطلب الرضى

على الترب عفرنا الخدود تذللا اشرنا بتسليم وان بعد المدى

اليهم وكلفنا الرياح التحملا اخره والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا

مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على محمد وآله وصحبه

كتاب الذل والانكسار للعزيز الجبار تاليف الشيخ الامام العالم العلامه
زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته امين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والحول والاقوة الا بالله
الحمد لله جابر قلوب المنكسرة قلوبهم من اجله وغافر ذنوب المستغفرين لذنوبهم
بفضله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا شيء كمثله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وخير بين
ان يكون ملكا نبيا او عبدا رسولا فاختار مقام العبودية مع رسله فكان يقول
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين لشرف هذا
المقام وفضله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه المتمسكين به بعد بجلاله اما
بعد فان الله سبحانه مدح في كتابه المخبتين له والمنكسرين لعظمته والخا
ضعين فقال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين وقال تعالى والخاشعين والخاشعات الى قوله اعد الله
لهم مغفرة واجرا عظيما ووصف المؤمنين بالخشوع له في اشرف عباداتهم التي
هم عليها يحافظون فقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ووصف
الذين اوتوا العلم بالخشوع له في اشرف عباداتهم التي هم عليها يحافظون حيث يكون لهم
كلاما مسموعا فقال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للا
ذقان سجدا الى قوله ويزيدهم خشوعا واصل الخشوع هو لين القلب ورقته
وسكونه وخضوعه وانكساره وخرقته فاذا خشع القلب تبعه خشوع
جميع الجوارح والاعضاء لانها تابعة له كما قال صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي
القلب فاذا خشع القلب خشع السمع والبصر والراس والوجه وسائر
الاعضاء وما ينشأ منها حتى الكلام ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
في ركوعه وسجوده خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي

مكتبة الملك فهد الوطنية
رقم التسجيل العام
رقم التسجيل الخاص
التاريخ / / ١٤٢٣هـ

الألوكة
www.alukah.net

وما استقل به قدمي وربما بعض السلف جلا يعتث بيده في صلاته فقال لو خشع

قلب هذا لخشعت جوارحه وروي ذلك عن حذيفة وسعيد بن المسيب وبريدة

مرفوعا باسناد لا بصح قال المسعودي عن ابي سنان عن حرثة عن علي بن ابي طالب

في القلب وان تليين كنف المرء المسلم وان لا تلتفت في صلاتك وقال عطاء بن ابي رباح

عن رجل عن علي الخشوع خشوع القلب وان لا تلتفت يمينا ولا شمالا وقال علي

ابي طلحة عن ابن عباس في قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون قال خائفون ساكنون

وقال ابن شوذب عن الحسن كان الخشوع في قلوبهم فغضوا له البصر وحفظوا له

الجناح وقال منصور عن مجاهد الخشوع في القلب والسكون في الصلاة وقال الليث

عن مجاهد من ذلك حفظ الجناح وغض البصر وكان المسلمون اذا قاموا احرموا

الى الصلاة خاف ربه ان يلتفت عن يمينه او شماله وقال عطا الخراساني الخشوع في

القلب والطرف وقال الزهري هو سكون العبد في صلاته وعن قتادة قال الخشوع

في القلب هو الخوف وغض البصر في الصلاة وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله

تعالى وكانوا لنا خاشعين قال متواضعين وقد وصف الله تعالى الارض بالخشوع

فقال وترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت فاهتز ازهاد

ربوها هو ارتفاعها فدل على ان الخشوع الذي كانت عليه هو سكونها

وانخفاضها وكذلك القلب اذا خشع فانه تسكن خواطره وارادته الردية التي

تنشأ من اتباع الهوى وتنكسر وتخضع لله عز وجل فيزول بذلك ما كان فيه

من الترفع والتعاظم والتكبر ومتى سكنت ذلك في القلب خشعت الاعضاء

والجوارح والحركات كلها حتى الصوت وقد وصف الله الاصوات بالخشوع في قوله

وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا فخشوع الاصوات هو

سكونها وانخفاضها بعد ارتفاعها وكذلك وصف وجوه الكفار والعصاة

في يوم القيمة بالخشوع فدل ذلك على دخول الخشوع في هذه الاعضاء

كلها ومتى تكلف الانسان تعاطي الخشوع في جوارحه واطرافه مع فراغ

قلبه من الخشوع وخلوه منه كان ذلك خشوع نفاق وهو الذي كان

السلف

السلف يستعيذون منه كما قال بعضهم استعيذوا بالله من خشوع النفاق قالوا

وما خشوع النفاق قال ان يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع ونظر عمر

رضي الله عنه الى شاب قد نكس رأسه فقال يا هذا ارفع رأسك فان الخشوع

لا يزيد على ما في القلب فمن اظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فانما هو نفاق

على نفاق واصل الخشوع الحاصل في القلب انما هو من معرفة الله ومعرفة عظمته

وجلاله وكماله فمن كان بالله اعرف فهو له اخشع وتتفاوت القلوب في الخشوع

بحسب تفاوت معرفتها بالله خشعت له وبحسب تفاوتها في الخشوع

للصفات المقتضية للخشوع فمن خاشع لقوة سطالعته لقرب الله من عبده

والاطلاع على سره وضميره المقتضي للاستحياء من الله ومراقبته في الحركات

والسكنات ومن خاشع لمطالعته لجلال الله وعظمته وكبريائه المقتضي لهيبته

ومن خاشع لمطالعته لكماله وجماله المقتضي للاستغراق في محبته والشوق

الى لقائه ورؤيته ومن خاشع لمطالعة شدة بطشه وانتقامه وعقابه المقتضي

للخوف منه وهو سبحانه وتعالى جابر القلوب المنكسرة لاجله فهو سبحانه وتعالى يقرب

من القلوب الخاشعة له كما يتقرب ممن يناجيه في الصلاة ومن يعفره وجهه

بالتراب في السجود كما يتقرب من وفد وزار بيته الواقفين بين يديه المتضرعين

اليه في الوقوف بعرفة ومزدلفة وسائر المواقف بين يديه كما يتقرب من عباده الداعين

له السائلين له المستغفرين منه ذنوبهم بالاسحار ويجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم

ولا جبر للانكسار العبد اعظم من القرب والاجابة وروى الامام احمد في كتاب

الزهد باسناده عن عمران القصير قال قال موسى بن عمران عليه السلام اي رب

اين ابتغيك قال ابتغني عند المنكسرة قلوبهم من اجلي قال يا دنوتهم في كل يوم

وليلة باعا ولولا ذلك لاندهموا وروى ابراهيم بن الجنيد في كتاب المحبة عن

جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار قال قال موسى عليه السلام الهي اين

ابتغيك فاوحى الله عز وجل اليه ان يا موسى ابتغني عند المنكسرة قلوبهم فانا

منهم كل يوم وليلة باعا ولولا ذلك لاندهموا قال جعفر فقلت لمالك بن دينار

www.alukah.net

كيف المنكسرة قلوبهم فقال سالت الذي قرأ في الكتب فقال سالت الذي سال عبد الله
بن سلام فقال سالت عبد الله بن سلام عن المنكسرة قلوبهم ما يعني قال المنكسرة قلوبهم
بحب الله عز وجل على حب غيره وقد جاء في السنة الصحيحة ما يشهد لقرب الله من
القلب المنكسر ببلائه الصابر على قضائه او الراضي بذلك كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيمة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال
يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلان مرض فلم تعده
اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده وروى ابو نعيم بسنده بطريق ضعيف عن انس مرفوعا
قال اوحى الله الى موسى عليه السلام انذر بني اسرائيل اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي قال الهي قال لانه لم يتواضع لي احد تواضعك فصل وهذا
الخشوع هو العلم النافع وهو اول ما يرفع من العلم فخرج النسائي من حديث
جبير بن نفير عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى السماء يوما وقال هذا
اوان يرفع العلم فقال رجل من الانصار يقال له زياد بن لبيد يا رسول الله وكيف يرفع العلم
وقد اثبت ووعته القلوب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت لاحسبك من
افقه اهل المدينة وذكر ضلالة اليهود والنصارى على ما في ايديهم من كتاب الله
عز وجل قال فلقيت شداد بن اوس فحدثته بحديث عوف بن مالك فقال صدق
عوف الا اخبرك بأول ذلك يرفع قلت بلى قال الخشوع حتى لا ترى خاشعا وخرجه
الترمذي من حديث جبير بن نفير عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفي
اخره قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت فقلت الا تسمع الى ما يقول اخوك
ابو الدرداء فاخبرته بالذي قال ابو الدرداء قال صدق ابو الدرداء لو شئت لحدثتك
باول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك ان تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه
رجلا خاشعا وقد قيل ان رواية النسائي الرجح وقد روى سعيد بن بشير عن
قتادة عن الحسن عن شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يرفع من
الناس الخشوع فذكره ورواه ابو بكر بن ابي مريم عن ضمرة بن حبيب عن سلا
وروي نحوه عن حذيفة من قوله فالعلم النافع هو ما باشر القلوب فاوجب
لها السكينة والخشية والانخباث لله عز وجل والتواضع والانكسار له واذا

لم يباشر

لم يباشر القلب ذلك من العلم النافع وانما كان على اللسان فهو حجة الله على ابن ادم يقوم
على صاحبه وغيره كما قال ابن مسعود ان اقواما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكنه
اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع صاحبه وقال احمد العلم علمان علم باللسان
وعلم بالقلب فعلم القلب هو العلم النافع وعلم اللسان حجة الله على ابن ادم وروي
عن الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه عن جابر مرفوعا وعنه عن انس
مرفوعا ولا يصح وصله فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان العلم عند اهل الكتابين من قبلنا
موجود بايديهم ولا ينتفعون بشيء منه لما فقدوا المقصود منهم وهو وصوله الى قلوبهم
حتى يجد حلاوة الايمان به ومنفعته بحصول الخشية والانابة لقلوبهم وانما هو
على السنتهم يقوم به الحجة عليهم وبهذا المعنى وصف الله العلماء في كتابه بالخشية كما
قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقا
تعالى قوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ووصف العلماء من اهل
الكتاب قبلنا بالخشوع كما قال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم الى قوله
ويزيدهم خشوعا فصل وقوله تعالى في وصف هؤلاء الذين اوتوا العلم ويخرون للاذ
قان يبكون ويزيدهم خشوعا مدح لهم اوجب له سماع كتاب الله الخشوع في قلبه
وقال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين الله نزل احسن الحديث
الى قوله وظنوا بهم الى ذكر الله ولين القلوب هو زوال قسوتها بحدوث الخشوع فيها
والرقة وقد مدح الله من لا تخشع قلبه لسماع كتابه وتدبره قال تعالى الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الى قوله وكثير منهم فاسقون قال ابن مسعود ما كان
بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين خرجه مسلم وخرج غيره
وزادفيه فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا وخرج بنحاجم من حديث ابن
الزبير قال لم يكن بين اسلامنا وبين ان انزلت هذه الاية يعاتبنا الله بها
الا اربع سنين وقد سمع كثير من الصالحين هذه الاية تتلى فاثرت فيهم اثارا
متعددة فمنهم من مات عند ذلك لانصداع قلبه بها ومنهم من تاب
وخرج مما كان فيه وقد ذكرنا اخبارهم في كتاب الاستغنا

الألوكة
www.alukah.net

وقال الواسطي لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله الى
قوله لعلهم يتفكرون قال ابو عمران الجويني والله لقد صار القرآن بيني وبينه حجابا
فمه الى الجبال لخرتها وصناها وكان مالك بن دينار يقرأ هذه الآية ثم يقول اقسم
لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن الا صدع قلبه وروي عن الحسن قال يا بن آدم اذا
وسوس الشيطان لك بخطيئة او هممت بفعلها فاذكر عند ذلك ما حملك الله
من كتابه مما وصفه الجبال الرواسي لخشعت وتصدعت اما سمعته يقول لو انزلنا
لناهذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الآية فانما نضرب لك الامثال لتتفكر
فيها وتعتبر بها وتزدجر بها عن معاصي الله عز وجل وانت يا بن آدم احق ان
تخشع لذكر الله وما حملك من كتابه وانما عنى بقسوة قلبه لان عليه الحساب ولك
الجنة والنار وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من قلب لا يخشع كما
في صحيح مسلم عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ بك من علم
لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وقد
روي نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة وروي عن كعب الاحبار
قال مكتوب في الانجيل يا عيسى قلب لا يخشع على لا ينفع وصوت لا يسمع
ودعاء لا يرفع قال ابن موسى في كتاب الورع حدثنا مبارك بن فضالة قال كان
الحسن يقول اذا كوشفتم لما جاءتهم هذه الدعوى صدقوهم وافضى بقينهم الى
قلوبهم خشعت لذلك قلوبهم وابدانهم وابصارهم كنت والله اذا رأيتهم رأيت
قوما كانهم رأي عين فوالله ما كانوا باهل جول ولا باطل ولا تحلي الى كتاب
الله ما ليس في قلوبهم ولكنه جاءهم عن الله امر فصدقوه فنعتهم الله في القرآن
احسن نعت فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال الحسن
الهون في كلام العرب اللين والسكينة والوقار قال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما قال حلما لا يجهلون واذا جهل عليهم حلموا يصابحون عباد الله
نهارهم بما تنعمون ثم ذكر ليلهم خبرا ليل فقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا

وقياما

وقياما ينتصبون لله على اقدامهم ويغرقون وجوههم لربهم بحد اتجرى دموعهم
على خدودهم فرقا من ربهم قال الحسن لا والله ما اسهر ليلهم ولا امر ما خشع له نهارهم
قال الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما قال وكل شيء
يصيب بن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام انما الغرام اللازم له ما دامت السماوات و
الارض قال صدق القوم والله الذي لا اله الا هو فعملوا ولم يتمنوا فابكم حب
حكم الله وهذه الاماني فان الله لم يعط عبدا بالامنية خيرا قط في الدنيا والاخرة
وكان يقول يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة فصل وقد شرع الله
تعالى لعباده من انواع العبادات ما يظهر فيه خشوع الابدان الناشئ عن خشوع
القلب وذله وانكساره ومن اعظم ما يظهر فيه خشوع الابدان لله تعالى من العبادا
ت الصلاة وقد مدح الله الخاشعين فيها بقوله عز وجل قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون وقد سبق ما قاله بعض السلف في تفسير الخشوع في الصلاة
وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير الذين هم في صلاتهم خاشعون
يعني متواضعين لا يعرف من عن يمينه ولا من عن شماله ولا يلتفت من
الخشوع لله عز وجل وقال ابن المبارك عن ابي جعفر عن ليث عن مجاهد وتوموا لله
قانتين قال القنوت الركوع والخشوع وغض البصر وخفظ الجناح من رهبة
الله عز وجل قال وكان العلماء اذا قام احدهم في الصلاة يهاب الرحمن ان يشد نظره
او يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امر الدنيا
الا ناسيا ما دام في صلاته وقال منصور عن مجاهد في قوله تعالى سيماهم في وجوههم
قال الخشوع في الصلاة وخرج الامام احمد والنسائي والترمذي من حديث الفضل
بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة مثنى مثنى تشهد في كل ركعة وتخشع
وتضرع وتمسكن وتقنع يديك يقول ترفعهما الى ربك عز وجل تقول يا رب يا رب
فكل ذلك لم تفعل ذلك فهي خداج وفي صحيح مسلم عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا
كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت الكبائر وذلك الدهر كله ومن اعظم
فيه الخشوع والذل والانكسار من افعال الصلاة وضع اليدين احداهما على

www.alukah.net

في حال القيام وقد روي عنه الامام احمد انه سئل عن المراد بذلك فقال هو ذا بين يدي
عزيز قال علي بن محمد المصري الواعظ ما سمعت في العلم باعجب من هذا وروي عن
بشر الحافي قال استحي من ذي العزة ان اضع يدا على يد في الصلاة ما امنعني
من ذكر الآن اكون قد اظهرت من الخشوع ما ليس في قلبي مثله وروى محمد بن نصر
المروزي باسناده عن ابي هريرة قال يحشر الناس يوم القيمة على قدر صنيعهم
في الصلاة وفسر بعض رواته فقبض شماله بيمينه وانحنى هكذا وباسناده
عن ابي صالح السمان قال يبعث الناس يوم القيمة هكذا ووضع احدى يديه على
الاخرى وملاحظة هذا المعنى في الصلاة توجب للمصلي ان يتذكر وقوفه بين يدي الله
عز وجل للحساب كان ذو النون يقول في وصف العتاد لو رايت وقد قام الى الصلاة
فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه ان ذلك المقام هو المقام الذي يقوم
الناس فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله خرجه ابو نعيم ومن ذلك اقبال
الله عز وجل وعدم التفاته الى غيره وهو نوعان احدهما عدم التفاته قلبه الى
غير ما هو مناج له وتفريغ القلب للرب عز وجل وفي صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة
عن ابي صلى الله عليه وسلم انه ذكر فضل الوضوء وثوابه ثم قال فان هو قام فصلى فحمد الله
واثنى عليه ومجده بالذي هو اهله وفرغ قلبه لله الا انصرف من خطيئته كيوم
ولدته امه الثاني عدم الالتفات بالبصر يمينا وشمالا وقصر النظر على موضع السجود
وهو من لوازم الخشوع للقلب وعدم التفاته ولهذا راى بعض السلف مصليا
يعبث فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقد سبق ذكره وخرج الطبراني
من حديث بن سيرين عن ابي هريرة قال كان ابي صلى الله عليه وسلم يلتفت عن يمينه
وعن يساره ثم انزل الله عز وجل قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فخشع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكد يلتفت يمنة ولا يسرة وراه يزيد عن بن سيرين
مرسلا وهو اصح وخرج بن ماجه من حديث ام سلمة ام المؤمنين قالت كان الناس
في عهد ابي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدهم يصلي لم يعد بصره موضع قدميه فتوفي

البني

النبي صلى الله عليه وسلم فكان ابو بكر فكان الناس اذا قام احدهم يصلي لم يعد بصره
موضع جبينه فتوفي ابو بكر فكان عمر فكان الناس اذا قام احدهم يصلي لم يعد بصره
احدهم موضع القبلة وكان عثمان بن عفان فكانت الفتنة فتلفت الناس يمينا
وشمالا وفي صحيح البخاري عن عايشة رضي الله عنها قالت سالت ابي صلى الله عليه وسلم عن
الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وخرج
الامام احمد وابو داود والنسائي من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال
الله مقبلا على العبد في صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وخرج الامام
احمد والترمذي من حديث الحارث الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر يحيى بن
زكريا عليهما السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن ويامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن فذكرها وامرهم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده مالم يلتفت فاذا صلوا
فلا تلتفتوا وفي المعنى احاديث اخر متعددة وقال عطاء سمعت ابا هريرة يقول اذا صلى
احدكم فلا يلتفت فانه يناجي ربه فان ربه امامه وانه يناجيه فلا يلتفت قال عطاء والمعنى
ان الرب يقول يا بن ادم الى من تلتفت انا خير لك من التفت اليه وخرجه البزار وغيره
مرفوعا والموقوف اصح وقال ابو عمر ان الجوني اوحى الله الى موسى عليه السلام اذا قمت بين
يدي فقم مقام العبد الحقير الذليل وذم نفسك فهي اولى بالذم وناجني بقلب وجل وان
صادق ومن ذلك الركوع وهو ذل بظاهر الجسد ولهذا كانت العرب تانف منه ولا
تفعله حتى بايع بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يخر الا قائما يعني ان يسجد من غير
ركوع كذا فسره الامام احمد والمحققون من العلماء وقال ابن عقيل ليس الركوع الا ليس
وتمام الخضوع في الركوع ان يخضع القلب لله ويذل له فيتم بذلك خضوع القلب بباطنه
وظاهره لله عز وجل ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه خشع لك سمعي و
بصري ومخي وعظامي وعصبي وما استقلت به قدمي اشارة الى ان خشوعه في ركوعه
قد حصل بجميع جوارحه ومن اعظمها القلب الذي هو ملك الاعضاء والجوارح
فاذا خشع القلب خشعت الجوارح والاعضاء كلها تبع لخشوعه ومن ذلك الخضوع
وهو اعظم ما يظهر فيه ذل العبد لربه عز وجل حيث جعل العبد اشرف ماله من الاعضاء

www.alukah.net

واعزها عليه واعلاها حقيقة او وضع ما يمكنه فيضعه على التراب متضرعا وتسبح
ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه لله عز وجل ولهذا كان جزاء المؤمن
اذا فعل ذلك ان يقربه الله اليه فانه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد كما صح
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى واسجد واقترب والسجود ايضا مما كان يأنف منه
المشركون المستكبرون عن عبادة الله عز وجل وكان بعضهم يقول اكره ان اسجد
فتعلوني استي وكان بعضهم يأخذ كفا من حصى فيرفعه الى جبهته فيكتفي
بذلك عن السجود وابليس انما طرده الله لما استكبر عن السجود لما امره الله بالسجود له ولهذا يبكي اذا سجد المؤمن ويقول امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود ففعصيت فلي النار وفي تمام خشوع العبد لله عز وجل وتواضعه
له في ركوعه وسجوده انه اذا ذل لربه بالركوع والسجود وصف ربه حينئذ بصفات
العز والكبرياء والعظمة والعلو فكانه يقول الذل والتواضع وصفي والعلو والكبرياء
والعظمة وصفك فلهذا يشرع للعبد في ركوعه ان يقول سبحان ربي العظيم
وفي سجوده ان يقول سبحان ربي الاعلى وكان النبي صلى الله عليه وسلم احيانا يقول
سبحان ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال ليلة في سجوده اقول كما قال اخي داود عليه السلام اعفر وجهي في التراب لسيدي
وحق لسيدي ان تعفر الوجوه في التراب لوجهه قال الحسن اذا قمت
الى الصلاة فقم قانتا كما امرك الله واياك والسهو والالتفات ان ينظر الله اليك و
تنظر الى غيره ونسئل الله الجنة ونعوذ به من النار وقلبك ساه لاتدري ما تقول
بلسانك خرجه محمد بن نصر المروزي وروى باسناده عن عثمان بن ابي دهش
قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة جهر فيها بالقراءة فلما فرغ قال
هل اسقطت من هذه السورة شيئا قالوا لا اندري فقال ابي بن كعب نعم اية
كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يتلى عليهم كتاب الله عز وجل
فلا يدرون ما يتلى منه مما يترك هكذا اخرجت عظمة الله من قلوب بني اسرائيل
فشهدت ابدانهم وغابت قلوبهم ولا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد بقلبه
مع بدنه والاثار في هذا المعنى كثيرة جدا ومر عصام بن يوسف بحاتم الاصم

هكذا

وهو

وهو يتكلم في مجلسه فقال يا حاتم تحسن تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال حاتم اقوم
بالامر وامشي بالخشية وادخل بالنية واكبر بالعظمة واقرا بالترتيل واتفكر واركع با
الخشوع واسجد بالتواضع واجلس للتشهد بالتمام واسلم بالسنة واسلمها
بالاخلاص الى الله عز وجل وارجع على نفسي بالخوف اخاف ان لا تقبل مني واعظه
بالجهد الى الموت قال له انك لعالم فانت تحسن تصلي فصل ومن انواع العبادات التي
يظهر فيها الذل والخضوع لله عز وجل الدعاء قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال
تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات الى قوله خاشعين فمما يظهر فيه الذل عند الدعاء
رفع اليدين قد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه في الدعاء في مواطن كثيرة و
اعظمها في الاستسقاء فانه كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه وكذلك
كان يجتهد في الرفع عشية عرفه بعرفه وخرج الطبراني من حديث ابن عباس
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بعرفه ويداه الى صدره كاستطعام المسكين
وقد كان بعض الخائفين يجلس بالليل ساكتا مطرقا برأسه ويمد يديه
كحال السايل وهذا من ابلغ صفات الذل واظهار المسكنة والافتقار و
من ذلك ايضا افتقار القلب في الدعاء وانكساره لله عز وجل واستشعاره
شدة الفاقة اليه والحاجة وعلى قدر هذه الحرقة والفاقة تكون اجابة الدعاء
وفي المسند والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يستجيب دعاء من
قلب غافل لاه ومن ذلك اظهار الذل باللسان في نفس السؤال والدعاء والالحاح
فيه قال الاوزاعي كان يقال افضل الدعاء الالحاح على الله والتضرع اليه وفي الطبراني
من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا يوم عرفه فقال اللهم انك ترى مكاني
وتسمع كلامي وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من امري انا البائس
الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه استكك
مسئلة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير
من خضعت لك رقبته وذلت لك جسده ورغم لك انفه وفاضت لك عيناه
اللهم لا تجعلني بدعائك شقيا وكن بي بارا رؤفا رحيما يا خير المسؤلين

الألوكة
www.alukah.net

المعطين وكان بعضهم يقول في دعائه بعزك وذلي وغنائك وفقري وقال طاوس
دخل علي بن الحسين ذات ليلة الحجر يصلي فسمعته يقول في سجوده عبيدك
بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك سائلك بفنائك قال طاوس فحفظت
فما دعوت بهذه في كرب الا فرجه الله عني خرجه ابن ابي الدنيا وروى بن باكويه
الصوفي باسناده ان بعض العباد حج ثمانية حجة على قدميه فبينما هو في
الطواف وهو يقول يا صبيي واذا بهاتف يهتف به ليس ترضى ان تكون مسكينا
حتى تكون صبيا قال فغشي علي ثم يقول مسكينك مسكينك وانا تائب عما قول
جعل حبيبي فصل خرج ابن ماجه من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يقول في دعائه اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني
في زمرة المساكين وخرج الترمذي من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثله وزاد فقالت عايشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بار
بعين خريفا يا عايشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة يا عايشة احبي المساكين
وقربيهم فان الله يقربك يوم القيمة وقال ابو ذر اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان احب المساكين وادنو انهم خرجه الامام احمد وغيره وفي حديث معاذ رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة المنام اسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب
المساكين وذكر الحديث والمراد بالمساكين في هذه الاحاديث ونحوها انه كان قلبه مسكينا
لله خاضعا له خاشعا وظاهره كذلك واكثر ما يوجد ذلك مع الفقر من المال لان المال
يطغي وحديث انس يشهد لهذا الا ان اسناده ضعيف وخرج ابن ابي الدنيا حديث
ابي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الفقر فقر النفس والغنى غنى القلب
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الغنى غنى النفس ولهذا قال الامام احمد
وابن عيينة وابن وهب وجماعة من الائمة ان الفقر الذي استعاذ منه النبي صلى
الله عليه وسلم هو فقر النفس ممن استكان قلبه لله وخشع له فهو مسكين وان كان
غنيا من المال لان استكانت القلب لا تنفك عن استكانت الجوارح ومن خشع
ظاهره ولم يستكن قلبه فليس بخاشع ولا مسكين فهو جبار وفي الحديث

الذي

الذي خرجه النسائي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم مر في طريق وفيه امرأة فقال لها
رجل الطريق فقالت ان شاء أخذ يمنة أو يسرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوها
فانها جبارة فقالوا يا رسول الله انها يعني انها مسكينة فقال الا فاكر في قلبها وقال
الحسن ان قوما جعلوا التواضع في لباسهم والكبر في قلوبهم لبسوا مدارع الصوف
والله لاحدهم اشد كبرا بمدرعته من صاحب الس بسريره وصاحب
الطرف بمطرفه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه انكر ان يكون لبس الثوب الحسن
والنعل الحسنة كبرا وقال الكبر بطر الحق وغمط الناس وهذا صريح بان حسن
اللباس ليس بكبر ان الكبر انما هو في القلب وهو عدم الانقياد للحق تكبرا
وغمط الناس احتقارهم وازدراءهم فمن كان في نفسه عظيما بحيث يحتقر
الناس لاستعظام نفسه وبأنوفية من الانقياد للحق تكبر عليه فهو المتكبر وان
كان ثوبه ليس بحسن ونعله ليس بحسن ومن ترك لباس الحسن تواضعا
او خشية ان يقع في نفسه شيء من الكبر فقد احسن فيما فعل وكان بن عمر يفعل ذلك
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الانبجانية التي لبسها انها الهتني انفا عن صلاتي يدل على ذلك
فصل ومما اختاره صلى الله عليه وسلم تعام العبودية على مقام الملك وقام بين يديه
صلى الله عليه وسلم رجل يوم الفتح فارتعد فقال له هون عليك اني لست بملك انما
انا ابن امرأة من قريش كانت تاكل القديد وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تطروني
كما اطرت النصارى ابن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال الامام احمد
حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن ابي زرعة قال ولا اعلمه الا عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال جلس جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى السماء فاذا ملك ينزل فقال
جبريل ان هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل هذه الساعة فلما نزل قال يا محمد ارسلني
اليك ربك اعاملا نبيا يجعلك ام عبدا رسولا قال جبريل تواضع لربك يا محمد قال
بل عبدا رسولا ومن مراسيل يحيى بن ابي كثير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكل كما يأكل
العبد واجلس كما يجلس العبد فانما انا عبد خرجه ابن سعد في طبقاته وخرج ايضا
من رواية ابي معشر عن المقبري عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني
ملك فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان شئت نبيا ملكا وان شئت
عبدا نبيا فاشار الي جبريل عليه السلام ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قال

الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين وعليه اتوكل

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اخرج مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء ومن حديث بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا وخرجه الامام احمد وبن ماجه من حديث بن مسعود بزيادة في اخره قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال النزاع من القبايل وخرجه ابو بكر الآجري وعنده قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وخرجه غيره وعنده قال الذين يفرون بدينهم من الفتن وخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما افسد الناس بعدي من سنتي وخرجه الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وخرجه ايضا من حديث شريك بن سعد بنحوه وخرجه الامام احمد من حديث سعد بن ابي وقاص من النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه فطوبى يومئذ للغرباء اذا فسد الناس وخرجه الامام والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طوبى للغرباء قال قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وروي عن عبد الله بن عمرو موقوفا وموقوفا في هذا الحديث قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يجمع الله مع عيسى بن مريم عليه السلام فقوله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام

فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكأ ويقول الآكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد ومن مراسيل الزهري قال بلغنا انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم ياته قبلها ومعه جبرئيل عليه السلام فقال الملك وجبرئيل صامت ان ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبرئيل كالمستشير له فاشار اليه ان تواضع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نبيا عبدا قال الزهري فرأيتهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ياكل منذ قالها متكئا حتى فارق الدنيا وفي المستدرك وكتاب الترمذي عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو ذلك فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك قال بعض العارفين من ادعى العبودية وله مراد باق فيه فهو كاذب في دعواه انما تصح العبودية لمن افنى مراده وقام بمراد سيده يكون اسمه ما سمي به ونعته ما حلى به اذا دعي باسمه اجاب عن العبودية فلا اسم له ولا رسم ولا نجيب الا لمن يدعوه بعبودية سيده وانشد يقول

يا عمر وثاري عند زهراء يعرفه السامع والرائي
لا تدعني الا بيا عبدها فانه اصدق اسمائي

اخره والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا

حرره كاتبه بعد صلاة العصر ١٧ سنة ١٣٣٦ غفر الله له ولوالديه واخوانه المسلمين امين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

غريبا يريد ان الناس كانوا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم على ضلالة عامة
كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار الذي اخرجه مسلم ان الله نظر
الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب فلما بعث
النبي صلى الله عليه وسلم ودعى الى الاسلام لم يستجب له في اول الامر الا الواحد
بعد الواحد من كل قبيله وكان المستجيب له خائفا من عشيرته
وقبيلته يوذى غاية الاذى وينال منه وهو صابر على ذلك في الله عز وجل
وكان المسلمون اذ ذاك مستضعفين يطردون ويشردون كل مشرد
ويهربون بدينهم الى البلاد النائيه كما هاجروا الى الحبشة مرتين ثم
هاجروا الى المدينة وكان منهم من يعذب في الله ومنهم من يقتل فكان
الداخلون في الاسلام غربا حينئذ ثم ظهر الاسلام بعد الهجرة الى المدينة
وعز وصار اهله ظاهرين على كل الظهور ودخل الناس بعد ذلك في
دين الله افواجا واكمل الله لهم الدين واتم عليهم النعمة وتوفي النبي صلى الله
عليه وسلم والامر على ذلك واهل الاسلام في غاية من الاستقامة في
دينهم وهم متعاضدون متناصرون وكانوا على ذلك في زمن ابي
بكر وعمر رضي الله عنهما ثم اعمل الشيطان مكايده على المسلمين والقى
بأسهم بينهم وافشى بينهم فتنة الشهوات والشبهات ولم تزل
هاتان الفتنتان تتزايد شيأ فشيأ حتى استحكمت مكيدة الشيطان
واطاعه اكثر الخلق فمنهم من دخل في طاعته من فتنة الشبهات
ومنهم من دخل في فتنة الشهوات ومنهم من جمع بينهما وكل ذلك
مما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه فاما فتنة الشهوات
فقد روى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه ان امته ستفترق
على ازيد من سبعين فرقه على اختلاف الروايات في عدد الزايد

على السبعين

على حذف لفعله متناصرون لفعله اعمل

الهوى

على السبعين وان جميع تلك الفرق في النار الا فرقة واحدة وهي ما كان
عليه هو واصحابه واما فتنة الشهوات ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن
عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف انتم اذا فتحت عليكم خزاين فارس
والروم اي قوم انتم قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما امرنا الله قال او غير
ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون وفي صحيح
البخاري عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف انتم اذا
فتحت عليكم خزاين فارس والله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان
تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها
فتهلككم كما اهلكتهم وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما معناه ايضا ولما فتحت كنوز كسرى على عمر رضي الله عنه بكا
فقال ان هذا لم يفتح على قوم قط الا جعل الله باسهم بينهم او كما قال وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يخشى على امته هاتين الفتنتين كما في مسند الامام احمد
عن ابي بردة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما اخشى عليكم شهوات الغي في
بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن وفي رواية ومضلات الهوى فلما
دخل اكثر الناس في هاتين الفتنتين اواحدهما اصبحوا متقاطعين
متباغضين بعد ان كانوا اخوانا متحابين متواصلين فان فتنة
الشهوات عمت اكثر الخلق فافتتنوا بالدنيا وزهرتها وصارت
غاية قصدهم لها يطلبون وبها يرضون ولها يغضبون ولها يوالون
وعليها يعادون فقطعوا لذلك ارحامهم وسفكوا دماءهم وارتكبوا
معاصي الله بسبب ذلك واما فتنة الشبهات والاهواء المضلة
فبسببها تفرق اهل القبلة وصاروا شيعا وكفر بعضهم بعضا وصاروا
اعداء وفرقا واحزابا بعد ان كانوا اخوانا قلوبهم على قلب رجل واحد
فلم ينج من هذه الفرق كلها الا الفرقة الواحدة الناجية وهم الذين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم
من خذلهم او خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك وهم في اخر الزمان الغرباء الذين
كوره في هذه الاحاديث الذين يصلحون ما افسد الناس من السنة
وهم الذين يفرون من الفتن وهم النزاع من القبايل لانهم قلوا فلا يوجد
في كل قبيلة منهم الا الواحد او الاثنان وقد لا يوجد في بعض القبايل
احد منهم كما كان الداخل في اول الامر كذلك وبهذا فسر الائمة هذا
الحديث قال الاوزاعي في قوله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود
غريبا كما بدا انه لا يذهب الاسلام ولكنه يذهب اهل السنة حتى لا يبقى
في البلد منهم الا الرجل واحد ولهذا المعنى يوجد في كلام كثير مدح السنة
ووصفها بالغربة ووصف اهلها بالقلة وكان الحسن البصري رحمه
الله يقول لاصحابه يا اهل السنة ترفقوا رحمكم الله فانكم من اقل الناس
وقال يونس بن عبيد ليس شيء اغرب من السنة واغرب منها من
يعرفها وعن سفيان الثوري رحمه الله قال استوصوا باهل السنة خيرا فانهم
غرباء ومراده هؤلاء بالسنة طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان هو واصحابه
عليها السالمة من الشبهات والشهوات ولهذا كان الفضيل بن
عياض يقول اهل السنة من عرف ما يدخل بطنه من حلال وذلك لان
اكل الحلال من اعظم خصال السنة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من اهل الحديث وغيرهم السنة
عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسايل الايمان بالله
وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وكذلك مسايل القدر وفضايل
الصحابة وصنفوا في هذا العلم تصانيف سموها كتب السنة وانما

خصوا

خصوا هذا العلم باسم السنة لان خطره عظيم والمخالف فيه على شفى هلكة
فاما السنة الكاملة فهي الطريقة السالمة من الشبهات والشهوات كما قال الحسن
ويونس بن عبيد وسفيان والفضيل وغيرهم ولهذا وصف اهلها
بالغربة في اخر الزمان لقلتهم وعزتهم فيه ولهذا ورد في بعض الروايات كما
سبق في تفسير الغرباء قوم صالحون في قوم سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن
يطيعهم وفي هذا اشارة الى قلة عددهم وقلة المستجيبين لهم والقابلين
منهم وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم وهذا جاء في احاديث متعددة مدح
المتمسك بدينه في اخر الزمان وانه كالقابض على الجمر وان العامل منهم اجر
خمسين ممن قبلهم لانهم لا يجدون اعوانا على الخير وهؤلاء الغرباء قسمان احدهما
من يصلح بنفسه عند فساد الناس والثاني ما يصلح ما افسد الناس من
السنة وهو اعلى القسمين وافضلهما وقد خرج الطبراني وغيره باسناد فيه
نظر من حديث ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء اقبالا و
ادبارا وان من ادبار الدين ما كنتم عليه من العمى والجهالة وما بعثني الله به
وان من اقبال الدين ان تفقه القبيلة حتى لا يوجد فيها الا الفاسق او الفاسقان
فهما مقهوران ذليلان ان تكلما قمعا وقهرا واضطهدا الا وان
من ادبار الدين ان تجفو القبيلة باسرها حتى لا يوجد فيها الا الفقيه او الفقيهان
فهما مقهوران ذليلان ان تكلما فامر بالمعروف ونهيا عن المنكر قمعا وقهرا
واضطهدا فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك اعوانا ولا انصارا فوصف
في هذا الحديث المؤمن العامل بالسنة الفقيه في الدين بانه يكون في اخر الزمان
عند فساده مقهورا ذليلا لا يجد اعوانا ولا انصارا وخرج الطبراني ايضا
باسناد فيه نظر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل
ضعف في ذكر اشراط الساعة قال وان من اشراطها ان يكون المؤمن في

www.alukah.net

اذا مت النقد والنقد هي الغنم الصغار وفي مسند الامام احمد عن عبادة
بن الصامت قال يوشك ان طالت بك حياة ان ترى الرجل قد قرأ القرآن
على لسان محمد فاعاده وابداه فاحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازله
لا يجوز الا كما يجوز الحمار الميت ومنه قول ابن مسعود سيأتي على الناس زمان
يكون المؤمن فيه اذل من الامة وانما اذل المؤمن في اخر الزمان لغربته بين
اهل الفساد من اهل الشهوات والشهوات فكلهم يكرهه ويوذيه
لمخالفة طريقته لطلبتهم ومقصوده لمقصودهم ومباينته لهم فيحاماهم
عليه ولهذا قال داود الطائي قال ابن السماك ان داود نظر بقلبه الى ما بين
يديه فاغشى بصر قلبه بصر العيون فكانه لم ينظر الى ما انتم اليه تنظرون
وكانكم لا تنظرون الى ما اليه ينظرون وانتم منه تعجبون وهو منكم يعجب استوحش
انه كان حيا وسط الاموات ومنهم من كان يكرهه اهله وولده لاستنكارهم
له سمع عمر بن عبد العزيز امرأته تقول الا رضا الله منك فقال امين وكان السلف
قديما يصفون المؤمن بالغربة في زمانهم كما سبق مثله عن الحسن والاوزاعي
وحي وغيرهم ومن كلام احمد بن عاصم الانطاكي وكان من كبار العارفين
رفيق في زمان ابي سليمان الداراني اني ادركت من الازمنة زمانا عاد فيه
الاسلام غريبا كما بدا وعاد وصف الحق فيه غريبا كما بدا ان نزعت فيه الى عالم
وجدته مفتونا بحب الدنيا بحب التعظيم والرياسة وان نزعت فيه
الى عابد وجدته جاهلا في عبادته مخدوعا مصيدا مع عدوه ابليس وقد
صعد به الى اعلا درجات العبادة وهو جاهل بادناها فكيف له باعلاها
وسائر ذلك من الرعاع قبيح اعوج وذياب مختلسة وسباع ضارية و
ثعالب صايلة هذا وصف عيوب اهل زمانك من حملة العلم والقرآن
ورعاة الحكمة خرجه ابو نعيم في الحلية فهذا وصف اهل زمانه فكيف

بما

بما حدث بعده من العظائم والدواهي التي لم تخطر بباله ولم تدر في خياله
وخرج الطبراني من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر شهيد وخرج ابو الشيخ الاصبهاني با
سناده عن الحسن قال لوان رجلا من الصدر الاول بعث اليوم ما عرف
من الاسلام شيأ الا هذه الصلاة ثم قال اما والله لئن عاش على هذه المنكر
ت فراى صاحب بدعة يدعو الى بدعته وصاحب دنيا يدعو الى دنياه
فعصمه الله عز وجل وقلبه بحمد الى ذكر السلف الصالح فيتبع آثارهم و
يتبع سبيلهم كان له اجر عظيم وروى المبارك بن فضالة عن الحسن انه ذكر
الغني المترف الذي له سلطان ياخذ المال ويدعي انه لا عقاب عليه وذكر
المبتدع الضال الذي خرج بسيفه على المسلمين وتاول ما انزل الله في الكفار
على المسلمين ثم قال سنتكم والله الذي لا اله الا هو بينها وبين الغالي والجا
في والمترف والجاهل فاصبروا عليها فان اهل السنة كانوا اول الناس الذين
لم ياخذوا مع اهل الاترافي اترافهم ولا مع اهل البدع اهوائهم وصبروا على سنتهم
حتى الوردهم فكذلك انشاء الله فكونوا ثم قال والله ان رجلا ادرك هذه المكرمات
يقول هذا هلم الي ويقول هذا هلم الي فيقول لا اريد الا سنة محمد صلى الله عليه وسلم
يطلبها ويسئل عنها ان هذا ليعوض له اجر عظيم ومن هذا المعنى ما روى
ابو نعيم وغيره عن كميل بن زياد عن علي رضي الله عنه انه قال الناس ثلاثة فعا
لم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح
لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق ثم ذكر كلاما في فضل العلم الى ان
قال آه ان ها هنا واشار الى صدره علما لو اصبت له حملة بل اصيبه لقنا
غير ماموون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بحجج الله على كتابه و
بنعمته على عباده او منقادا للحق لابصيرة له في احيائه ينقدح الشك في قلبه
باول عارض من شبهة لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات سلس الانقياد

الألوكة
www.alukah.net

للشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار وليس من رعاة الدين اقرب شبها
بهم الانعام السارحة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم لن تخلو الارض عن
قايم لله بحجته لكيلا تبطل حجج الله وبيناته او بكم الاقلون عددا الاعظمون عند
الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يودعوها الى نظرائهم ويودعوها في قلوب
اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون
وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا ببدان ارواحها معلقة
بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في بلاده ودعاة الى دينه هاه هاه شوقا الى
رويتهم فقسم امير المؤمنين رضي الله عنه حملة العلم الى ثلاثة اقسام قسم اهل
الشبهات وهم من لا بصيرة له من حملة العلم بل ينقدح الشك في قلبه باول
عارض من شبهة فتاخذه الشبهة فيقع في الحيرة والشكوك ويخرج من
ذلك الى البدع والضلالات وقسمهم اهل الشهوات وجعلهم نوعين احدهما
من يطلب الدنيا بتعلم العلم فيجعل العلم آلة للكسب الدنيا والثاني من يطلب
الدنيا بغير العلم وهذا النوع ضربان احدهما من همه من الدنيا لذاتها وشهواتها
فهو منهوم بذلك سريع الانقياد له والثاني من همه جمع الدنيا وكنتا
زها وادخارها وكلا هؤلاء ليسوا من حملة الدين وانما هم كالانعام ولهذا
شبه الله تعالى من حمل التوراة ثم لم يحملها بالحمار الذي يحمل اسفارا وشبه عالم
السوء الذي انسلخ من ايات الله واخلد الى الارض واتبع هواه بالكلب والا
نعام واضل سبيلا والقسم الثالث من حملة العلم هم اهله وحملته ورعاته
وانما نحن بحجج الله وبيناته وذكرانهم الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا
اشارة الى قلة هذا القسم وعزته في حملة العلم وغرابته بينهم وقد قسم الحسن
رحمه الله حملة القرآن الى قريب من هذا التقسيم الذي قسمه علي رضي الله عنه
لحملة العلم قال الحسن قراء القرآن ثلاثة اصناف صنف اتخذوه صناعة

يا كلون به وصنف اقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على
اهل بلادهم وسدوا به الولاة كثرة هذا الضرب من حملة القرآن لاكثر
هم الله وصنف عمدوا الى دواء القرآن فوضعوه على ادواء قلوبهم فركبوا به
في محاريبهم وصفوا به في برانسهم واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن
فاولئك الذين يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الاعداء والله لهؤلاء
اضر من حملة القرآن اعز من الكبريت الاحمر فاخبر ان هذا القسم وهم
الذين قرأوا القرآن لله وجعلوه دواء لقلوبهم فاثر لهم الخوف والحزن اعز من
الكبريت الاحمر بين قراء القرآن ووصف امير المؤمنين علي رضي الله عنه هذا القسم
من حملة العلم بصفاة منها انه هجم بهم العلم على حقيقة الامر ومعنى ذلك ان
العلم دلهم على المقصود الاعظم منه وهو معرفة الله تعالى فخافوه واحبوه وعلم
بذلك عليهم كما عسر على غيرهم ممن لم يصل الى ما وصلوا اليه ممن وقف على الدنيا
وزهرتها واغتر بها ولم يباشر قلبه معرفة الله وعظمته واجلاله وكذلك قال
استلانوا مما استوعر منه اكثر فوصفان المترف الواقف مع شهوات الدنيا و
لذاتها وشهواتها لا عوض له عنده من لذات الدنيا اذا تركها فهو لا يصبر على
تركها وهؤلاء في قلوبهم العوض الاكبر مما وصلوا اليه من مناجاة حبيبهم
وبما وجدوا من لذة حبه في قلوبهم في كلام يطول ذكره هاهنا في هذا المعنى و
انما انس هؤلاء مما استوحش منه الجاهلون لان الجاهلين باسم يستو
حشون من ترك الدنيا وشهواتها لانهم لا يعرفون سواها فهي انسهم وهم
لا يستوحشون من ذلك ويستانسون بالله وبذكره ومعرفته ومحبته
وتلاوة كتابه والجاهلون بالله يستوحشون من ذلك ولا يحفلون
الا بما هم فيه ومن صفاتهم التي وصفهم بها امير المؤمنين علي رضي الله عنه
انهم صحبوا الدنيا ببدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى وهذا

www.alukah.net

الا انهم لم يتخذوا الدنيا وطنا ولا برضوه بها اقامة ومسكنا انما اتخذوها
ممرا ولم يجعلوها مستقرا وجميع الكتب والرسل اوصت بذلك
وقد اخبر الله في كتابه عن مؤمن ال فرعون انه قال لقومه في جملة وعظه
لهم يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار وقال النبي صلى
الله عليه وسلم لابن عمر كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وفي رواية وعد
نفسك من اهل القبور ومن وصايا المسيح عليه السلام المروية عنه انه قال لا
صحابه اعبروها ولا تعمروها وعنه انه قال من اخذ الذي يبني على موج البحر دارا
تلك الدنيا فلا تتخذوها قرارا فالمؤمن في الدنيا كالغريب المجتاز ببلده
غير مستوطن فهو يشتاق الى بلده وهمه الرجوع اليها والتزود بما
يوصله في طريقه الى وطنه ولا ينافس اهل ذلك البلد المستوطنين فيه في
عزهم ولا يجزع مما اصابه منهم من الذل قال الفضيل بن عياض
المؤمن في الدنيا مهموم حزين همه مرمة جهازه وقال الحسن المؤمن
في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها له شان والناس
شان وفي الحقيقة فالمؤمن في الدنيا غريب لان اباه انما كان في دار النعائم
اخرج منها فهمه الرجوع الى مسكنه الاول فهو ابدا يحن الى وطنه الذي اخرج
منه كما يقال حب الوطن من الايمان وكما قيل وكم منزل للمرء يألفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل وبعض شيوخنا في هذا المعنى

ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود الى اوطاننا ونسلم
فحي على جنات عدن فانها منازلك الاولى وفيها المخيم
وقد زعموا ان الغريب اذا نأى وشطت به اوطانه فهو مغرم
واي اغتراب فوق غربتنا التي لها اضحت الاعداء فينا تحكم

والمؤمنون في هذا اقسام منهم من قلبه معلق بالجنة ومنهم من قلبه معلق

عند خالقه وهم العارفون ولعل امير المؤمنين انما اشار الى هذا القسم فالعا
رفون ابدانهم في الدنيا وقلوبهم عند المولى وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله
عليه وسلم يروي ذلك عن ربه تعالى قال علامة الطهر ان يكون قلب المؤمن
عندي معلقا فاذا كان كذلك لم ينسني على حال واذا كان كذلك منعت عليه
بالاشتغال الي كي لا ينساني فاذا نسيني حركت قلبه فان تكلم تكلم الي وان
سكت سكت لي فذلك الذي تأتيه المعونة من عندي واهل هذا الشأن
هم غرباء الغرباء وغربتهم اعز الغربة فان الغربة عند اهل الطريقة غربتان
ظاهرة وباطنة والظاهرة غربة اهل الصلاح بين الفساق وغربة الصا
دقين بين اهل الرياء والنفاق وغربة العلماء بين اهل الجهل وسوء الاخلاق
وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سلبوا الخشية والاشفاق و
غربة الزاهدين فان اولئك واقعون بين الراغبين في كل ما ينعق وليس بناق
واما الغربة الباطنة فغربة الهمة وهي غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى
العلماء والعباد والزهاد فان اولئك واقعون مع محبوبهم لا يعرجون بقلوبهم
عنه كما قيل

لا يقول في وصفهم همتهم غير همة الناس واراداتهم من الآخرة غير
ارادة الناس ودعاؤهم غير دعاء الناس وسئل ابو سليمان الداراني عن افضل الا
يمان فبكى وقال ان يطلع على قلبك فلا يرى ان تريد من الدنيا والآخرة غيره
قال يحيى بن معاذ الزاهد غريب الدنيا والعارف غريب الآخرة يشير الى
ان الزاهد غريب بين اهل الدنيا والعارف غريب بين اهل الآخرة لا يعرفه
العباد والزهاد وانما يعرفه من هو مثله وهمته كهمته وربما اجتمعت
للعارف هذه الغربات او اكثر منها او بعضها فلا تسأل عن غربته حينئذ
فالعابد ظاهره لاهل الدنيا والآخرة والعارف باطنه مستور عن اهل
الدنيا والآخرة قال يحيى بن معاذ الزاهد غريب بين اهل الدنيا و

الألوكة
www.alukah.net

غريب بين اهل الاخرة لا يعرفه العباد ولا الزهاد وربما يعرفه من هو مثله
وهمته كهمة العابد مشهور والعارف مستور وربما خفي حال العارف
على نفسه لخفا حاله وامانة الظن بنفسه قال ابراهيم بن ادهم ما ارى
هذا الأمر الا في رجل لا يعرف فذلك من نفسه ولا يعرفه الناس وفي حديث سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد الخفي التقي وفي حديث معاذ عنه
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب من عباده الاخفيا الاتقيا الذين اذا حضروا
لم يعرفوا واذا غابوا لم يفتقدوا اولئك ايمة الهدى ومصابيح العلم وعن علي قال
طوبى لكل عبد نومة عرف الناس ولم يعرفه الناس وعرفه الله منه برضوان
اولئك مصابيح الهدى تجلى عنهم كل فتنة مظلمة وقال ابن مسعود كن نواجد
القلوب خلقان الثياب مصابيح الظلام تخفون على اهل الارض و
تعرفون في اهل السما فهؤلاء ادهم اخص اهل الغربة وهم الفرارون بدينهم
من الفتن وهم النزاع من القبايل الذين يحشرون مع عيسى بن مريم عليه السلام
وهم بين اهل الاخرة اعز من الكبريت الاحمر فكيف يكون حالهم بين اهل
الدنيا وتخفى احوالهم غالبا على الفريقين كما قال القايل

تواريت عن دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسال الايام عني ما درت واين مكاني ما عرفت مكاني

ومن ظهر منهم للناس فهو بينهم ببدنه وقلبه معلق بالمنظر الاعلى كما قال
امير المؤمنين في وصفهم وكما قيل

جسمي معي غير ان الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطنه

وكانت رابعة تنشد في هذا المعنى

ولقد جعلتك في الفواد محدثي وابحت جسمي من اراد جلوسي

فالجسم

فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي
واكثرهم لا يقدرون على مخالطة الخلق فهو يفر الى الخلق بجسمه ولهذا كان اكثرهم
يطيل الوحدة قيل لبعضهم الا تستوحش قال كيف وهو يقول انا
جليس من ذكرني وقال اخر وهل يستوحش مع الله احد وعن
بعضهم قال ما استوحشت من وحدة قط لقلة انسه بربه كان يحيى
بن معاذ كثير العزلة والانفراد فعاتبه اخوه فقال له ان كنت من الناس
فلا بد لك من الناس فقال يحيى ان كنت من الناس فلا بد لك من الله وقيل
له اذا هجرت الخلق مع من تعيش قال مع من هجرتهم له وانشد ابراهيم
بن ادهم في هذا المعنى

هجرت الخلق طرا في رضاك وايتمت العيال لكي اراكا
فلو قطعتني في الحب اربا لما حن الفؤاد الى سواكا

وعوتب عمر وان على خلوة فقال اصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه
حاجتي ولغربتهم ربما نسب بعضهم الى الجنون لبعد حاله من احوال الناس
كما كان اويس يقال عنه ذلك وكان ابو مسلم الخولاني كثير اللهج بالذكر فقال
الرجل لمجلسائه امجنون صاحبكم قال ابو مسلم لا يا اخي ولكنه هذا دواء
الجنون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجنون
وقال الحسن في صفتهم اذا نظر اليهم الجاهل حسبهم مرضى وما بالقوم
من مرض ويقولون قد خولطوا وما خالط القوم امر عظيم هيهات والله
مشغولون عن دنياكم وفي هذا المعنى يقول القايل

وحرمت الودا لي عنكم عوض وليس لي في سواكم سادتي غرض
وما حديثي بكم قالوا به مرض فقلت لا زال عني ذلك المرض

شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونشهد به من يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد
ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وبعد فقد خرج الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه في كتبهم ان رجلا
قدم المدينة على ابي الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث
بلغني انك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افما جئت لحاجة قال
لا قال ما جئت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله له به طريقا
الى الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها رضى لطالب العلم لما يصنع وان
العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء
وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان
العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا
العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وكان السلف الصالح رضي الله عنهم لقوة
رغبتهم في العلم والدين والخير تحمل احدهم من بلد بعيد لطلب حديث
واحد يبلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد رحل ابو ايوب الانصاري
من المدينة الى مصر للقاء رجل من الصحابة بلغه عنه حديث تحوثه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك فعل جابر بن عبد الله الانصاري مع كثرة ما سمع من
النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث ورواه عنه وكان احدهم يرحل الى المدينة في
الفضل والعلم لطلب شيء من العلم لا يحبه عنده ويكفي في هذا المعنى ما قص الله
علينا من قصة موسى والرجل مع فتاه فلو استغنى احد عن الرحلة في
طلب العلم لاستغنى عنها موسى عليه السلام حيث كان الله قد كلمه

الألوكة
www.alukah.net

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى رجلا فقال له استحي من الله كما تستحي
من رجلين من صالحي عشيرتك لا يفارقانك وفي حديث اخر انه صلى الله عليه
وسلم قال افضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيثما كنت وفي حديث اخر
انه صلى الله عليه وسلم ما تزكية المرء نفسه قال ان يعلم ان الله معه حيثما كان وفي
حديث اخر عنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة في ظل الله يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم
رجلا ايقاظ توجه علم ان الله معه وتثبت فيه صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاحسان
فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولابي عباد
البحتري في هذا المعنى ابيات حسنة لكنه اساء بقوله في مخلوق وقد اصلحت
منها كلمات حتى استقامت على الطريقة وهي هذه

كأن رقيبا منك يرمي خواطري ... واحرس عمدا ناظري ولساني
فما ابصرت عيناي بعدك منظرا ... يسوءك الا قلت قد رمقاني
وما بدرت مني بعدك لفظة ... لغيرك الا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة ... على القلب الا مر جانباني
اذا ما تسلى القاعدون عن الهوى ... بذكر فلانة او بذكر فلاني
وجوت الذي يسلي سواي يشوقني ... الى قربكم حتى املّ مكاني
اخلاء صدق قد سمحت لقاهم ... وخصصت طرفي عنهم ولساني
وما البعض اسلى عنهم غير انني ... اراك على كل الجهات تراني

آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه اجمعين وهو يليه شرح حديث من سلك طريقا
يلتمس فيه علما الى آخره في فضل العلم وطلبه للمولى المذكور رحمه الله
وعفى عنه امين

بسم الله

التوراة التي كتب له فيها من كل شيء ومع هذا فلما اخبر الله عز وجل عن الخضر
ان عنده علما يختص به سأل السبيل الى لقيه ثم سار هو وفتاه اليه كما قال تعالى
واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا يعني
سنين عديدة ثم اخبر انه لما لقيه قال له هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت
رشدا وكان من امرهما ما قصه الله في كتابه وحديث ابي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قصة موسى والخضر مخرج في الصحيحين وهو مشهور
وكان ابن مسعود يقول والله الذي لا اله الا هو ما انزلت سورة من كتاب الله
الا وانا اعلم اين انزلت ولو اعلم احدا اعلم مني بكتاب الله فلم اجد احدا يفتحها علي
اليه وقال ابو الدرداء لو اعيتني اية من كتاب الله فلم اجد احدا يفتحها علي
الا رجل ببرك الغماد لرحلت اليه وبرك الغماد اقصى اليمن وخرج مسروق من
الكوفة الى البصرة يسئل عن اية فلم يجد عنده فيها علما فاخبر عن رجل من اهل
الشام فرجع الى الكوفة ثم خرج الى الشام الى ذلك الرجل في طلبها ورحل رجل من
الكوفة الى الشام الى ابي الدرداء يستفتيه في يمين حلفها ورحل سعيد بن جبير
من الكوفة الى ابن عباس يسئله عن تفسير اية ورحل الحسن الى الكوفة الى كعب بن
عجرة يسئله عن قصة في فدية الاذى واستقصاها هذا الباب يطول وحلف
رجل يمين فاشكلت عليه الفقها فدلوه على بلد فاستبعده فقيل له ان ذلك
البلد قريب على من اهل دينه وفي هذا اشارة الى ان من اهمه امر دينه كما
يهمه امر دنياه اذا حدث له حادثة في دينه لا يجد من يسئله عنها الا في بلد
بعيد فانه لا يتاخر عن السفر اليه ليستبري لدينه كما انه لو عرض له هناك
كسب دنيوي لبادر الى السفر اليه وفي هذا الحديث ان ابا الدرداء بشر من
اخبره انه رحل اليه لطلب الحديث بما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في فضل
العلم وطلبه وهذا ما خوذ من قوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل
سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وقد ازدحم الناس مرة على باب
الحسن البصري لطلب العلم فاسمعهم ابنه كلاما فقال الحسن مهلا يا بني

ثم تلى

ثم تلى هذه الاية وفي كتاب الترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
وصاهم بطلبة العلم والمتفقهين في الدين ولما جاز ابن حبيش الى صفوان
بن عسال في طلب العلم قال له بلغني انك للملائكة تضع اجنحتها لطالب
العلم وفي رواية انه رواه له ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وازدحم الناس مرة على
باب ابن المبارك فقال حق لهم ان ولاية سرور الا بد يغبطهم بازدحامهم
على طلب العلم لانه يودي الى الخلود في النعيم المقيم وهذا تاسف معاذ عند موته
وبكى على مفارقة مجالس الذكر فقال انما ابكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتا
وزحمة العلما بالركب عند حلق الذكر وينبغي للعالم ان يرحب بطلبة العلم
ويوصيهم بالعمل كما قال الحسن لاصحابه وقد دخلوا عليه مرحبا بكم واهلا حياكم الله
بالسلام وادخلنا وإياكم دار السلام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم و
اتقنتم لا يكون حظكم من هذا الخير رحمكم الله ان تستمعوه بهذه الاذن فيخرج
من هذه الاذن فانه من راى تحولها على الله عليه وسلم فقد راه غاديا ورائحا يضع
لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكنه رفع له علم فشمر اليه فالوحا الوحا النجا
النجا على ما تعوجون ايبيتم ورب الكعبة كانكم والامر معا ولنشرع الان في
شرح حديث ابي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم فقوله
صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله له به طريقا الى الجنة وفي
رواية اخرى سهل الله له به طريقا الى الجنة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة سلوك
الطريق للتماس العلم يحتمل ان يراد به السلوك الحقيقي وهو المشي بالاقدام الى مجالس العلم ويحتمل ان يشمل ما هو اعم من ذلك من سلوك الطريق المعنوية المؤدية الى حصول العلم مثل حفظه ودراسته وسطالعته وكتابته ومذاكرته و
التفهم له والتفكر فيه ونحو ذلك من الطرق التي يتوصل بها الى العلم واما قوله سهل
الله له به طريقا الى الجنة فانه يحتمل امورا منها ان يسهل الله لطالب العلم
الذي طلبه وسلك طريقه ويسيره عليه فان العلم طريق موصل الى الجنة

www.alukah.net

كقوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قال طائفة من السلف في هذه
الآية هل من طالب علم فيعان عليه ومنها ان ييسر الله لطالب العلم العمل
بمقتضى ذلك العلم اذا قصد بتعلمه وجه الله فيجعله الله سببا لهدايته والارتفا
ع به والعمل به وذلك من طرق الجنة الموصلة اليها ومنها ان الله تعالى ييسر لطا
لب العلم الذي يطلبه للعمل به علوما اخر ينتفع بها فيكون ذلك طريقا موصلا
الى الجنة وهذا كما قيل من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم وكما يثاب على
الحسنة الحسنة بعدها والى هذا الاشارة بقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا
هدى وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فمن التمس العلم
ليهتدي به زاده الله هدى وعلوما نافعة توجب له اعمالا صالحة وكل هذه
طرق موصلة الى الجنة ومنها ان الله تعالى قد ييسر لطالب العلم الانتفاع به
في الاخرة وسلوك الطريق الحسي المفضي الى الجنة وهو الصراط وما بعده و
ما قبله من الاهوال العظيمة والعقبات الشديدة الشاقة وسبب
تيسير طريق الجنة على طالب العلم اذا اراد به وجه الله عز وجل وطلب
مرضاته ان العلم يدل على الله من اقرب الطرق واسهلها فسهلت عليه
الطرق الموصلة الى الجنة كلها في الدنيا وفي الاخرة ومن سلك طريقا يلتمس فيه
الجنة بغير علم فقد سلك اعسر الطرق واشقها والا يوصل الى المقصود مع
عسره وشدته فلا طريق الى معرفة الله والى الوصول الى رضوانه والفوز بقر
به ومجاورته في الاخرة الا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه
فهو الدليل عليه وبه يهتدي في ظلمات الجهل والشبه والشكوك وقد سمى الله
كتابه نورا يهتدي به في الظلمات كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
مثلا من علم العلم الذي جاء به بالنجوم التي يهتدي بها في الظلمات كما في

المسند عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء
يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا طمست النجوم اوشك ان تضل الهداة
وهذا مثل في غاية المطابقة لان طريق التوحيد والعلم بالله تعالى واحكامه وثوابه
وعقابه لا يدرك بالحس انما يعرف بالدليل وقد بين ذلك كله في كتابه وعلى لسان
رسوله فالعلماء بما انزل الله على رسوله هم الادلاء الذين يهتدي بهم في ظلمات
الجهل والشبه والضلال فاذا فقدوا ضل السالك وقد شبه العلماء بالنجوم والنجوم
في السماء فيها ثلاث فوائد يهتدى بها في الظلمات وهي زينة للسماء ورجوما للشيا
طين الذين يستر قون السمع منها والعلماء في الارض يجتمع لهم هذه الاوصاف
الثلاثة بهم يهتدى في الظلماء وهم زينة للارض وهم رجوم للشياطين الذين يخلطو
الحق بالباطل ويدخلون في الدين ما ليس منه من اهل الاهواء وما دام العلماء باقيا
في الارض فالناس في هدى وبقاء العلم ببقاء حملته فاذا ذهب حملته ومن يقوم به
وقع الناس في الضلال كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض
العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ولكن يذهب العلم بذهاب العلماء فاذا
لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوهم بغير علم فضلوا و
اضلوا وخرج الترمذي من حديث جبير بن نفير عن ابي الدرداء قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم فقال هذا اوان يختلس به العلم من الناس حتى لا يقدروا منه
على شيء فقال زياد بن لبيد كيف يختلس منا العلم وقد قرأنا القرآن فوالله
لنقرئنه ولنقرئنه نساءنا وابناءنا فقال ثكلتك امك يا زياد ان كنت لا
عدك من فقهاء المدينة هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا
تغني عنهم قال جبير بن نفير فلقيت عبادة ابن الصامت فقلت الا تسمع ما يقول
ابو الدرداء فاخبرته بالذي قال فقال صدق ابو الدرداء لو شئت لاخبرتك باول
علم يرفع من الناس الخشوع يوشك ان تدخل مسجد الجامع فلا ترى فيه خاشعا و
خرجه النسائي من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
وفي حديثه فذكر صلى الله عليه وسلم ضلالة اليهود والنصارى على ما في ايديهم من
الله قال جبير فلقيت شداد بن اوس فحدثته بحديث عوف فقال صدق

www.alukah.net

اخبرك باول ذلك يرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعا وخرج الامام احمد نحوه
من حديث زياد بن لبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر شيئا فقال ذاك عند اوان ذهاب
العلم فذكر الحديث وفيه قال اوليس اليهود والنصارى يقرؤن التوراة والا
نجيل لا يعملون بشيء مما فيهما ولم يذكر بعد هذا ففي هذه الاحاديث ان ذهاب
العلم بذهاب العمل به وان الصحابة فسروا ذلك بذهاب العلم الباطن من
القلوب وهو الخشوع وكذلك روي عن حذيفة ان اول ما يرفع من العلم الخشوع
فان العلم علمان كما قال الحسن العلم علمان علم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم
وعلم في القلب فذاك العلم النافع وروي عن الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح
مسلم عن ابن مسعود قال ان اقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع
في القلب فرسخ فيه نفع فالعلم النافع هو ما باشر القلب فاورقبه معرفة الله تعالى
وعظمته وخشيته واجلاله وتعظيمه ومحبته ومتى سكنت هذه الاشياء
في القلب خشع فخشعت الجوارح كلها تبعا لخشوعه وفي صحيح مسلم عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يقول اعوذ بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع و
هذا يدل على ان العلم الذي لا يوجب الخشوع للقلب فهو علم غير نافع وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يسأل الله علما نافعا وفي حديث اخر قال سلوا الله علما
نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع واما العلم الذي على اللسان فهو حجة الله
على ابن آدم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن حجة لك او عليك فاذا ذهب من
الناس العلم الباطن بقي الظاهر على الالسن حجة ثم يذهب هذا العلم الذي هو
حجة بذهاب حملته ولا يبقى منه الا اسمه فيبقى القرآن في المصاحف
ثم يعرس به في اخر الزمان فلا يبقى منه في المصاحف ولا في القلوب شيء وفي
هذا قسم من قسم العلماء العلم الى باطن وظاهر فالباطن ما باشر القلوب
فاثمر لها الخشية والخشوع والتعظيم والاجلال والمحبة والانس والشوق و
الظاهر ما كان على اللسان فيه تقوم الحجة الله على عباده وكتب وهب
ابن منبه الى ملك حمير اما بعد فانك امرؤ قد اصبت بما ظهر من علم الاسلام شرفا فاطلب

بما

بما بطن من علم الاسلام محبة وزلفى وفي رواية اخرى انه كتب اليه انك قد بلغت
بظاهر علمك عند الناس منزلة وشرفا فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى
واعلم ان احدى المنزلتين تمنع من الاخرى فاشار وهب بعلم الظاهر الى علم الفتيا
والاحكام والحلال والحرام والقصص والمواعظ وهو ما يظهر على اللسان وهذا
العلم يوجب لصاحبه محبة الناس له وتقدمه عندهم فحذره من الوقوف عند ذلك
والركون اليه والالتفات الى تعظيم الناس ومحبتهم فان من وقف مع ذلك فقد
انقطع عن الله واحتجب بنظره الى الخلق عن الحق واشار بالعلم الباطن الى
العلم الذي يباشر القلوب فيحدث لها الخشية والاجلال والتعظيم وامره ان
يطلب بهذه المحبة من الله والقرب منه والزلفى لديه وكان كثير من السلف كسفيان
الثوري وغيره يقسمون العلماء الى ثلاثة اقسام يقولون عالم باسه عالم بامر الله وبشر
بذلك الى من جمع بين هذين العلمين المشار اليهما الظاهر والباطن وهؤلاء
اشرف العلماء وهم الممدوحون في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله ان
الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا الى قوله ويزيدهم
خشوعا وقال كثير من السلف ليس العلم كثرة الرواية ولكن العلم الخشية
وقال بعضهم كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا ويقولون ايضا
عالم باسه ليس بعالم بامر الله وهم اصحاب العلم الباطن الذين يخشون الله وليس
لهم اتساع في العلم الظاهر ويقولون عالم بامر الله ليس بعالم باسه وهم اصحاب العلم
الظاهر الذين لا انفاذ لهم في العلم الباطن وليس لهم خشية ولا خشوع وهؤلاء
مذمومون عند السلف وكان بعضهم يقول هذا هو العالم الفاجر وهؤلاء الذين
وقعوا مع ظاهر العلم ولم يصل العلم النافع الى قلوبهم ولا استولى الى انجمه غلبت عليهم
الغفلة والقسوة والاعراض عن الاخرة والتنافس في الدنيا ومحبة العلو فيها
والتقدم بين اهلها وقد منعوا احسان الظن بمن وصل العلم النافع الى قلبه
فلا يحسبونهم ولا يجالسونهم وربما ذموهم وقالوا ليسوا بعلماء وهذا من خداع
الشيطان وغروره ليحجبهم الوصول الى العلم النافع الذي مدح الله ورسوله
سلف الامة وائمتها ولهذا كان علماء الدنيا يبغضون علماء الاخرة ويطعنون

في اذاهم جهدهم كما سعى في اذى سعيد بن المسيب والحسن وسفيان ومالك
واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وذلك لان علماء الآخرة يسعون في اظهار خلفاء
الرسل وعلماء السوء فيهم تشبه من اليهود وهم اعداء الرسل وقتلة الانبياء ومن يأمر
مر بالقسط من الناس واشد الناس عداوة وحسدا للمؤمنين وشدة محبتهم
للدنيا لا يحفظون علما ولا دينا وانما يحفظون المال والجاه والتقدم عند الملوك كما قال
بعض الوزراء للحجاج ابن ارطاة ان لك دينا وان لك علما وفقها فقال الحجاج افلا
تقول لك شرفا وان لك قدرا فقال الوزير واسه انك لتصغر ما عظم الله وتعظم
ما صغر الله وكثير ممن يدعي العلم الباطن ويتكلم فيه ويقتص عليه يذم العلم الظاهر
الذي هو الشرائع والاحكام والحلال والحرام ويطعن في اهله ويقول هم محجوبون
واصحاب قشور وهذا يوجب القدح في الشريعة والاعمال الصالحة التي جاءت
الرسل بالحث عليها والاعتناء بها وربما انحل بعضهم من التكاليف وادعى انها
للعامة واما من وصل فلا حاجة له اليها وانها حجاب له وهؤلاء كما قال
الجنيد وغيره من العارفين وصلوا ولكن الى سقر وهذا من اعظم خداع الشيطان
وغروره لهؤلاء لم يزل يتلاعب بهم حتى اخرجهم عن الاسلام ومنهم من يظن ان
هذا العلم الباطن لا يتلقى من مشكاة النبوة ولا من الكتاب والسنة وانما
يتلقى من الخواطر والالهامات والكشوفات فاساؤا الظن بالشريعة الكاملة
حيث ظنوا انها لم تات بهذا العلم النافع الذي يوجب صلاح القلوب
وقربها من علام الغيوب واوجب لهم الاعراض عما جاء به الرسول في هذا
الباب بالكلية والتكلم فيه بمجرد الآراء والخواطر فضلوا واضلوا فظهر
بهذا ان اكمل العلماء وافضلهم العلماء بالله وبامره الذين جمعوا بين العلمين
وتلقوهما من الوحيين اعني الكتاب والسنة وعرضوا كلام الناس
في العلمين معا على ما جاء في الكتاب والسنة فما وافق قبلوه وما خالف
ردوه وهؤلاء الخلاصة الخلق وهم افضل الناس بعد الرسل هم خلفاء الرسل
حقا وهؤلاء كثير في الصحابة كالخلفاء الاربعة ومعاذ وابي الدرداء وسلمان

وبن مسعود وبن عمر وبن عباس وغيرهم وكذلك فيمن بعدهم كالحسن وسعيد
بن المسيب وعطا وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي ويحيى بن ابي
كثير وفي من بعدهم كالثوري والاوزاعي واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وقل
سماهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه العلماء الربانيين يشير الى انهم الربانيون
المذكورون في غير موضع من كتاب الله عز وجل فقال الناس ثلاثة
عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع ثم ذكر كلاما طويلا وصف به
علماء السوء والعلماء الربانيين وقد شرحناه في غير هذا الموضع والمقصود
هنا ان التماس العلم سبب موصل الى الجنة وفي الحديث المعروف عن ابي
صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال
حلق الذكر وكان بن مسعود اذا ذكر هذا الكلام يقول اما اني لا اعني القصاص
ولكن حلق الفقه وروي عن انس نحو ذلك ايضا وقال عطاء الخراساني مجالس
الذكر مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح و
تطلق وتحج واشباه هذا وقال يحيى بن ابي كثير درس الفقه صلاة وكان
ابو سوار العدوي في حلقة يذكرون العلم ومعهم فتى شاب فقال لهم قولوا سبحان
الله والحمد لله فغضب ابو سوار وقال وعلك في اي شيء كنا والمراد بهذا ان مجا
لس الذكر لا تختص بالمجالس التي يذكر فيها اسم الله بالتسبيح والتكبير والتحميد
ونحو بل تشمل ما ذكر فيها امر الله ونهيه وحلاله وحرامه وما يحبه ويرضاه
فان ربما كان هذا الذكر انفع من ذلك لان معرفة الحلال والحرام واجبة في
الجملة على كل مسلم بحسب ما يتعلق به في ذلك واما ذكر الله باللسان فان
اكثره يكون تطوعا وقد يكون واجبا كالذكر في الصلوات المكتوبة واما معرفة
ما امر الله به ونهى عنه وما يحبه ويرضاه ويكرهه وينهى عنه فيجب على كل من
احتاج الى شيء من ذلك ان يتعلمه ولهذا روي طلب العلم فريضة على كل مسلم

www.alukah.net

فانه يجب على كل مسلم معرفة ما يحتاج اليه في دينه كالطهارة والصلاة والصيام
ويجب على من يبيع ويشتري ان يتعلم ما يحل ويحرم من البيوع كما قال
عمر لا يبيع في سوقنا الا من قد تفقه في الدين خرجه الترمذي ويروى باسناد
فيه ضعف عنه علي قال الفقه قبل التجارة انه من اتجر قبل المتفقه ارتطم في الربا
ثم ارتظم وسئل بن المبارك ما الذي يجب على الناس من تعلم العلم قال
ان لا يقوم الرجل على شيء الا يعلم يسئل ويتعلم فهذا الذي يجب على الناس
من تعلم العلم ثم قسم وقال لو ان رجلا لم يكن له مال لم يكن عليه واجب ان يتعلم
الزكاة وذكر الحديث فاذا كان له مئتا درهم وجب عليه ان يتعلم كم يخرج ومتى
يخرج وابن يضع وسائر الاشياء على هذا وسئل الامام احمد رحمه الله عن الرجل
ما يجب عليه من طلب العلم فقال ما يقيم به الصلاة وامر دينه من الصوم
والزكاة وذكر شرائع الاسلام وقال ينبغي له ان يتعلم ذلك وقال ايضا الذي
يجب على الانسان من العلم ما لا بد له منه في صلاته واقامة دينه واعلم ان
علم الحلال والحرام علم شريف ومنه ما تعلمه فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية
وقد نص العلماء ان تعلمه افضل من نوافل العبادات منهم احمد واسحق وكان
ائمة السلف يتوقون الكلام فيه تورعا لان المتكلم فيه مخبر عن الله بامره
ونهيه مبلغ عنه شرعه ودينه كالرسول اذا سئل عن شيء من الحلال
والحرام تغير لونه وتبدل حتى كانه ليس بالذي كان وقال عطاء بن السائب
ادركت اقواما ان كان احدهم ليسأل عن الشيء فيتكلم وانه ليرعد
ويروى عن مالك انه كان اذا سئل عن مسئلة كانه بينه وبين الجنة سوى النار وكان احمد
شديد التورع في اطلاق لفظ الحلال والحرام او دعوى النسخ ونحو ذلك مما
يحبس عليه غيره كثيرا واكثر اجوبته ارجو واخشى او احب الي ونحو ذلك
وكان هو ومالك وغيرهما يقولون كثيرا لا ندري وكان احمد يقول ذلك

في مسئلة

في مسئلة يذكر للسلف فيها اقوال الاحد بها ويريد بقوله لا ادري اي الراجح المفتى
به من ذلك ومن مجالس الذكر ايضا مجالس العلم التي يذكر فيها تفسير كتاب
الله او يروى فيها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كانت رواية الحديث مع
تفسير معانيه فذلكما اكمل وافضل من مجرد رواية الفاظه ويدخل في الفقه في
الدين كل علم مستنبط من كتاب الله او سنة رسوله سواء كان من علوم الاسلام
التي هي الاعمال الظاهرة والاقوال او من علوم الايمان التي هي الاعتقادات
الباطنة وادلة ذلك وبراهينه المقررة في الكتاب والسنة او من علوم الاحسان التي
هي علوم المراقبة والمشاهدة بالقلب ويدخل في ذلك علم الخشية والمحبة والرجاء
والانابة والصبر والرضا وغير ذلك من المقامات وكل ذلك قد سماه النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث سؤال جبريل له عنه دينا له فالفقه فيه من الفقه في الدين ومجالسه
هي افضل مجالس الذكر التي هي من رياض الجنة وهي افضل من مجالس ذكر الله
بالتسبيح والتحميد والتكبير لانها دائرة بين فرض عين او فرض كفاية والذكر المجرد
تطوع محض وقد دخل بعض اللصوص مسجد البصرة فرأى فيه حلقتين في احداهما
قاص وفي الاخرى فقيه يعلم الفقه فصلى ركعتين واستحيا من الله في الجلوس في احداهما
فنعس فرأى في نومه قائلا يقول له او قد سويت بينهما ان شئت ارسيناك مقعد
جبريل عليه السلام من فلان يعني الفقيه الذي يعلم العلم وسنذكر فيما بعد النصوص
الدالة على افضل العلم على انواع العبادات من الذكر وغيره ان شاء الله تعالى وكان
زيد بن اسلم من اجلة علماء المدينة وكان له مجلس في المسجد يذكر فيه التفسير
والحديث والفقه وغير ذلك فجاء اليه رجل فقال اني رأيت بعض اهل السماء وهو
يقول لاهل هذا المجلس هؤلاء في روضات الجنات انتم اكرم على الله من ان ينزل على
اهل المجلس صوتا طريا وضعه بين ايديهم وجاء اليه رجل فقال له اني رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر خرجوا من هذا الباب والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول انطلقوا بنا الى زيد بن اسلم نجالسه ونسمع من حديثه فجاء النبي صلى الله عليه

الألوكة
www.alukah.net

حتى جلس الى جنبك واخذ بيدك فلم يبق زيد بعد هذه الرؤيا الا قليلا حتى
مات رحمه الله تعالى ومع ما ذكرنا من تفضيل العلم على القصص فالعالم لا يستغني
احيانا عن موعظة الناس والقصص عليهم وازالة القسوة عن قلوبهم بالتذ
كير بالله وايامه فان القرآن يشتمل على ذلك كله والفقيه العالم حقا هو من فهم
كتاب الله واتبع ما فيه كما قال علي الفقيه حق الفقيه من لا يقنط الناس من
رحمة الله ولا يرخص لهم في معاصي الله ولا يدع القرآن رغبة منه الى غيره وقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخول اصحابه بالموعظة خشية السامة عليهم قوله
صلى الله عليه وسلم وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب
وخرج ابن ماجة من حديث زر بن حبيش قال اتيت صفوان بن عسال فقال
ما جاء بك فقلت اطلب العلم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما
من خارج يخرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة اجنحتها رضى
بما يصنع وخرج الترمذي وغيره موقوفا على صفوان وقد اختلف الناس في
تأويل وضع الملائكة اجنحتها فمنهم من حمله على ظاهره وان المراد فرش الا
جنحة وبسطها لطلاب العلم لتحملهم عليها الى مقاصدهم من الارض التي يطلبون
فيها العلم اعانة لهم على الطلب وتيسيرا عليهم وقد سمع هذا الحديث بعض
الملحدين فقال لطلبة العلم ارفعوا ارجلكم عن اجنحة الملائكة لا تكسروها يستدل
بذلك فمال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط وروي ان اخر قال لا كسر
اجنحة الملائكة فصنع له نعلا طرقها بمسامير كثيرة فمشى الى مجلس
العلم فجفت رجلاه ووقعت فيه الاكلة ومنهم من فسر وضع الملائكة
اجنحتها بالتواضع منهم والخضوع لطلاب العلم كما في قوله تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وفي هذا نظر لان الملائكة اجنحة حقيقة
بخلاف البشر ومنهم من فسر ذلك بان الملائكة تحف باجنحتها مجالس
الذكر الى السما كما جاء ذلك صريحا في حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم وورد مثله في بعض الفاظ حديث صفوان بن عسال من قوله ان

طالب

طالب العلم لتحفه الملائكة وتظله باجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا الى
السما الدنيا من حبهم لما يطلب ولعل هذا القول اشبه والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم
وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء قد اخبر
الله في كتابه باستغفار ملائكة السما للمؤمنين عموما بقوله الذين يحملون العرش
ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين امنوا وقوله تعالى والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض فهذا للمؤمنين عموما فاما العلما فيستغفر
لهم اهل الارض حتى الحيتان في البحر وخرج الترمذي من حديث ابي امامة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته واهل السموات واهل الارض حتى النملة في جحرها
وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير وصححه الترمذي وخرج الطبراني
من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء
حتى الحيتان في البحار ويروى من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم
العلما ورثة الانبيا يحجهم اهل السما وتستغفر لهم الحيتان في البحر اذا ماتوا الى
يوم القيمة وورد الاستغفار ايضا لطالب العلم ففي مسند الامام احمد عن قبيصة
بن المخارق قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك قلت كبر سني ورق عظمي
واتيتك لتعلمني ما ينفعني الله به قال يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر الا
استغفر لك وقد دل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة
واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور على ان الله
وملائكته يصلون على اهل الذكر والعلم من افضل انواع الذكر كما سبق تقريره
وخرج الحاكم من حديث سليم بن عامر قال جاء رجل الى ابي امامة فقال يا ابا امامة
اني رايت في منامي كان الملائكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت
وكلما جلست فقال ابو امامة اللهم غفرا دعونا عنكم وانتم لو شئتم لصلت عليكم
الملائكة ثم قرا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو
الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وقد ذكر بعض

سبل الهداية
www.alukah.net

يلعنهم الا عنون وقد قيل انها نزلت في اهل الكتاب الذين يكتمون ما عندهم
في كتابهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو هريرة يقول لو لا اية في
كتاب الله ما حدثتكم شيأ ابدا ويتلوا هذه الاية وفي سنن ابن ماجه عن
البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
قال دواب الارض وقد روي هذا موقوفا على البراء وروي عن طائفة من السلف
قالوا تلعنهم دواب الارض ويقولون منعنا القطر بخطايا بني ادم فان كتمان
العلم النافع سبب لظهور الجهل والمعاصي وذلك يوجب تحوط المطر
ونزول البلاء فيعم دواب الارض فتهلك بخطايا بني آدم فتلعن الدواب
من كان سببا لذلك وقد ظهر بهذا ان محبة العلم من الدين كما قال علي
رضي الله عنه لكميل بن زياد ومحبة العالم دين يدان الله بها وفي الاثر المعروف كن
عالما او متعلما او مستمعا واو محبا لهم ولكنه الخامس فتهلك قال
بعض السلف عنه هذا سبحان الله لقد جعل الله لهم مخرجا يعني انه لا يخرج
عن هذه الاربعة الممدوحة الا الخامس الهالك فان من ابغض اهل العلم
احب هلاكهم ومن احب هلاكهم فقد احب ان يطفئ نور الله من الارض
وتظهر فيها المعاصي والفساد فيخشى ان لا يرفع له مع ذلك عمل كما ان من
احب ظالما او دعى له بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فيخشى ان لا يرفع له عمل
مع ذلك كما قال سفيان الثوري وغيره من السلف وكان بعض خدم الخلفاء
يبغض ابا الفرج بن الجوزي ويسعى في اذاه بجهده فرآه بعضهم في منامه
وهو يذهب به الى النار فسئل عن سبب ذلك فقيل له كان يبغض بن
الجوزي قال ابن الجوزي لما زاد تعصبه واذاه لجأت الى الله في كشف
كربته فقصمه الله قريبا ولما قتل الحجاج سعيد بن جبير كان الناس كلهم
محتاجين الى علمه فمنعهم الانتفاع بعلمه فرؤي في المنام ان الحجاج قتل
بكل قتيل قتله في الدنيا قتله وقتل بسعيد بن جبير سبعين قتله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لعله
دواب

في استغفار دواب الارض للعلماء وهو ان العلماء يأمرون الناس بالاحسان الى
المخلوقات كلها وبالاحسان له تقتل ما يجوز قتله او ذبحه من الحيوانات كلها فيتنوع
نفعهم الى الحيوانات كلها فذلك يستغفرون لهم ويظهر فيه معنى اخر وهو ان سائر
المخلوقات بطبيعة الله قانتة له مسبحة له غير عصاة الثقلين الجن والانس
فكل الخلق المطيعين لله يحبون اهل طاعته فكيف بمن دعى الخلق الى طاعته وحثهم
وعلمهم ذلك فالعلماء هم نور الله في الارض به يعرف الله ويعبد فيعرف حقوقه وطاعته
فمن كانت هذه صفته فان الله يحبه ويزكيه ويثني عليه ويأمر عباده من اهل
السماء والارض وسائر خلقه بمحبته والدعاء له وذلك هو صلاتهم عليه ويجعل له
المودة في قلوب عباده المؤمنين كما قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن وداً وما تختص محبته بالحيوانات بل تحبه الجمادات ايضا
كما جاء في تفسير قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض ان السماء والارض تبكي على
المؤمن اذا فقدته اربعين صباحا وفي الحديث ان الارض تقول للمؤمن اذا دفن
ان كنت لاحب من يمشي على ظهري فسترى ما اصنع بك واما
يبغض المؤمن والعالم عصاة الثقلين لان معصيتهم لله اقتضت تقديم
اهوائهم على محبة الله وطاعته فكل هو طاعة الله واهل طاعته خصوصا
من دعا الى طاعته وامر الناس بها وحث عليها وايضا فان العلم اذا ظهر في الارض
وعمل به درت البركات ونزلت الارزاق فيعيش اهل الارض كلهم حتى النملة
وغيرها من الحيوانات ببركته ويستبشر اهل السماء بما يرتفع لاهل الارض
من الطاعات والاعمال الصالحات فيستغفرون لمن كان السبب في ذلك
وعكس هذا من كتم العلم الذي امر الله باظهاره لعنه الله والملائكة واهل السماء
والارض حيث سعى في اطفاء نور الله في الارض الذي بسبب خفائه
تظهر المعاصي والظلم والعداوة والبغي قال تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من
البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و

يلعنهم

ومن احب الله واحب طاعته احب اهل طاعته

وهو من ليس بعالم والمستمع والمحب لاهل العلم وهو الخامس

ولهذا المعنى كان اشد الناس عذابا من قتل نبيا لانه سعى في الارض بالفساد
ومن قتل عالما فقد قتل طبقة نبي فهو ساع في الارض بالفساد ايضا ولهذا
قرن الله بين قتل الانبيا وقتل العلماء الآمرين بالمعروف في قوله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
اليم وقال عكرمة وغيره من السلف في قوله تعالى انه من قتل نفسا بغير نفس او
فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا
ومن قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقد روي هذا
المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا من حديث معاذ وابي الدرداء ولكنه اسناد
منقطع وفي هذا المثل تشبيها للعالم بالقمر ليلة البدر وهو نهاية كماله وتمام
نوره وتشبيه للعابد بالكواكب وان بين العالم والعابد من التفاوت في الفضل
كما بين القمر ليلة البدر والكواكب والسر في ذلك والله اعلم ان الكوكب ضوؤه لا يعدوا
نفسه واما القمر ليلة البدر فان نوره يشرق على اهل الارض جميعا فيعمهم نوره
فيستضيئون بنوره ويهتدون به في سيرهم وانما قال على سائر الكواكب ولم
يقل على سائر النجوم لان الكواكب هي التي لا تسير والا يهتدى بها فهي بمنزلة
العابد الذي نفعه مقصور على نفسه واما النجوم فهي التي يهتدى بها كما قال تعالى
وبالنجم هم يهتدون وقال وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
فكذلك مثل العلماء باسره من امته بالنجوم في الحديث الذي سبق ذكره وكذلك
روي عنه انه قال اصحابي كالنجوم فبايهم اقتديتم اهتديتم وقد قيل ان القمر
انما يستفيد نوره من ضوء الشمس كما ان العالم نوره مقتبس من نور الرسالة
فلذلك شبه بالقمر ولم يشبه بالشمس وشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالسراج المنير
لان نوره غير مقتبس من جهة الخلق ولما كان الرسول سراجا منيرا يشرق
نوره على الارض كان العلما ورثته وخلفاءه وقد شبههم بالقمر عند تمام نوره
واضائته وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اول زمرة يدخلون الجنة على صورة

القمر

القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اضوء كوكب دري في السما والابعد والله اعلم
ان العلما الربانيون من الزمرة الاولى كما كانوا في الدنيا بمنزلة القمر ليلة البدر
لاهل الارض وقد يشارككم في ذلك المبرزون من العباد والاسيما من انتفع
الناس بسماع اخبارهم ورقت القلوب عند ذكرهم وحنت الى اقتفا آثارهم
واما الزمرة الثانية فهم عموم العباد وعامات الاوزاعي وكان امام اهل الشام
في العلم مع شدة عبادته وكثرة خشيته وخوفه من الله تعالى رؤي في المنام فقال
ما رايت هنا اعظم من درجة العلما ثم درجة المحزونين يعني اهل الخوف من
الله والخشية والحزن وقد دل هذا الحديث على تفضيل العلم على العبادة
تفضيلا بينا والادلة الدالة على ذلك كثيرة قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
يعني الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم كذا قال ابن مسعود وغيره من السلف وخرج
الترمذي من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر له رجلان احدهما عابد
والآخر عالم فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقال حديث
حسن غريب وخرج ايضا هو وابن ماجه من حديث ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وخرج ابن ماجه من
حديث عبد الله بن عمرو قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فدخل المسجد فاذا
هو بحلقتين احداهما يقرؤون القرآن ويدعون الله عز وجل والاخرى يتعلمون
ويعلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل على خير هؤلاء يقرؤون القرآن ويد
عون الله عز وجل فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وهؤلاء يتعلمون ويعلمون
وانما بعثت معلما هؤلاء افضل فجلس معهم وخرجه ابن المبارك في كتاب
الزهد وزاد فيه بعد قوله وانما بعثت معلما هؤلاء افضل وخرج الطبراني من
حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قليل الفقه خير من كثير العبادة
وخرج البزار والحاكم وغيرهما باسانيد متعددة مرفوعا فضل العلم احب
الي الله من فضل العبادة وخير دينكم الورع وفي مراسيل الزهري عن ابن

الألوكة
www.alukah.net

الله عليه وسلم فضل العالم على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين مسيرة
حضر جواد مائة عام والآثار الموقوفة عن السلف في هذا كثيرة جدا فروى عن
ابي هريرة وابي ذر قال لباب يتعلم الرجل احب الينا من الف ركعة تطوعا
وخرجه ابن ماجه من حديث ابي ذر مرفوعا وروي عن ابي الدرداء قال مذاكرة
العلم ساعة خير من قيام ليلة وروي عن ابي هريرة مرفوعا ما عبد الله بشيء
افضل من فقه في الدين قال ابو هريرة لان اعلم بابا من العلم في امر ونهي احب الي
من سبعين غزوة في سبيل الله عز وجل وعن ابن عباس قال تذاكر العلم بعض
ليلة احب الي من احيائها فصح عن ابي موسى الاشعري انه قال لمجلس اجلسه
من عبد الله بن مسعود اوثق في نفسي من عمل سنة وعن الحسن قال لان اتعلم
بابا من العلم فاعلمه مسلما احب الي من ان تكون لي الدنيا كلها اجعلها في
سبيل الله عز وجل وعنه قال ان كان الرجل ليصيب الباب من العلم فيتعلمه
به فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فيجعلها في الآخرة وعنه
قال مداد العلما ودم الشهداء يجيء واحد وعنه ما من شيء مما خلق الله افظ
عند الله في عظم الثواب من طلب العلم لا الحج ولا العمرة ولا الجهاد ولا الصدقة
ولا العتق ولو كان العلم صورة لكانت صورته احسن من صورة الشمس
والقمر والنجوم والسما والعرش قال الزهري تعلم سنة افضل من عبادة
مئتي سنة وقال سفيان الثوري وابو حنيفة ليس شيء بعد الفرايض
افضل من طلب العلم والحديث لمن حسنت فيه نية قيل له واي شيء النية
فيه قال يريد الله والدار والآخرة وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلاة
النافلة وراى مالك بعض اصحابه يكتب العلم ثم تركه وقام يصلي قال فجعلها
لكما الذي حملت اليه بافضل من الذي تركته وسئل الامام احمد اما احب
اليك ان اصلي بالليل تطوعا او اجلس اسمع العلم قال اذا كنت تنتفع
ما تعلم به امر دينك فهو احب الي وقال احمد ايضا العلم لا يعدله شيء وقال

المعافى

المعافا بن عمران كتابة حديث واحد احب الي من قيام ليلة ومما يدل على تفضيل
العلم على جميع النوافل ان العلم يجمع جميع فضايل الاعمال المتفرقة فان العلم
افضل انواع الذكر كما سبق تقريره وهو ايضا افضل انواع الجهاد وروى
من حديث عبد الله بن عمرو والنعمان بن بشير مرفوعا انه يوزن مداد العلما
بدم الشهداء فيرجح مداد العلما وخرج الترمذي من حديث انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وورد في حديث
آخر اذا جاء الموت طالب العلم فهو شهيد وقال معاذ بن جبل تعلموا العلم فان
تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه
لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل اهل
الجنة وهو الانيس في الوحلة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء
والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة
وايمة تقتص اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهي الى رايهم ترغب الملايكة في خلتهم
وباجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه و
سباع البر وانعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الابصار من
الظلم يبلغ العبد في العلم منازل الاخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة
التفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الارحام وبه يعرف
الحلال من الحرام وهو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقيا
رواه بن عبد البر وقد روي هذا مرفوعا من حديث ابي هريرة ومما يدل على تفضيل
العلم على العبادة قصة ادم عليه السلام فان الله تعالى انما اظهر فضله على الملايكة
بالعلم حيث علمه اسما كل شيء ولما عرفت الملايكة بالعلم عند ذكر معرفة ذلك
فلما انباءهم آدم بالاسما ظهر حينئذ فضله عليهم وقال عز وجل لهم الم اقل لكم
اني اعلم ما لا تعلمون غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
وذكر طايفة من السلف ان الذي كتموه انهم قالوا في انفسهم لن يخلق الله خلقا
الا نحن اكرم عليه منه ومما يدل على فضل العلم ان جبرايل عليه السلام انما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على الملائكة المشتغلين بالعبادة بالعلم الذي خص به فانه صاحب الوحي الذي
ينزله على الانبيا عليهم السلام وكذلك خواص الرسل انما فضلوا على غيرهم من
الانبيا عليهم السلام بمزيد العلم المقتضي لزيادة المعرفة بالله والخشية له
ولهذا وصف الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه ومدحه بالعلم الذي خصه به
وامتن به عليه في مواضع كثيرة وامره ان يعلمه لامته فاول ما ذكره بالعلم
وبتعليمه في قصة ابراهيم حين دعا ربه لاهل البيت الحرام ان يبعث
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وامتن
علينا بان بعث فينا رسولا منا وهو محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة
فقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم
ايآته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين واول ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم ذكر العلم وفضله وهو قوله تعالى
اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وامتن على محمد صلى الله عليه وسلم
بالعلم في مواضع كقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وامره ان يسأل ربه ان يزيده علما
فقال وقل رب زدني علما وكان صلى الله عليه وسلم يقول انا اعلمكم بالله واشدكم
له خشية وامتن الله تعالى علينا ان بعث فينا هذا الرسول صلى الله
عليه وسلم الذي يعلمنا ما لم نكن نعلم وامرنا بشكر هذه النعمة كما قال تعالى
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم ايآتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا
تكفرون واخبرنا سبحانه انه انما خلق السموات والارض وانزل الامر

الا لتعلم بذلك قدرته وعلمه فيكون دليلا على معرفته ومعرفة صفاته كما قال تعالى
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ومدح في كتابه العلما
في مواضع كثيرة وقد سبق ذكر بعضها واخبرنا انه انما يخشاه من عباده
العلما وهم العلما به قال ابن عباس في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما
قال انما يخافني من عبادي من عرف جلالي وكبريائي وعظمتي فافضل العلم العلم
بالله وباسمائه وصفاته وافعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته
ومحبته وهيبته واجلاله وعظمته والتبتل اليه والتوكل عليه والرضا عنه
والاشتغال به دون خلقه ويتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر وتفاصيل ذلك والعلم باوامر الله ونواهيه وشرايعه واحكامه وما يحبه
من عباده من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة ومن جمع هذه العلوم فهو
من العلما الربانيين العلما بالله العلما بامر الله وهم اكمل ممن قصر علمه على العلم بالله
دون العلم بامره وبالعكس لعكس وشاهد هذا النظر في حال الحسن وابن المسيب
والثوري واحمد وغيرهم من العلما الربانيين وحال مالك بن دينار والفضيل بن
عياض ومعروف وبشر وغيرهم من العارفين فمن قاس بين الحالين عرف
فضل العلما بالله وبامره على العلما بالله فقط فما الظن بتفضيل العلما
بالله وبامره على العلما بامره فقط فان هذا واضح لا خفا به وانما يظن بعض
من لا علم له تفضيل العباد على العلما لانهم تخيلوا ان العلما هم العلما بالله فقط
وان العباد هم العلما بالله وحده فرجحوا العالم بالله على العالم بامره وهذا حق
ونحن انما نقول ان العلما بالله والعلما بامره افضل من العباد ولو كان العباد
من العلما بالله لان الربانيين شاركوا العباد في فضيلة العلم بالله بل انما
زادوا عليهم فيه وانفردوا بفضيلة العلم بامر الله وبفضيلة دعوة الخلق الى الله
وهدايتهم اليه وهو مقام الرسل عليهم السلام وكذلك كانوا فلغة الرسل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شتهم كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وهذا القدر الذي انفرد به عن العباد افضل
من القدر الذي انفرد به العباد من تواتر العبادة فان زيادة المعرفة بما انزل الله
على رسوله توجب زيادة المعرفة بالله والايمان به وجنس المعرفة بالله
والايمان به افضل من جنس العمل بالجوارح والاركان ولكن من الاعمال ما
تعظم في نفسه العبادات على العلم لانه لا يتصور حقيقة العلم والاشرف والا
قدر له على ذلك وهو يتصور حقيقة العبادات وله قدرة على جنسها فاذا
في الجملة ولهذا تجد كثيرا ممن لا علم لديه يفضل الزهد في الدنيا على العلوم و
المعارف وسببه ما ذكرناه وهو انه لا يتصور معنى العلم والمعرفة ومن لا
يتصور شيئا لا يقدر في صدره عظمته وانما يتصور الجاهل بالعلم حقيقة الدنيا
وقد عظمت في صدره فعظم عنده من تركها كما قال محمد بن واسع وقد
راى شابا فقيل له هذا الزاهد فقال واي شيء قدر الدنيا حتى يمدح هذا
زهد فيها وقال ابو سليمان الداراني قريبا من هذا المعنى ايضا فالمفتخر
بالزهد في الدنيا كانه يفتخر بترك تزريس من شيء هو اقل عند الله من جناح
بعوضة وهذا اصغر من ان يذكر فضلا ان يفتخر به ولهذا ايضا
يعظم في نفوس كثير من الناس ذكر الخوارق والكرامات ويرونها افضل مما
اعطيه العلماء من المعرفة بالله وبشرعه وهذا من اعظم الغلط وسببه
قلة تصورهم حقيقة المعرفة والعلم وانما يتصورون حقيقة الخوارق لانها
من جنس القدرة والسلطان في الدنيا الذي يعجز اكثر الناس عنه
واما العلم بالله فلا تعظم هذه الخوارق عندهم بل يرون الزهد فيها و
انها من نوع الفتنة والمحنة وبسط الدنيا على العبد فيخافون من الا
شتغال بها والوقوف معها الانقطاع عن الله عز وجل وقد ذكر ابو طا
لب المكي هذا المعنى في كتابه عن كثير من العارفين منهم ابو يزيد و

يحيى

ويحيى بن معاذ وسهل وذو النون والجنيد وغيرهم وقيل لبعضهم ان فلانا
يمشي على الماء فقال ما امكنه الله من مخالفة هواه فهو افضل وكان ابو حفص
النيسابوري يوما جالسا مع اصحابه خارج المدينة وهو يتكلم عليهم فطائر
انفهم فجاء ايل قد نزا من الجبل حتى برك بين يديه فبكى بكاء شديدا و
انزعج فسئل عن سبب بكائه فقال رايت اجتماعكم حولي وقد طابت
قلوبكم فوقع في قلبي لو ان لي شاة ذبحتها لكم ودعوتكم عليها فما تحكم هذا
الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخيل الي اني مثل فرعون الذي
سئل ربه ان يجري له النيل فاجراه له قلت فما يؤمنني ان يكون الله
يعطيني كل حظ في الدنيا وابقى في الاخرة فقيرا لا شيء لي فهذا الذي ازعجني
فاحوال العارفين كلها تدل على انهم لم يكونوا يلتفتون الى هذه الخوارق
وانما كان اهتمامهم بمعرفة الله وخشيته ومحبته والانس به والشوق
الى لقائه وطاعته والعلم الرباني يشاركونهم في ذلك ويزيدون عليهم
بالعلم بالله وبدعوة الخلق الى الله وهذا هو الفضل العظيم عند الله وملائكته
ورسله كما قال بعض السلف من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعى عظيما في ملكوت
السماوات فاذا ظهر فضل العالم على العابد فانما المراد تفضيله على العابد بعلم
فاما العابد بغير علم فانه مذموم ولهذا شبهه السلف بالسائر على غير
طريق وبانه يفسد اكثر مما يصلح وبانه كالحمار في الطاحون يدور حتى يهلك من
التعب ولا يبرح من مكانه وهذا اشد ظهورا ووضوحا من ان يحتاج الى البسط
القوافيه ولنضرب ههنا مثلا جامعا لاحوال الخلق كلهم بالنسبة الى دعوة الر
سول صلى الله عليه وسلم وانقسامهم في اجابة دعوته الى سابق ومقتصد وظالم لنفسه
وبه يظهر فضل العلماء الربانيين على غيرهم من الناس اجمعين فنقول مثل ذلك
كمثل رسول قدم من بلد الملك الاعظم فاداه رسالة الملك الى سائر البلداء و
ظهر لهم صدقه في رسالته فكان مضمون رسالته التي ادتها من عند الملك

الألوكة
www.alukah.net
شبكة

الى رعيته ان هذا الملك لا احسان اتم من احسانه ولا عدل اكمل من عدله ولا
بطش اشد من بطشه وانه لابد ان يستدعي الرعية كلهم اليه ليقيمهم اعنده
فمن قدم عليه باحسان جزاه باحسان افضل الجزاء ومن قدم عليه باساءة
جزاه باساءة اشد الجزاء وانه يجب كذا وكذا ويكره كذا وكذا ولم يدع شيأ
مما تعمله الرعية الا اخبرهم بما يحبه الملك منه وبما يكره وامرهم بالتجهز و
السير الى دار الملك التي فيها الاقامة واخبرهم بخراب جميع البلاد سوى
ذلك البلد وان من لم يتجهز للسير بعث اليه الملك من يزعجه عن وطنه
وينقله منه على اسوأ حال وجعل يصف صفات هذا الملك الحسني من الجمال
والكمال والافضال فانقسم الناس في اجابة هذا الرسول الداعي الى الملك اقساما
ما عدية فمنهم من صدقه ولم يكذبه لكنهم لم يعملوا بما يحب هذا الملك من الرحيل
واستصحابه الى داره عند السير اليه فاشتغل بتحصيله لنفسه وبدواعي
من يمكنه دعاؤه من الخلق الى ذلك وعما يكرهه هذا الملك فاجتنبه
وامر الناس باجتنابه وجعل همه الاعظم السؤال عن صفات الملك وعظمته
وافضاله فزاد بذلك محبته لهذا الملك واجلاله والشوق الى لقائه فارتحل الى الملك
مستصحبا الاتقى ما قدر عليه مما يحبه الملك ويرتضيه واستصحب
معه ركبا عظيما على مثل حاله سار بهم الى دار الملك وقد عرف من جهة ذلك
الدليل الذي هو الرسول الصادق اقرب الطرق التي يتوصل بالسير فيها الى الملك
وما ينفع من التزود للسير فيها الى الملك وعمل بمقتضى ذلك في السير هو ومن
اتبعه فهذه صفات العلماء الربانيين الذين اهتدوا وهدوا الخلق
معهم الطريق الله وهؤلاء يقدمون على الملك قدوم الغائب على اهله
المنتظرين لقدومه المشتاقين اليه اشد الشوق وقسم اخرون لم يشتغلوا
بالتأهب لمسيرهم بانفسهم الى الملك ولم يتفرغوا لاستصحاب غيرهم
معهم وهذه صفة العباد الذين تعلموا ما ينفعهم في خاصة انفسهم

واشتغلوا

واشتغلوا بالعمل بمقتضاه وقسم آخرون تشبهوا باحد القسمين واظهروا
للناس انهم منهم وان قصدهم التزود للوصول وانما كان قصدهم استيطان دار
رهم التي هم بها مستوطنون وحال هؤلاء عند الملك الاعظم اذا قدموا عليه شر حال
ويقال لهم اطلبوا جزاء اعمالكم منه فليس لكم عندنا من خلاق وهم
اول من تسعر بهم النار من اهل التوحيد وقسم اخرون تشبهوا باحد
القسمين الغابرين وهم العلماء والعباد المرائون باعمالهم ليتناولوا بذلك مصالح دارهم
التي هم بها مستوطنون وحال هؤلاء عند الملك الاعظم اذا قدموا عليه شر حال
ويقال لهم اطلبوا جزاء اعمالكم منه فليس لكم عندنا من خلاق وهم اول
من تسعر بهم النار من اهل التوحيد وقسم اخرون تشبهوا فجمعوا اما الزاد
الرسول من رسالة الملك لكنهم غلب عليهم الكسل والتقاعد عن التزود للسفر
واستصحاب ما يحب الملك واجتناب ما يكرهه وهؤلاء العلماء الذين
لا يعملون بعلمهم وهم على شفا هلكة وربما انتفع غيرهم بمعرفتهم ووصفهم
لطريق السير فسار المتعلمون فنجوا وانقطع بمن تعلموا منه الطريق فهلكوا
وقسم اخرون صدقوا الرسول فيما دعى اليه من دعوة الملك لكنهم لم يتعلموا منه
طريق السير ولا معرفة تفاصيل ما يحبه الملك وما يكرهه فساروا بانفسهم وزادوا
نفوسهم في طرق شاقة ومخاوف وقفار وعرة فهلك اكثرهم وانقطعوا في
الطريق ولم يصلوا الى دار الملك وهؤلاء هم الذين يعملون بغير علم وقسم لم
يهتموا بهذه الرسالة ولا رفعوا بها راسا واشتغلوا باصالح اقوامهم في اوطانهم
طانهم التي احضر الرسول بخرابها وهؤلاء منهم من كذب الرسول بالكلية ومنهم
من صدقه بالقول ولكنه لم يشتغل بمعرفة ما دل عليه ولا بالعمل به وهؤلاء
عموم الخلق المعرضون عن العلم والعمل ومنهم الكفار والمنافقون ومنهم
العصاة الظالمون لانفسهم فلم يشعروا الا وقد طرقهم داعي الملك فاخذهم
عن اوطانهم واستدعاهم الى الملك فقدموا عليه قدوم الآبق على سيده الغ

فاذا تأملت اهل كل قسم الناس الذكوره لم تجد اشرف ولا اقرب عند الله من العلماء الربانيين فهم افضل الخلق بعد الرسل قوله صلى الله عليه وسلم وان العلماء ورثة الانبياء يعني انهم ورثوا ما جاءت به الانبياء من العلم فخلفوا الانبيا في امتهم بالدعوة الى الله والى طاعته والنهي عن معاصي الله والذب عن دين الله وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحمة الله على خلفائي قالوا يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمون عباد الله وروي نحو من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه مرفوعا ايضا فالعلماء في مقام الرسل بينه وبين الله وبين خلقه كما قال ابن المنكدر ان العالم بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل عليهم وقال ابن عيينة اعظم الناس منزلة من كان بين الله وبين خلقه الانبيا والعلماء وقال سهل التستري من اراد ان ينظر الى مجالس الانبيا فلينظر الى مجالس العلماء يجيء الرجل فيقول يا فلان ايش تقول في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا فيقول طلقت امرأته فيجيء اخر فيقول ما تقول في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا فيقول ليس يحنث بهذا القول وليس هذا الا لنبي او لعالم فاعرفوا لهم ذلك وراءت امرأة من العابدات في زمن الحسن البصري في منامها كأنها تستفتي في المنام فقيل لها استفتي فقيه الحسن وفي يده خاتم جبرئيل عليه السلام وفي هذا اشارة الى وراثة الحسن ما جاء به جبرئيل من الوحي بخاتمه وروى بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له يا رسول الله قد اختلف علينا في مالك والليث ايهما اعلم فقال صلى الله عليه وسلم مالك ورث جدي يعني ورث علمي ورأى بعضهم في المنام النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا في المسجد والناس حوله ومالك قايم بين يديه وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسك وهو يأخذ منه قبضة قبضة فيدفعها الى مالك ومالك ينشرها على الناس فاوعى الناس ذلك كمالك بالعلم واتباع السنة ورأى الفضيل بن عياض في منامه النبي صلى الله عليه وسلم جالسا والى

جنبه فرجة فجا يجلس فيها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هذا مجلس الى اسحق الغزاري فسئل بعضهم ايهما كان افضل ابو اسحق او فضيل فقال كان فضيل رجل نفسه وكان ابو اسحق رجل عامة يشير الى انه كان عالما ينتفع الناس بعلمه وكان فضيل عابد نفعه لنفسه والعلماء في الاخرة يشفعون الانبيا في الشفاعة وغيرها كما في الترمذي عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة الانبيا ثم العلماء ثم الشهداء وقال مالك بن دينار بلغنا ان يقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف فاشفع وقد روي هذا مرفوعا من حديث ابي هريرة باسناد ضعيف جدا وللعلماء الكلام في الموقف بالحق اذا اشتبهت الامور على الناس فاذا ظن اهل الموقف انهم لم يلبثوا في قبورهم الا ساعة بين اهل العلم ان الامر على خلاف ذلك كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون والعلماء يخبرون يوم القيمة بخزي الله للمشركين كما قال تعالى ويوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وقد روي في حديث مرفوع ان الناس يحتاجون في الجنة الى العلماء كما كانوا يحتاجون اليهم في الدنيا اذا استد عالم اهل الجنة لزيارته وقال لهم سلوني ما شئتم فيلتفتون الى العلماء منهم فيقولون سلوه ربنا فانا في الجنة اعظم منها وهذا كله يبين ان لا درجة بعد النبوة افضل من درجة العلماء وقد يطلق اسم العلماء ويراد ادخال الانبيا فيهم كما في قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فلم يفرد الانبيا بالذكر بل ادخلهم في مسمى العلماء وكفى بهذا شرفا للعلماء انهم يقرنون بالله وملائكته في مقام يشترك فيه معهم اولياء الله العاملين هم والانبيا فيه ومن هنا قال من قال ان العلماء

شبكة الألوكة www.alukah.net

والفقها اولياء الله فليس لله ولي وقال الامام احمد في اهل الحديث انهم هم الا
بدال قول ﷺ صلى الله عليه وسلم ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما
وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر والمراد بهذا ان العلما ورثوا
الانبيا فيما خلفوه وان الذي خلفه الانبيا هو العلم النافع فمن اخذ العلم
حصل له فقد حصل له الحظ العظيم الوافر الذي يغبطه به صاحبه ورأى بذا
مسعود قوما في المسجد يتعلمون فقال رجل على ما اجتمع هؤلاء فقال ع
ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسمونه وخرج ابو هريرة الى السوق فقال
الاهله تركتم ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسم في المسجد وانتم ها هنا فقال
ابني صلى الله عليه وسلم وميراثه هو هذا الكتاب الذي جائه مع السنة المفسرة له
المبينة لمعانيه وفي صحيح البخاري عن ابن عباس انه سئل اترك النبي صلى الله عليه
وسلم منه شيء قال ما ترك الا ما بين الدفتين يعني دفتي المصحف وفي الصحيحين
عن ابن ابي اوفى انه سئل هل اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء قال اوصى بكتا
ب الله وخطب صلى الله عليه وسلم في مرضه حجة الوداع بغدير خم فقا
ل انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين
اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى
ومن اخطاه ضل خرجه مسلم وفي المسند عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال انا النبي الامي ثلاثا ذلك ثلاث مرات
والاني بعدي اوتيت فواتح الكلم وجوامعه وعلمت كم خزنة النار وحملة
العرش وعوفيت وعوفيت امتي فاسمعوا واطيعوا ما دمت فيكم فاذا ذهبت
بي فعليكم بكتاب الله احلوا حلاله وحرموا حرامه قول ﷺ صلى الله عليه وسلم
ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم يريد انهم لم يورثوا عنهم
سوى العلم وهذا يبين المراد بقوله تعالى وورث سليمان داود وقوله تعالى
عن زكريا انه قال هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب انما

اريد به ميراث العلم والنبوة لا المال فان الانبيا لا يجمعون مالا ليتركوه بعدهم ولا
يورث عنهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة وقال ما ترك بعد
مؤنة عاملي ونفقة عيالي صدقة وما ترك صلى الله عليه وسلم الا درعه وسلاحه وبغلته
البيضاء وارضا جعلها صدقة فلم يخلف سوى آلته التي بعث بها والارض
التي كان يتقوت منها هو وعياله ردها صدقة على المسلمين وكل هذا اشارة
الى ان الرسل لم تبعث بجمع الدنيا وتوريثها لاهليهم وانما بعثوا بالدعوة
الى الله والجهاد في سبيله والعلم النافع وتوريثه لامتهم وفي مراسيل ابي
سلم الخولاني عن ابي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحى الله الي ان اجمع المال واكن من
التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين خرجه ابو نعيم وفي الترمذي وغيره عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال حالي والدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل بظل شجرة ثم راح
وتركها فقوله صلى الله عليه وسلم وان العلما ورثة الانبيا وان الانبيا لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فيه اشارة الى امرين احدهما ان العالم الذي
هو وارث للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة كما انه ورثه علمه فينبغي ان يورث
العلم كما ورثه الرسول العلم وتوريث العالم العلم هو ان يخلفه بعده بتعليم
او بتصنيف ونحو ذلك مما ينتفع به بعده وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث علم نافع او صدقة جارية او ولد صالح
يدعو له فالعالم اذا علم علما من يقوم به بعده فقد خلف علما نافعا وصدقة
جارية لانه تعليم العلم صدقة كما سبق عن معاذ وغيره والذي علمهم بمنزلة
اولاده الصالحين يدعون له فيجتمع له بتخليف علمه هذه الثلاث خصا
والامر الثاني ان من كمال ميراث العالم للرسول عليه السلام ان لا يخلف الدنيا
كما لم يخلفها الرسول هذا من جملة الاقتدا بالرسول وبسنته في زهده في الدنيا
وتقللا منها واجتزائه منها باليسير كما كان سهل التستري يقول

الألوكة
www.alukah.net

حب السنة حب الآخرة وقال مالك بن دينار انما العالم الذي اذا اتيته في بيته
فلم تجده قصا عليك بيته رأيت حصيرة للصلاة ومصحفه ومطهرة في جانب
البيت ترى اثر الآخرة وكان الفضيل يقول اجذروا عالم الدنيا لا يصدكم
ثم قال ان كثيرا من علمائكم زيه اشبه بزي كسرى وقميص منه بمحمد صلى الله عليه
وسلم ان محمدا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع
له علم فشمر اليه وكان يقول العلم كثير والحكم قليل وانما يراد من العلم الحكمة فان
اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهكذا كان حال العلماء الربانيين كالحسن وسفيان
واجتزوا من الدنيا باليسير الى ان خرجوا منها ولم يخلفوا سوى العلم مع ان
بعضهم كان يلبس لباسا حسنا ويأكل الكلام متوسطا بعيدا من التقشف
كالحسن البصري فانه كان يأكل اللحم كل يوم وكان يشتري بنصف درهم لحما
فيطبخ مرقة طيبة فيأكل منه هو وعياله ويطعم كل من دخل عليه وكان
يلبس الثياب الحسنة وهو مع هذا زهد الناس في الدنيا وما زاحم
على شيء منها قط وكان الناس اذا دخلوا عليه خرجوا من عنده ولا يعدون
الدنيا شيئا وما لوا شد احتقار الاهل الدنيا منه وكانوا يدخلون عليه في
مرضه يعودونه وليس في بيته الا سرير مزمول عليه وليس في بيته قليل
ولا كثير حتى قال ابن عون انما استبد الحسن الناس بالزهد في الدنيا فما
ما العلم فقد شورك فيه وكان الحسن يقول انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة المجتهد في العبادة القائم بسنة محمد صلى الله عليه وسلم
رأى محمدا فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
انما رفع له علم فشمر اليه وكان سفيان الثوري اشد تقشفا في ملبسه من
الحسن حتى كان من يراه ولا يعرفه يظنه من السوقة وكان مع شدة ورعه
اذا وجد الحلال اكل منه طيبا وان لم يجد حلالا استف الرمل وربما بقي
ثلاثا لا يطعم شيئا مع عرض الناس عليه الاموال الكثيرة وكان اذا اشبع
من الحلال ازيد في علمه وقوله الطعم الزنجي وكده وكان ازهد الناس

في الدنيا

في الدنيا في زمانه حتى كان يتعزز بمجلسه عن الدنيا ولم يكن السلاطين و
الملوك والاغنياء اذل منهم في مجلسه والفقراء والمساكين اعز منهم في مجلسه
وكان الخوف قد غلب عليه فلما مرض مرض الموت حمل ماؤه الى الطبيب فقال
ليس لهذا دواء هذا قد فتت الحزن والخوف كبده ويقال انه لم يكن في زمانه
من هو اخوف منه ولا من هيبة الله في صدره اعظم منه ولما مات
قال بعض العلماء مسكين الفقراء كلموا الدنيا بالدين فقدمات سفيان يعني ما
بقي بعده احد يستحي منه واما الامام احمد فكان اشد منهما تقشفا في
عيشه واكثر صبرا على خشونة العيش والقلة وكانت معيشته من حوا
نيت له ورثها من ابيه وباخر اجرتها في الشهر دون عشرة دراهم ومات
ولم يخلف الا قطعا في خرقة له كان وزنها دون نصف درهم وترك عليه دينا
قضي منه من اجرة حوانيته مع كثرة ما كان يرد على الخلفاء من الجوائز والصلات
وكان يحيى بن ابي كثير من العلماء الربانيين التوسعين في العلم وكان يقال انه
لم يبق على وجه الارض مثله وكان حسن الشباب حسن الهيئة فلما
مات خلف ثلاثين درهما كفنوه بها وكان محمد بن اسلم الطوسي من العلماء
الربانيين الزهاد مات ولم يخلف سوى كسائه ولبده فوضعوهما على
نعشه واناء للوضوء تصدق بقوبه فكان الناس على السطوح يتلقون
في جنازته هذا العالم الذي خرج من الدنيا وهذا ميت اثره على جنازته ليس
مثل علمائنا هؤلاء عميد يطوفهم بمجلس احدهم للعلم سنتين او ثلاث
فيشتري الضياع ويستفيد المال وقال العباس بن مرداس سمعت اصحا
بنا يقولون صار الى الاوزاعي اكثر من سبعين الف دينار من السلطان من
بني امية فلما مات خلف سبعة دنانير بقيت من عطائه وما كان له ارض
ولا دار قال العباس نظرنا فاذا هو اخرجها كلها في سبيل الله والفقراء
وقد وصف الله سبحانه في كتابه العلماء باوصاف منها الخشية والخشوع
والبكاء كما سبق ذكره ومنها احتقار الدنيا والتزهيد فيها كما قال تعالى

في قصة قارون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا
مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن
آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وقيل للامام احمد بن ابن المبارك قيل
له كيف يعرف العالم الصادق فقال الذي يزهد في الدنيا ويقبل على امر آخرته فقال
احمد نعم هكذا ينبغي ان يكون وكان الامام احمد ينكر على اهل العلم حب الدنيا
والحرص على طلبها واعلم انه انما اهلك اهل العلم واوجب اسار ظنة الجهال
بهم وتقديم جهال المتعبدين عليهم ما دخل عليهم من الطمع في الدنيا وقد اتى
علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجل يقص فقال له لا سئلنك مسئلة فان خرجت منها
والا علوتك بهذه الدرة فقال له سل يا امير المؤمنين فقال ما اثبات الدين وزواله
فقال له ثبات الدين الورع وزواله الطمع فقال له قص فمثلك يقص فهذا السؤال
من علي رضي الله عنه لهذا القاص فيه اشارة الى ان من نشر علمه للناس وتكلم عليهم ينبغي
ان يكون ورعا عما في ايديهم غير طامع في شيء من اموالهم والا زالت هيبتهم والاجتلاب
قلوبهم اليه وانما ينشر علمه لله عز وجل ويتعفف عن الناس بالورع وفي سنن
ابن ماجه عن ابن سعود رضي الله عنه قال لوان اهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند
اهله لسادوا اهل زمانهم ولكنهم بذلوه لاهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا
عليهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم اخرته كفاه
الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في احوال الدنيا لم يبال الله في اي واد
من اودية الدنيا هلك وقال ابو حازم الزاهد لقد اتت علينا برهة من دهرنا
وما عالم يطلب امير او كان الرجل اذا علم اكتفى بالعلم عما سواه فكانت الامراء تغشاهم
في منازلهم وتقتبس منهم فكان في ذلك صلاح للغرين للوالي والمولى عليه
فلما رأت الامراء ان العلماء قد غشوهم وجالسوهم وسألوهم ما في ايديهم

هانوا

هانوا عليهم وتركوا الاخذ عنهم والاقتباس منهم فكان في ذلك هلاك الغرين
الوالي والمولى عليه ودخل اعرابي البصرة فقال من سيد هذه القرية فقالوا
الحسن قال فبما سادهم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن
دنياهم وكان الحسن يقول ان لكل شيء شينا وشين العلم الطمع وقال من ازداد علما فازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله الا بعدا ولم يزدد الله الا بغضا
واجتاز الحسن يوما ببعض القراء على ابواب بعض السلاطين فقال
اقرعتم جباهكم وفرطحتم نعالكم وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم الى ابوابهم
فزهدوا فيكم اما انكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكون هم الذين يرسلون اليكم لكان
اعظم لكم في اعينهم تفرقوا فرق الله بينكم اظلاعكم وفي رواية تفرقوا فرق الله بين
ارواحكم واجسامكم فرطحتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجززتم شعوركم و
لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم فضحتم القراء فضحكم الله اما والله لو زهدتم
فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم وفيما عندكم
البعد الله من البعد وفي الجملة لا يصون نفسه لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع غيره به
قال الشافعي من قراء القرآن عظمت قيمته ومن كتب الحديث قويت حجته
ومن تفقه نبل قدره ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل
رأيه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وفي هذا المعنى يقول ابو الحسن علي
بن عبد العزيز الجرجاني رحمه الله تعالى

يقولون لي فيك انقباض وانما ... رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من دانا هم هان عندهم ... ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما ... بدت طمع صيرته لي سلما
اذا قيل هذا منهل قلت قد اري ... ولكن نفس الحر تحمل تحتما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما

الألوكة
www.alukah.net

قد
اذا فاتباع الجهل كان احزما ... اشقى به غرسا واجنيه ذلة
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

الحرص على الدنيا والطمع منها قبيح وهو من العلما اقبح فان كان بعد نزول الشيب فهو اقبح واقبح لبس بعض العلما من التابعين ثيابه وتهيا لبعض الملوك فاخذ المراة فنظر فيها فنظر في لحيته طاقة شيب فقال السلطان والشيب ثم نزع ثيابه وجلس وانشد شعرا

قد آن بعد ظلام الجهل ابصاري ... للشيب صبح بناداني باسفاري
ليل الشباب قصير فاسر متئدا ... ان الصباح قصاري المدلج الساري
كم ذا اغتراري بالدنيا وزخرفها ... ابني بناها على حرف لها هاري
دار مآتمها تبقى ولذتها تفنى ... الا قبحت هاتيك من دار
ليس السعيد الذي دنياه تسعده ... ان السعيد الذي ينجو من النار
اصبحت من سيآتي خائفا وجلا ... والله يعلم اعلاني واسراري
اذا تعاظمت ذنبا ثم ايسني ... رجوت عفو عظيم العفو غفاري

تمت

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد الانبيا والمرسلين محمد وعلى اله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين

يتلوه انشا الله تعالى نبذة في العلم النافع وغير النافع للمصنف ايضا رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم والاقسامه الى علم نافع و علم غير نافع والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف فنقول واله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله قد ذكر الله في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم الذي ينفع وتارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع فاما الاول فمثل قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط وقوله وقل رب زدني علما وقوله انما يخشى الله من عباده العلما وما قص الله سبحانه من قصة ادم وتعليمه الاسما وعرضهم على الملائكة وقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم وما قص الله سبحانه من قصة موسى عليه السلام وقوله للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فهذا هو العلم النافع وقد اخبر الله عن قوم انهم اتوا العلم علما ولم ينفعهم علمهم فهذا علم نافع في نفسه لكنه صاحبه لم ينتفع به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقال تعالى مثل الذين حملوا و اتل عليهم نبا الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآ خرة خير الى اخر الاية وقال واضله الله على علم على تاويل من تاول ما علم عند من اضله الله واما العلم الذي ذكره الله على جهة الذم

قوله في السحر ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه
ماله في الاخرة من خلاق وقوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم
من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقوله تعالى يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وكذلك جاءت السنة بتقسيم العلم
الى نافع والى غير نافع والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع وسؤال العلم النا
فع ففي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني
اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع و
من دعوة لا يستجاب لها وخرجه اهل السنن من وجوه متعددة عن
النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها ومن دعاء لا يسمع وفي بعضها اعوذ بك
من هؤلاء الاربع وخرج النسائي من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقول اللهم اني اسئلك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع وخرجه بن
ماجه ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اسئلك علما نا
فعا واعوذ بك من علم لا ينفع وخرجه بن ماجه ولفظه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع وخرجه
الترمذي من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انفعني
بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما وخرجه النسائي من حديث انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني
وارزقني علما تنفعني به وخرج ابو نعيم من حديث انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يقول اللهم انا نسئلك ايمانا دائما فرب ايمان غير دائم ونسئلك
علما نافعا فرب علم غير نافع وخرج ابو داود من حديث بريدة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر
لحكما وان من الشعر لحكما فسر قوله ان من العلم جهلا ان يتكلف العالم الى علمه
ما لا يعلم فيجهله ذلك ويفسر ايضا بان العلم الذي يضر ولا ينفع

جهل

جهل لان الجهل به خير من العلم به فاذا كان الجهل به خيرا منه فهو شر من
الجهل وهذا كالسحر وغيره من العلوم المضرة في الدين او في الدنيا وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير بعض العلوم المضرة في الدين بانها لا تنفع
ففي مراسيل ابي داود عن زيد بن اسلم قال قيل يا رسول الله قد علمنا فلان
قال بم قال بانساب الناس قال علم لا ينفع وجهالة لا تضر وخرج ابو
نعيم في كتاب رياضة المتعلمين من حديث بقية عن بن جريج عن عطا
عن ابي هريرة مرفوعا وفيه انهم قالوا علم الناس بانساب العرب واعلم النا
س بالشعر وبما اختلف فيه العرب وزاد في اخره العلم ثلاثة ما خلاهن فهو
فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وهذا الاسناد لا يصح
وبقية دلسه عن غير ثقة واخر الحديث خرجه ابو داود وبن ماجه من
حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل
اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وفي اسناده عبد الرحمن بن زياد
الافريقي وفيه ضعف مشهور وقد ورد الامر بان يتعلم من الانساب ما تو
صل به الارحام من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من
انسابكم ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية خرجه الامام
احمد والترمذي وخرجه بن زنجويه من طريق اخرى عن ابي هريرة مرفوعا
تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعر
فون به كتاب الله ثم انتهوا وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلما
البر والبحر ثم انتهوا وفي اسناد روايته بن لهيعة وخرج ايضا من رواية
نعيم بن ابي هند قال قال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم و
بحركم ثم امسكوا وتعلموا من النسبة ما تصلون به ارحامكم وتعلموا ما يحل
لكم من النساء وما يحرم عليكم ثم انتهوا وكان النخعي لا يرى باسا ان يتعلم
الرجل من النجوم ما يهتدي به ورخص في تعلم منازل القمر احمد

نسخة الألوكة
www.alukah.net

عنهما حرب زاد اسحق ويتعلم من اسما النجوم ورد مسعر عن محمد
بن عبيد الله قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تعرفون
به القبلة والطريق وما يهتدى به وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص
فيه ابن عيينة ذكره حرب عنهما وقال طاوس رب ناظر في النجوم ومتعلم
حرف اباجاد ليس له عند الله خلاق خرجه حرب وخرج حميد بن زنجويه
عن رواية طاوس عن ابن عباس وهذا محمول على علم التاثير لا على علم
التسيير فان علم التاثير باطل محرم وفيه ورد الحديث المرفوع ومن اقتبس
شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر خرجه ابو داود من حديث
ابن عباس مرفوعا العيافة والطيرة والطرق من الجبت والعيافة زجر
الطير والطرق الخط في الارض فعلم تاثير النجوم باطل محرم والعمل بمقتضا
ه كالتقرب الى النجوم وتعزيب النوائب عنها كفر واما علم التسيير فاذا
تعلم منه ما يحتاج اليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزا عند
الجمهور وما زاد عليه فلا حاجة اليه وهو يشغل عما هو اهم منه وربما ادى
الله تعلق فيه الى اساءة الظن بمحاريب المسلمين في اتجاهاتهم كما وقع
ذلك كثيرا من اهل هذا العلم قديما وحديثا وذلك يفضي الى اعتقاد خطا
الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الامصار وهو باطل وقد انكر
الامام احمد الاستدلال بالجدي وقال انما ورد ما بين المشرق والمغرب
قبلة يعني لم يرد اعتبار الجدي ونحوه من النجوم وقد انكر ابن مسعود
على كعب قوله ان الفلك تدور وانكر ذلك مالك وغيره وانكر الامام احمد
على المنجمين قولهم ان الزوال يختلف في البلدان وقد يكون انكارهم و
انكار بعضهم لذلك لان الرسل لم تتكلم في هذا وان كان اهله يتطرق
به ولان الاشتغال به ربما ادى الى فساد مريض وقد اعترض بعض
من كان يعرف هذا على حديث النزول ثلث الليل الآخر وقال ثلث

الليل يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن ان يكون النزول في وقت معين
ومعلوم بالضرورة من دين الاسلام قبح هذا الاعتراض وان الرسول صلى الله
عليه وسلم وخلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه بل بادروا
الى عقوبته والحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين وكذلك التوسع في
علم الانساب هو مما لا يحتاج اليه وقد سبق عن عمر وغيره النهي عنه مع
ان طائفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه ويعتنون به وكذلك
التوسع في علم العربية لغة ونحوا مما يشغل عن العلم الاهم والوقوف معه
بمنع علما نافعا وقد كره القاسم بن مخيمرة علم النحو وقال اوله شغل
واخره بغي واراد به التوسع فيه وكذلك كره احمد التوسع في معرفة اللغة
وغريبها وانكر على ابي عبيد توسعه في ذلك وقال هو يشغل عما هو اهم
منه ولهذا يقال ان العربية في الكلام كالملح في الطعام يعني انه يوخذ منها
ما يصلح الكلام كما يوخذ من الملح ما يصلح الطعام وما زاد على ذلك فانه يفسده
وكذلك علم الحساب يحتاج منه الى ما يعرف به حساب ما يقع من قسمة
الفرائض والوصايا والاموال التي تقسم بين المستحقين لها والزايد على
ذلك مما لا ينتفع به الا في مجرد رياضة الاذهان وصقلها لا حاجة
اليه ويشغل عما هو اهم منه واما احداث بعد الصحابة من العلوم
التي توسع فيها اهلها ونحوها علوما وظنوا ان من لم يكن عالما بها فهو
جاهل وضال فكلها بدعة وهي من محدثات الامور المنهي عنها فمن ذلك
ما احدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضربه الامثال لله وقد ورد النهي
عن الخوض في القدر وفي صحيح بن حبان والحاكم عن ابن عباس مرفوعا
لا يزال امر هذه الامة مواتيا او قال قويما ويقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر
وقد روي موقوفا وارجح بعضهم وقفه وخرج البيهقي من حديث
ابن مسعود مرفوعا اذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد روي من وجوه متعددة في اسانيدها مقال وقد روي عن ابن عباس انه
قال لميمون بن مهران اياك والنظر في النجوم فانها تدعوا الى الكهانة واياك والقدر
فانه يدعوا الى الزندقة واياك وشتم احدا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فيكبك الله في النار على وجهك وخرجه ابو نعيم من فوق ولا يصح رفعه والنهي
عن الخوض في القدر يكون على وجوه منها ضرب كتاب الله بعضه ببعض
فينزع الشبث للقدر بالاية والنافي له باخرى ويقع التجاذل في ذلك و
هذا قد روي انه وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم غضب
منه ذلك ونهى عنه وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه وقد نهي عنه ذلك
ومنها الخوض في القدر اثباتا ونفيا بالاقيسة العقلية كقول القدرية لو قدر
وقضى ثم عذب كان ظالما وكقول من خالفهم ان الله اجبر العباد على افعالهم ونحو
ذلك ومنها الخوض في سر القدر وقد ورد النهي عنه عن علي وغيره من السلف
فان العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك ومن ذلك اعني من محدثات الامور ما
احدثه المعتزلة ومن هذا اخذوهم من الكلام في ذات الله وصفاته بادلة العقول
وهو اشد خطرا من الكلام في القدر لان الكلام في القدر كلام في افعاله وهذا
كلام في ذاته تعالى وصفاته وانقسم هؤلاء قسمين احدهما من نفى كثيرا مما ورد به
الكتاب والسنة من ذلك لاستلزامه عندهم التشبيه بالمخلوقين كقول المعتزلة
لو روي كان جسما لانه لا يرى الا في جهة وقولهم لو كان له كلام يسمع لكان
جسما وافقهم من نفى الاستوى فنفوه لهذه الشبهة وهذا طريق المعتزلة
والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في
بعض الامور كثير ممن ينتسب الى السنة والحديث من المتاخرين والثاني
من قسمي اثبات ذلك بادلة العقول التي لم يرد بها الا نقل ورد على اولئك مقالتهم
كما هي طريقة معاذ بن سليمان ومن تابعه كنفوح بن ابي مريم وتابعهم طائفة
من المحدثين قديما وحديثا وهو ايضا مسلك الكرامية فمنهم من اثبت لا
ثبات هذه الصفات الجسم الفاظا واما معنى ومنهم من اثبت الله صفاة

لم يأت

لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة ونحو ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة
وقد انكر السلف على مقاتل قوله في ردة على جهم بادلة العقل وبالغوا في الطعن
عليه ومنهم من استحل قتله منهم مكي بن ابراهيم شيخ البخاري وغيره والصفون
ما عليه السلف الصالح من امرار ايات الصفات واحاديثها كما جاءت من
غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن احد منهم خلاف ذلك البتة
خصوصا الامام احمد والخوض في معانيها والضرب مثل من الامثال لها
وان كان بعض من كان قريبا من زمن احمد منهم من فعل شيئا من ذلك اتباعا
على الطريقة مقاتل فلا يقتدى به في ذلك انما الاقتداء بائمة الاسلام كابن سلام
المبارك ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق وابي عبيد
ونحوهم وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين
فضلا عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلام من سلم من قدح وجرح
وجرأة وقد قال ابو زرعة الرازي كل من كان عنده علم فلم يصن علمه
واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فليستم منه ومن ذلك اعني محدثات
العلوم ما احدثه فقهاء اهل الرأي من ضوابط وقواعد تقليرية وردوع
الفقه اليها وسواء خالفت السنن او وافقتها طردا لتلك القواعد المقررة
وان كان اصلها مما تأولوه على نصوص الكتاب والسنة لكنه تاويلا
تخالفهم غيرهم فيها وهذا هو الذي انكر ائمة الاسلام على من انكره منهم و
فقهاء اهل الرأي بالحجاز والعراق وبالغوا في ذمه وان كان فاما الائمة و
فقهاء الحديث فانهم يتبعون الحديث الصحيح حيث كان اذا كان معمولا
به عند الصحابة ومن بعدهم او عند طائفة منهم فاما ما اتفق السلف على
تركه فلا يجوز العمل به لانهم ما تركوه الا على علم انه لا يعمل به قال عمر بن عبد العزيز
خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فانهم كانوا اعلم منكم فاما ما خالف
عمل اهل المدينة من الحديث فهذا كان مالك يرى الاخذ بعمل اهل المدينة

والاكثرون اخذوا بالحديث ومما انكره ائمة السلف الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام ايضا ولم يكن ذلك طريقة ائمة الاسلام انما احدث ذلك بعدهم كما احدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشافعيه و الحنفية وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها وكل ذلك محدث لا اصل له وصار ذلك علمهم حتى شغلهم عن العلم النافع وقد انكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في السنن ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبده خيرا فتح له باب العمل واغلق عنه باب الجدل واذا اراد الله بعبده شرا اغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل وقال مالك ادركت اهل هذه البلدة وانهم ليكرهون هذا الا الكتاب الذي فيه الناس اليوم يريد المسائل وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول يتكلم احدهم كانه جمل مغتلم يقول هو كذا هو كذا ويهدر في كلامه وكان يكره الجواب في كثرة المسايل ويقول قال الله عز وجل ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي فلم يأته في ذلك جواب وقيل له الرجل يكون عالما بالسنن يجادل عنها قال لا ولكنه يخبر بالسنة فان قبلت منه والا سكت وقال المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم وقال المراء في العلم يقسي القلوب ويورث الضغن وكان يقول في المسايل التي يسئل عنها كثيرا لا ادري وكان الامام احمد يسلك سبيله في ذلك وقد ورد النهي عن كثرة المسايل وعن اغلوطات المسايل وعن المسايل قبل وقوع الحوادث وفي ذلك ما يطول ذكره ومع هذا فكلام السلف والائمة كمالك والشافعي واحمد واسحق فيه التنبيه على مآخذ الفقه ومدارك الاحكام بكلام وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير اطالة ولا اسهاب وفي كلام بعضهم من رد الاقوال المخالفة للسنة بالطف اشارة واحسن

كثرة

عبارة

عبارة يحيث يغني ذلك من فهمه عن اطالة المتكلمين في ذلك بعدهم بل ربما يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والائمة مع اختصاره واجازته فما سكت من سكت عن كثير من الخصام و الجدال من سلف الامة جهلا ولا عجزا ولكن سكتوا عن علم وخشية لله وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن صبا للكلام وقلة ورع كما قال الحسن وسيجيء قوم يتجادلون فالهوى الاعوج حلوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم وتكلموا وقال مهدي بن ميمون سمعت محمد بن سيرين وما رآه رجل فغطه له فقال اني اعلم ما يريد اني لو اردت ان اماريك كنت عالما بابواب المراء وفي رواية قال انا اعلم بالمراء منك ولكنه لا اماريك وقال ابراهيم النخعي ما خاصمت قط وقال عبد الكريم الجزري ما خاصم ورع قط وقال جعفر بن محمد ايام والخصومات في الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق وكان عمر بن عبد العزيز يقول اذا سمعت المراء فاقصر وقال من جعل دينه عرضا للخصومات اكثر التنقل وقال اسابقين عن علم وقفوا وببصر نافذ قد كفوا وكانوا هم اقوى على البحث لو بحثوا وكلام السلف في هذا المعنى كثير جدا وقد فتن كثير من المتاخرين بهذا فظنوا ان من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسايل الدين فهو اعلم ممن ليس كذلك وهذا جهل محض والنظر الى اكابر الصحابة وعلمائهم كابي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كان كلامهم اقل من كلام ابن عباس وهم اعلم منه وكذلك كلام التابعين اكثر من كلام الصحابة و الصحابة اعلم منهم وكذلك تابعوا التابعين كلامهم اكثر من كلام التابعين والتابعون اعلم منهم فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في

الألوكة
www.alukah.net

والعقل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لم يبعث نبيا الا مبلغا وان
تشقيق الكلام من الشيطان يعني ان النبي انما يتكلم بما يحصل به الابلاغ
واما كثرة القول وتشقيق الكلام وكثرة القول فانه مذموم وكانت خطب
النبي صلى الله عليه وسلم قصدا وكان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه و
قال الا من البيان سحرا وانما قاله في ذم ذلك لا من حاله كما ظنه ذلك من ظنه
ومن تأمل سياق الفاظ الحديث قطع بذلك وفي الترمذي وغيره عن عبد الله
بن عمرو مرفوعا ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما
تخلل البقرة بلسانها وفي المعنى احاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة على
عمر وسعد وابن مسعود وعايشة وغيرهم من الصحابة فيجب ان يعتقد انه
ليس كل من اكثر بسط للقول وكلامه في العلم كان اعلم ممن ليس كذلك وقد
ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول
من المتاخرين انه اعلم ممن تقدم فمنهم من يقضي في شخص انه اعلم ممن
تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله ومنهم من يقول هو اعلم
من الفقهاء المشهورين السبعة المتبوعين وهذا يلزم منه ما قبله لان
هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين اكثر قولا ممن كان قبلهم فاذا
كان من بعدهم اعلم منهم لاتساع قوله كان اعلم ممن كان اقل منهم قولا
بطريق الاولى كالثوري والاوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم
ومن قبلهم من التابعين والصحابة ايضا فان هؤلاء كلهم اقل كلاما
ممن جاء بعدهم وهذا تنقيص عظيم بالسلف الصالح واثبات الظن بهم
ونسبة لهم الى الجهل وقصور العلم والله حسبنا ولا حول ولا قوة الا بالله ولقد صدق
ابن مسعود رضي الله عنه في قوله في الصحابة انهم ابر الامة قلوبا واعمقها
علوما واقلها تكلفا وروي نحوه عن ابن عمر ايضا وفي هذا اشارة الى
ان من بعدهم اقل علوما واكثر تكلفا وقال ابن سعد رحمه الله ايضا العلم في
زمان كثير علماؤه وقليل خطباؤه وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه

كثير

كثير خطباؤه وهو فيمن كثر علمه وقل قوله فمعد الممدوح ومن كان بالعكس فمن
مذموم وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم لاهل اليمن بالايمان والفقه واهل
اليمن اقل الناس كلاما وتوسعا في العلوم ولكن علمهم علم نافع في قلوبهم
ويعبرون بالسنتهم عن القدر المحتاج اليه من ذلك وهذا هو الفقه النافع
والعلم النافع فافضل العلوم ما كان في تفسير القرآن ومعاني الحديث و
الكلام في الحلال والحرام ما كان ماثورا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم الى
ان ينتهي الى زمن ائمة الاسلام المشهورين بالعلم المقتدى بهم الذين سمينا هم
فيما سبق فضبط ما روي عنهم في ذلك افضل العلوم مع تفهمه وتعقله و
التفقه فيه وما حدث بعدهم من التوسع لا خير في كثير منه الا ان يكون شرحا
لكلام يتعلق من كلامهم واما ما كان مخالفا لكلامهم فاكثره باطل او لا منفعة
فيه وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق
الا وهو في كلامهم موجود باوجز لفظ واخصر عبارة ولا يوجد في كلام من بعد
هم من باطل الا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتامله ويوجد في كلامهم
من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي اليه من بعدهم ولا يلم به
فمن لم ياخذ العلم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل
متابعة لمن تاخر عنهم ويحتاج من اراد جمع كلامهم الى معرفة صحيحه من سقيمه
وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعلل فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله
من ذلك وليتبين عليه حقه بباطله ولا ثقة بما عنده من ذلك كما يروى عن
قل علمه بذلك لا ثقة بما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عذر السلف لجهله
بصحيحه من سقيمه فمن لجهله بجواز ان يكون كله باطل لعدم معرفته بما
يعرف به صحيح ذلك وسقيمه قال الاوزاعي العلم ما جاء عن اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فما كان غير ذلك فليس بعلم وكذا قال الامام احمد وقال في التابعين انه
مخير يعني مخير في كتابته وتركه وكان الزهري يكتب ذلك وخالفه صالح بن
كيسان ثم ندم على ترك كلام التابعين وفي زماننا يتعين كتابة كلام

الألوكة
www.alukah.net

المقتدى بهم الأئمة الشافعي وأحمد وإسحق وأبي عبيد وليكن الانسان على حذر
مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث ممن انتسب الى متابعة
السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه من الأئمة
وانفراده عنهم بفهم يفهمه او بأخذ يأخذ به لا الأئمة من قبله فأما الدخول
مع ذلك في كلام المتكلمين او الفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك
الا وتلطخ ببعض اوضارهم كما قال أحمد لا يخلو أمر نظر في الكلام الا أن يصير
وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام وان ذبوا عن السنة
واما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لا يتوسع
في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل والى الحشو والى انه غير عارف بالله او
غير عارف بدينه وكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ بالله منه ومما أحدث
من العلوم الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع
ذلك بمجرد الرأي والذوق او الكشف وفيه خطر عظيم وقد أنكره أعيان الأئمة
كأحمد وغيره وكان أبو سليمان يقول انه ليمر بي النكتة من نكت القوم
فلا أقبلها الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وقال الجنيد علمنا هذا مقيد
بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا
هذا وقد اتسع الخرق في هذا الباب ودخل فيه قوم الى أنواع الزندقة
والنفاق وادعوا ان أولياء الله أفضل من الأنبياء وأنهم مستغنون عنهم
والى التنقص بما جاءت به الرسل من الشرايع والى دعوى الحلول والاتحاد والقول
بوحدة الوجود وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان كل بحسب
الاباحة وحل محظورات الشرايع وادخلوا في هذا الطريق اشياء كثيرة
ليست من الدين في شيء فبعضها زعموا انه يراد لرياضة النفوس كالغناء
الصور المحرمة ونظرها وبعضها زعموا انه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء
والرقص وبعضها زعموا انه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس
وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة

كالغنا

كالغنا والنظر المحرم وشاهدوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا فالعلم النافع
من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها والتفقه في
ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث
وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقايق والمعارف
وغير ذلك والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه والاجتهاد على الوقوف
على معانيه وتفهمه ثانيا وفي ذلك كفاية لمن عقل وشغل له بالعلم النافع عني
واشتغل دءبا وفقنا لما هذا واخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعانة
عليه اعانه وهداه ووفقه وسدده وفهمه والهمه وحينئذ يثمر له هذا العلم
ثمرته الخاصة به وهي خشية الله تعالى كما قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلما
وقال ابن مسعود وغيره كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال بعض السلف
ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية وقال بعضهم من خشي الله فهو عالم
ومن عصاه فهو جاهل وكلامهم في هذا المعنى كثير جدا وسبب ذلك ان هذا
العلم النافع يدل على امرين احدهما يدل على معرفة الله تعالى وما يستحقه من
الاسماء الحسنى والصفات العلى والافعال الباهرة وذلك يستلزم اجلاله و
اعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجائه والتوكل عليه والرضا بقضائه و
الصبر على بلائه والامر الثاني المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويسخطه
من الاعتقادات والاعمال الظاهرة والباطنة والاقوال فيوجب ذلك لمن
علمه المسارعة الى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه فاذا
اثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع فمتى كان العلم نافعا وقر في القلب فخشع
خشع القلب لله وانكسر وذل هيبة واجلالا وخشية ومحبة وتعظيما ومتى
خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا و
شبعت به فاوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا وكل ما هو فان لا يبقى
نعيم الآخرة وان كان كثيرا على الله كما قال ذلك ابن عمر وغيره من السلف ورويا
مرفوعا واوجب ذلك ان تكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة فانه
سئله اعطاه وان دعاه اجابه كما في الحديث الالهي ولا يزال عبدي يتقرب

مكتبة الألوكة
www.alukah.net

الي بالنوافل حتى احبه الى قوله ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه
وفي رواية ولئن دعاني لاجيبنه وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لابن عباس احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة فالشان في ان
العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريبا منه يستانس
به في خلوته وبجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته والوجد ذلك الاحد
الطاعم في سره وعلانيته كما قيل لوهيب بن الورد بجد حلاوة الطاعة من عصى
قال الا والله هم ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه وصار بينه وبينه معرفة
خاصة فاذا سأله اعطاه واذا دعاه اجابه كما قالت شعوانة لفضيل بن عياض
لما سألها الدعاء اما بينك وبين ربك ما اذا دعوته اجابك فغشي عليه و
العبد لا يزال يقع في شدائد وكرب في الدنيا وفي البرزخ وفي الموقف فاذا كان
بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله وهذا هو المشار اليه في و
صية ابن عباس بقوله صلى الله عليه وسلم تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة
وقيل لبعروف ما الذي يهجمك الى الانقطاع الى ذكر الملوت والقبر والموقف والجنة ذكر الموت
والنار فقال ان ملكا هذا كله بيده اذا كانت بينك وبينه معرفة كفاك هذا
كله فالعلم النافع ما عرف بين العبد وربه ودل عليه حتى عرف ربه ووجده
وانس به والمستحب ما قرب به وعبده كانه يراه ولهذا قال طائفة من الصحابة
ان اول علم يرفع من الناس الخشوع وقال ابن مسعود ان اقواما يقرؤن القرآن
لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقر في القلب فرسخ فيه نفع وقال الحسن العلم
علمان فعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن ادم وعلم في القلب فذاك العلم
النافع وكان السلف يقولون العلماء ثلاثة فعالم بالله وعالم بامر الله وعا
لم بالله ليس بعالم بامره وعالم بامر الله ليس بعالم بالله وكلهم الاول وهو الذي
يخشى الله تعالى ويعرف احكامه فالشان كله في ان العبد يستدل بالعلم على ربه
فيعرفه فاذا عرف ربه فقد وجده منه قريبا ومتى وجده قريبا قربه اليه واجابه
دعاه كما في الاثر الاسرائيلي ابن ادم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت
كل شيء وان فتك فاتك كل شيء وانا احب اليك من كل شيء وكان ذو النون

يردد

يردد هذه الابيات بالليل شعر اطلبوا لانفسكم مثل ما وجدت انا
قد وجدت لي مسكنا ليس في هواه عنا ان بعدت قربني او قربت منه دنا
وكان الامام احمد رحمه الله يقول عن معروف معه اصل العلم خشية الله فاصل العلم
العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والانس به والشوق اليه ثم
يتلوه العلم باحكام الله وما يحبه ويرضاه من العبد من قول او عمل او حال او
اعتقاد فمن تحقق بهذين العلمين كان عالما نافعا وحصل له العلم النافع
والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعا المسموع ومن فاته هذا العلم النافع
وقع في الاربع الذي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وصار علمه وبالا وحجة عليه
فلم ينتفع به لانه لم يخشع قلبه لربه ولم تشبع نفسه من الدنيا بل ازداد علما فرصا
ولها طلبا ولم يسمع دعاه لعدم امتثاله لاوامر ربه وعدم اجتنابه لما يسخطه
ويكره هذا ان كان علمه علما يمكنه الانتفاع به وهو المتلقى من الكتاب
والسنة فان كان متلقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه ولا يمكنه الانتفاع به
بل ضرره اكثر من نفعه وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع ان يكسب صاحبه الزهو
والفخر والخيلاء وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها فطلب مباهاة
العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس اليه وقد ورد عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان من طلب العلم لذلك فالنار النار وربما الدعي بعض اصحاب
هذه العلوم معرفة الله وطلبه والاعراض عما سواه وليس غرضهم بذلك الا طلب
التقدم في قلوب الناس من المملوك وغيرهم واحسان ظنهم بهم وكثرة اتباعهم
والتعاظم بذلك على الناس وعلامة ذلك اظهار دعوى الولاية كما كان يدعيه
اهل الكتاب وكما ادعاه القرامطة والباطنية ونحوهم وهذا بخلاف ما
كان عليه السلف من احتقار نفوسهم وازدرائها باطنا وظاهرا وقال عمر من
قال انه عالم فهو جاهل ومن قال انه مؤمن فهو كافر ومن قال هو في الجنة فهو في النار
ومن علامات ذلك عدم قبول الحق والانقياد اليه والتكبر على من يقول
الحق خصوصا ان كان دونهم في اعين الناس والاصرار على الباطل خشية تغير
قلوب الناس عنهم باظهار الرجوع الى الحق وربما اظهر وا بالسنتهم ذم انفسهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واحتقارها على رؤس الاشهاد ليعتقد الناس فيهم انهم عند انفسهم متواضعين
فيحمدون بذلك وهو من دقائق ابواب الرياء كما نبه عليه التابعون فمن بعدهم
من العلماء ويظهر منهم من قبول المدح واستجلابه ما ينافي الصدق والاخلاص فا
ن الصادق يخاف النفاق على نفسه ويخشى على نفسه سوء الخاتمة فهو في شغل
شاغل عن قبول المدح واستحسانه فلهذا كان من علامات اهل العلم النافع
انهم لا يرون لانفسهم حالا ولا مقاما ويكرهون بقلوبهم التزكيه والمدح ولا
يتكلمون على اعمالهم قال الحسن انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة
البصير بدينه المواظب على عبادة ربه تعالى وفي رواية عنه قال الذي لا يحسد
من فوقه ولا يسخر ممن دونه ولا ياخذ على علم علمه الله اجرا وهذا الكلام الا
خير قد روي معناه عن ابن عمر من قوله واهل العلم النافع كلما ازدادوا من
هذا العلم ازدادوا لله تواضعا وخشية وانكسارا وذلا قال بعض السلف
ينبغي للعالم ان يضع التراب على راسه تواضعا لربه فانه كلما ازداد علما
بربه وعرفه به ازداد منه خشية ومحبة وازداد له ذلا وانكسارا
ومن علامات العلم النافع انه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا
واعظمها الرياسة والشهرة والمدح فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في
مجانبته من العلم النافع فاذا وقع شيء من ذلك في غير قصد واختيار كاد
صاحبه في خوف شديد من عاقبته بحيث يخشى انه يكون مكرا واستدرا
جا كما كان الامام احمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبعد صيته
ومن علامات العلم النافع ان صاحبه لا يدعي العلم ولا يفخر به على احد
ولا ينسب غيره الى الجهل الا من خالف السنة واهلها فانه يتكلم فيه غضبا
لله لا غضبا لنفسه ولا لقصد الرفعة على احد واما من علمه غير نافع
فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس واظهار فضل علمه عليهم
ونسبتهم الى الجهل وتنقصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من اقبح الخصال
وارداها وربما نسب من كان قبله من العلماء الى الجهل والغفلة والعد

فيوجب

فيوجب له حب نفسه وحب ظهورها احسان ظن بها واساءة ظن
بمن سلف واهل العلم النافع على ضد هذا يسيئون الظن بانفسهم ويحسنون
الظن بمن سلف من العلماء ويقرون بفضلهم وانفسهم بفضل من سلف عليهم
ويعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول اليها ومقاربتها وما احسن قول
ابي حنيفة رحمه الله وقد سئل عن علقمة والاسود ايهما افضل فقال والله
ما نخبا باهل ان نذكرهم فكيف نفضل بينهم وكان ابن المبارك اذا ذكر اخلاق
من سلف ينشد شعرا

لا تعرضن لذكرنا مع ذكرهم ليس الصحيح اذا مشى كالمقعد

ومن علمه غير نافع اذا راى لنفسه فضلا على من تقدمه في المقال وتشقيق
الكلام ظن لنفسه عليهم فضلا في العلم والدرجة عند الله لفضل خص به عن
من تقدمه ممن سبق فاحتقر من تقدمه وازرى عليه بقلة العلم والعلم
المسكين ان قلة كلام من سلف انما كان ورعا وخشية لله ولو اراد
الكلام واطالته لما عجز عن ذلك كما قال ابن عباس لقوم سمعهم يتمارون في الدين
اما علمتم ان لله عبادا اسكتتهم خشية الله من غير عي ولا بكم وانهم العلماء
والفصحاء والطلقاء والنبلاء العلماء بايام الله غير انهم اذا تذكروا عظمة الله
طاشت لذلك عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت السنتهم حتى اذا استفا
قوا من ذلك يسارعون الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم من المفرطين
وانهم لاكياس اقوياء ومع الظالمين والخاطئين وانهم لابرار بررة الا انهم
لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال
هم حيث ما لقيتهم محزونون مشفقون وجلون خائفون خرجه ابو نعيم وغيره
وخرج الامام احمد والترمذي من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وحسنه
الترمذي وخرجه الحاكم وصححه وخرج ابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال البيان من الله والعي من الشيطان وليس البيان بكثرة الكلام

ولكن البيان الفصل في الحق وليس العي قلة الكلام ولكنه من سخفة الحق
وفي مراسيل محمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث ينقص
بهن العبد في الدنيا ويزدادهن في الاخرة ما هو اعظم من ذلك الرحم والحيا
وعي اللسان قال عون بن عبد الله ثلاث من الايمان الحياء والعفاف والعي
عي اللسان لا عي القلب والاعي العمل وهن مما يزدن في الاخرة وينقصن من
الدنيا ومما يزدن في الاخرة اكثر مما ينقصن من الدنيا وروي هذا مرفوعا
وجه ضعيف وقال بعض السلف ان كان الرجل ليجلس الى القوم فيرون
ان به عيا وما به عي انه لفقيه مسلم فمن عرف قدر السلف عرف ان سكوتهم
عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام والزيادة في
البيان على مقدار الحاجة لم يكن عيا ولا جهلا ولا قصورا وانما كان ورعا
خشية الله واشتغالا بما ينفع بما ينفع وسؤددا في ذلك كلامهم في اصول
الدين وفروعه وفي تفسير القرآن والحديث والزهد والرقائق والحكم والمواعظ
وغير ذلك مما تكلموا فيه فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى ومن سلك غير
سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال والقيل والقال فانه اعترف
لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريبا وقد قال اياس بن معاوية
ما من احد الا يعرف عيب نفسه الا وهو احمق قيل له فما عيبك قال كثرة
الكلام وان ادعى لنفسه بالفضل ولم يسعه بالنقص والجهل فقد ضل
ضلالا مبينا وخسر خسرانا عظيما وفي الجملة ففي هذه الازمان الفاسدة اما
ان يرضى الانسان لنفسه ان يكون عالما عند الله او ليس يرضى بان لا يكون
الا عند اهل الزمان عالما فان رضي بالاول فليكتف بعلم الله تعالى وبما كان
بينه وبين الله معرفة اكتفى بمعرفة الله اياه ومن لم يرض الا بان يكون عالما
عند الناس دخل في قوله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهي به العلماء او
يري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار
قال وهيب بن الورد رب عالم يقول له الناس عالم وهو معدود عند الله من الجا

هلين وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول من
تسعر بهم النار ثلاثة احدهم من قرأ القرآن وتعلم العلم ليقال هو عالم هو قارئ وقد
يقال له قد قيل ذلك ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار فان لم تقنع نفسه بذلك
حتى يصل الى درجة الحكم بين الناس حيث كان اهل الزمان لا يعطون من لم
يكن كذلك ولا يلتفتون اليه فقد استبدل العالي هو الذي هو ادنى بالذي هو خير وانتقل
من درجة العلماء الى درجة الظلمة ولهذا قال بعض السلف لما اريد على القضاء فاباه
انما تعلمت العلم لاحشر به مع الانبياء لا مع الملوك فان العلماء يحشرون مع الانبيا
والقضاة يحشرون مع الملوك ولا بد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل به الى الراحة
طويلة فان جزع ولم يصبر فهو كما قال ابن المبارك من صبر فما اقل ما يصبر ومن
جزع فما اقل ما يتمتع وكان الامام الشافعي رحمه الله ينشد

يا نفس ما هو الا صبر ايام كانه لم يكن منها اضغاث احلام
يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة وخل عنها فان العيش قدام

فنسئل الله تعالى علما نافعا ونعوذ به من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس
لا تشبع ومن دعاء لا يسمع اللهم انا نعوذ بك من هؤلاء الاربع الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه اجمعين فصل ليتدبر ما ذم الله به اهل
الكتاب من قسوة قلوبهم بعد اتيانهم الكتاب ومشاهدتهم الايات كاحياء
القتيل المضروب ببعض البقرة ثم تعميتهم عن التشبه بهم في ذلك فقيل لنا
الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون وبين في موضع اخر سبب قسوة قلوبهم فقال سبحانه فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية فاخبر ان قسوة قلوبهم كانت
عقوبة لهم على نقضهم ميثاق الله وهو مخالفتهم الامر والنكاية لهم لنهيه
بعد ان اخذت عليهم مواثيق الله وعهوده ان لا يفعلوا ذلك ثم قال تعالى يحرفون
الكلم عن بعد مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به فذكر ان قسوة قلوبهم

اوجبت لهم خصلتين مذمومتين احداهما تحريف الكلام عن بعد مواضعه و
الثانية نسيانهم حظا مما ذكروا به والمراد تركهم واهمالهم نصيبا مما ذكروا به من
الحكمة والموعظة الحسنة فنعوذ بالله من ذلك ونتوكل العمل به واهله وهذان الامران
موجودان في الذين فسدوا من علمائنا المشابهين اهل الكتاب احدهما تحريف
الكلم فان من تفقه لغير العمل ينسى قلبه فلا يشتغل بالعلم بل بتحريف الكلم
عن مواضعه وصرف الفاظ الكتاب والسنة عن معانيها والتلطف في
ذلك بانواع الحيل اللطيفة من حملها على مجازاة اللغة المستبعدة ونحو ذلك
والطعن في الفاظ السنن حيث لم يمكنهم الطعن في الفاظ الكتاب ويدعون
من تمسك بالنصوص واجراها على ما يفهم منها ويسمونه جاهلا وحشويا
وهذا يوجد في المتكلمين في اصول الديانات وفي فقهاء الراي وفي صوفية
الفلاسفة والمتكلمين والثاني نسيان حظ مما ذكروا به من العلم النافع
فلا تتعظ قلوبهم بل يذمون من تعلم ما يبكيه ويرق قلبه ويحوجه قاصدا
ونقل اهل الراي في كتبهم عن بعض شيوخهم ان ثمرات العلوم تدل على
شرفها فمن اشتغل بالتفسير فغايته ان يقص على الناس ويذكر ومن
اشتغل برايهم وعلمهم فانه يفتي ويقضي ويحكم ويدرس وهؤلاء لهم
نصيب من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون والحامل لهم على هذا شدة محبتهم للدنيا وعلوها ولو انهم زهدوا
في الدنيا ورغبوا في الآخرة ونصحوا انفسهم وعباد الله لتمسكوا بما انزل الله
على رسوله والزموا الناس بذلك فكان الناس حينئذ اكثرهم لا يحزنون
ولا يتقون فكان يكفيهم ما في نصوص الكتاب والسنة ومن
خرج منهم عنها كان قليلا فكان الله يقيض من يفهم من معاني النصوص
ما يرد به الخارج عنها الى الرجوع اليها ويستغني بذلك عما ولدوه من الغرور
اباطيله والحيل المحرمة التي بسببها فتحت ابواب الربا وغيره من المحرمات

واستحلت

واستحلت محارم الله بادنى الحيل كما فعله اهل الكتاب وهذه الذين اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وصلى الله
على نبينا محمد واله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل تم بحمد الله وحسن
توفيقه كتاب معرفة العلم النافع وغير النافع ويتلوه ان شاء الله تعالى

كتاب نور الاقتباس من مشكاة وصية

النبي لابن عباس تصنيف الشيخ الامام العالم الحافظ

زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الصالح شهاب

الدين احمد بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما
ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على محمد النبي الامي واله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا خرج الامام احمد من حديث حنش الصنعاني عن ابن عباس
قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام او يا غليم الا اعلمك كلمات
ينفعك الله بهن فقلت بلى فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك
تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة اذا سئلت فاسئل الله واذا
استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق كلهم
جميعا اراد ان ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه وان ارادوا ان
يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم ان في الصبر على ما تكره
خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا
هكذا ساقه من حديث حنش مع اسنادين اخرين منقطعين وفي
السياق الله لا يحفظ حديث بعضهم من بعض واخرجه ايضا من طريق
حنش وجه مختصرا ولفظه يا غلام اني محدثك حديثا احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاستعن بالله فقد رفعت الاقلام وجفت الكتب فلو جأت الامة لينفعوك
بشيء لم يكتبه الله لك لما استطاعت وظن الترمذي ينحو هذا السياق المختصر
ولفظه اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت
فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت
على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك
بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وقال حديث
حسن صحيح وقال الحافظ ابو عبد الله بن منده لهذا الحديث طرق عن ابن عباس
وهذا صحيح قال وهذا اسناد مشهور ورواته ثقات قلت قد روي هذا
الحديث عن ابن عباس من رواية جماعة منهم علي وابنه وعطاء وعكرمة ومن رواية
عمر مولى غفرة وعبد الملك بن عمير وبنا ابي مليكة عن ابن عباس وقيل انهم سمعوا
منه وفي اسانيدها كلها مقال وفي الفاظها بعض الزيادة والنقص وروي عنه
الى صلى الله عليه وسلم انه اوصى بذلك بن عباس من حديث علي بن ابي طالب وابي سعيد
الخدري وسهل بن سعد وغيرهم من الصحابة وفي اسانيدها ايضا مقال
وذكر العقيلي ان اسانيد هذا الحديث كلها لينة وبعضها اصح من بعض
قلت واجود اسانيدها من رواية حنش عن ابن عباس التي ذكرناها وهو
اسناد حسن لا باس به وقد استوفينا ذكر طرق هذا الحديث مع الكلام عليها
في كتاب شرح الترمذي ونقصد ناها هنا الكلام على معنا الحديث وشرح
الفاظه فانه تضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من اهم امور الدين واجلها
حتى قال الامام ابو الفرج بن الجوزي في كتابه صيد الخاطر قد تدبرت هذا
الحديث فادهشني وكدت اطيش ثم قال واسفا من الجهل بهذا الحديث
وقلة التفهم لمعناه فقوله صلى الله عليه وسلم احفظ الله يحفظك
يعني احفظ حدود الله وحقوقه واوامره ونواهيه وحفظ ذلك هو الوفاء
بعهوده بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده

فلا

فلا يتجاوز ولا يتعدى ما امر به الى ما نهي عنه وقد دخل في ذلك فعل الواجبات
جميعا وترك المحرمات كلها كما في حديث ابي ثعلبة المرفوع ان الله فرض فرائض
فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت
عن اشياء فلا تبحثوا عنها وذلك كله يدخل في حفظ حدود الله كما ذكره الله تعالى في
قوله والحافظون لحدود الله الآية وقال تعالى هذا ما توعد كل اواب حفيظ
من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب وفسر الحفيظ هاهنا بالحا
فظ لاوامر الله وفسر بالحافظ لذنوبه حتى يرجع عنها وكلاهما يدخل في الآية
ومن حفظ وصية الله لعباده وامتثالها فهو داخل ايضا والكل يرجع
الى معنى واحد وقد ورد في بعض الفاظ حديث يوم المزيد في الجنة ان الله تعالى
يقول لاهل الجنة اذا اشتاقوا لزيارته وكشف لهم الحجب مرحبا بعبادي
الذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي وخافوني بالغيب وكانوا مني على كل حال
مشفقين فامر صلى الله عليه وسلم ابن عباس ان يحفظ الله يدخل فيه هذا كله ومن
اعظم ما يجب حفظه من الامورات الصلوات الخمس قال الله تعالى حافظوا على الصلو
والصلاة الوسطى وقال والذين هم على صلاتهم يحافظون وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من حافظ عليهما كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة الحديث وفي حديث اخر من
حافظ عليهن كن له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمة الحديث وكذلك الطها
رة فانها مفتاح الصلاة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على الوضوء الا مؤمن
فان العبد تنتقض طهارته ولا يعلم بذلك الا الله فالمحافظة على الوضوء للصلاة
دليل على ثبوت الايمان في القلب ومما امر الله بحفظه الايمان لما ذكر كفارة
اليمين قال ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم فان الايمان كثير
ما يقع من الناس وموجباتها مختلفة فتارة يجب فيها كفارة يمين وتارة
يجب فيها كفارة مغلظة وتارة يلزم بها المحلوف عليه من طلاق ونحوه
فمن حفظ ايمانه دل على دخول الايمان في قلبه وكان اسلف كثيرا يحافظون
على الايمان فمنهم من كان لا يحلف بالله البتة ومنهم من كان يتورع حتى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيما شك فيه الحنث وهو قول الامام احمد عند موته ان يخرج عنه كفارة يمين وقال
اظن اني حنثت في يمين حلفتها وقد رضي عنه ايوب عليه السلام كان اذا
مر باثنين يحلفان بالله ذهب فكفر عنهما يمينهما لئلا يأثما وهما لا يشعران
ولهذا لما حلف على ضرب امرأته مئة جلده افتاه الله بالرخصة لحفظ الايما
ن وايمان ممن وقد اختلف العلما هل تتعدى الرخصة الى غير الام وقال
يزيد بن ابي حبيب بلغني ان من حملة العرش من يسيل من عينيه مثنا
الانهار من البكا فاذا رفع راسه قال سبحانك ما نخشى حق خشيتك فتقول
الله تعالى لهم الذين يحلفون باسمي كاذبين لا يعلمون ذلك وقد ورد التشديد
العظيم في الحلف الكاذب بالله ولا يصدر كثرة الحلف بالله الا من الجهل بالله
تعالى وقلة هيبته في الصدور ومما يلزم المؤمن حفظ راسه وبطنه كما في حديث
بن مسعود المرفوع الاستحيا من الله حق الحيا ان يحفظ الراس وما وعى وتحفظ
البطن وما حوى خرجه الامام احمد والترمذي وحفظ الراس وما وعى يدخل فيه السمع
والبصر واللسان من المحرمات وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب
من الاصرار على محرم وقد جمع الله ذلك كله في قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئ
لئك كان عنه مسئولا ويدخل في حفظ البطن وما حوى حفظه من ادخال الحرام
اليه من المأكولات والمشروبات ومما يجب حفظه من المنهيات حفظ
اللسان والفرج وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ ما بين لحييه
وما بين رجليه دخل الجنة خرجه الحاكم وخرج البخاري من حديث سهل بن سعد عن
النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة
وفي مسند الامام احمد عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ ما
بين فقميه وفرجه دخل الجنة وقد امر الله بحفظ الفروج خاصة ومدح الحا
فظين لها قال تعالى للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الاية وقال
تعالى والحافظين فروجهم والحافظات وقال والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازوا
جهم او ما ملكت ايمانهم الاية وقد روي عن ابي ادريس الخولاني ان اول ما وصى

الله آدم منذ اهبط الله الى الارض بحفظ فرجه وان لا يضعه الا في حلال وقول
صلى الله عليه وسلم يحفظك يعني ان من حفظ حدود الله ورعى حقوقه حفظه الله فان الجزا
من جنس العمل كما قال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال اذكروني اذكركم
وقال ان تنصروا الله ينصركم وحفظ الله لعبده تتضمن نوعين احدهما حفظه
له في مصالح دنياه ومنه يحفظه في بدنه وولده واهله وماله وفي حديث ابن عمر قال
ما يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح
اللهم اني اسئلك العافية في الدنيا والاخرة اللهم اني اسئلك العفو والعافية في ديني
ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واحفظني من
بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بعظمتك ان
اغتال من تحتي خرجه الامام احمد وابو داود والنسائي وابن ماجه وهذا الدعا منتز
ع والله اعلم من قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه الاية قال ابن عباس
هم الملائكة يحفظونه بامر الله فاذا جاء القدر خلوا عنه وقال علي رضي الله عنه ان مع كل
رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل
جنة حصينة وقال مجاهد ما من عبد الا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن
والانس والهوام فما من شيء يأتيه الا قال وراءك الا شيأ قد اذن الله فيه فيصيبه و
من حفظ الله للعبد ان يحفظه في صحة بدنه وقوته وعقله وماله قال بعض السلف
العالم لا يحترق وقال بعضهم من حفظ القرآن متع بعقله وتأول بعضهم على قوله تعالى
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وكان ابو الطيب
الطبري قد جاوز المئة السنة وهو ممتع بعقله وقوته فوثب يوما من سفينة
كان فيها الى الارض وثبة شديدة فعوتب على ذلك فقال هذه جوارح حفظناها
من المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر وعكس هذا الجنيد
راى شيخا يسأل الناس فقال ان هذا ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره وقد
يحفظ الله العبد بصلاح في ولده وولد ولده كما قيل في قوله تعالى وكان ابوهما صا
لحا انهما حفظا بصلاح ابيهما ومنه قول بعضهم رايت صلاح المرء يصلح اهله
ويعقبهم ذا الفساد اذا فسد ويشرف في الدنيا بفضل صلاحه ويحفظ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الموت في الاهل والولد وقال محمد بن المنكدر ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده و
ولد ولده وقرابته التي هو فيها والدويرات التي حولها فما يزالون في حفظ الله وستره
وقال ابن المسيب لابنه يا بني اني لازيدن في صلاتي من اجلك رجاء ان احفظ
فيك وتلى هذه الاية وكان ابوهما صالحا وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما
من مؤمن يموت الا حفظ الله تعالى في عقبه وعقب عقبه وقال يحيى بن اسمعيل
بن سلمة بن كهيل كان لي اخت اسمها مني فاختلطت وذهب عقلها وتو
حشت وكانت في غرفة في اقصى سطوحنا فمكثت بذلك بضع عشرة سنة
فبينا انا نائم ذات ليلة اذا باب بيتي يدق نصف الليل فقلت من هذا
قالت انجه فقلت اختي قالت افتكي ففتحت الباب فدخلت ولا
عهد لها بالبيت اكثر من عشر سنين فقالت اتيت الليلة في منامي فقيل لي
ان الله قد حفظ اباك اسمعيل لسلمة جدك وحفظ لابيك اسمعيل فان شئت
دعوت الله فذهب مالك وان شئت صبرت ولك الجنة فان اباك وعمر
قد شفعا لك الى الله عز وجل بحب ابيك وجدك لهما فقلت فاذا كان لابد
من احتيار احدهما فالصبر على ما انا فيه والجنة وان الله عز وجل لواسع يخلقه
لا يتعاظمه شئ ان شاء ان يجمعهما لي فعل قالت فقيل فان الله تعالى قد جمعهما
لك ورضي عن ابيك وجدك بحبهما ابا بكر وعمر رضي الله عنهما قومي فانزلي فا
ذهب الله ما كان بها ومتى كان العبد مشتغلا بطاعة الله فان الله تعالى يحفظ
في تلك الحال كما في مسند الامام احمد عن حميد بن هلال ان رجلا قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا هو بين يدي بيتا فقال ان امرأة كانت فيه فخرجت
في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزا او صيصيتها قال فقد
عنز لها وصيصيتها كانت تنسج بهما فقالت يا رب انك قد ضمنت لي
خرجي في سبيلك ان تحفظ عليه واني قد فقدت عنزا لي من غنمي وصيصيتي
واني انشدك عنزي وصيصيتي قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر
شدة مناشدتها لربها تبارك وتعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبح

عنزها

عنزها ومثلها وصيصيتها ومثلها وهائيك فأتاها ان شئت قال فقلت بل
اصدق وكان يشكى شيبان الراعي بن عمى غنما في البرية فاذا جاءت الجمعة
خط عليها خطا وذهب الى الجمعة ثم يرجع وهي كما تركها وكان بعض السلف
بيده الميزان يزن بها دراهم فسمع الاذان فنهض ونفضها على الارض وذهب
الى الصلاة فلما عاد جمعها فلم يذهب منها شئ ومن انواع حفظ الله
لمن حفظ في دنياه ان يحفظه من كل شر كما من يريده باذى من الجن والانس
كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قالت عائشة رضي الله عنها يكفيه غم الدنيا
وهمها وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل ما ضاق على الناس وكتبت
عائشة رضي الله عنها الى معاوية ان اتقيت الله كفاك الناس وان اتقيت الناس لم يغنوا
عنك من الله شيئا وكتب بعض الخلفاء الى الحكم بن عمرو الغفاري كتابا يأمره فيه بأ
مر يخالف كتاب الله فكتب اليه الحكم اني نظرت في كتاب الله فوجدته قبل كتاب
امير المؤمنين وان السموات والارض لو كانتا رتقا على امرئ فاتقى الله عز وجل جعل له
مخرجا والسلام وكتب وانشد بعضهم

يتقون الاله نجا من نجا ... وفاز وصار الى ما رجا
ومن يتق الله يجعل له ... كما قال من امره مخرجا

وكتب بعض السلف الى اخيه اما بعد فانه من اتقى الله فقد حفظ نفسه ومن ضيع
تقواه فقد ضيع نفسه والله الغني عنه ومن عجيب حفظ الله تعالى لمن حفظ
ان يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الاذى وساعية في مصالحه
كما جرى لسفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كسر به المركب فخرج الى جزيرة فرأى
السبع فقال يا ابا الحارث انا سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يمشي حوله
ويدله على الطريق حتى اوقفه عليه ثم جعل يهمهم كأنه يودعه وانصرف عنه وكان
ابو ابراهيم اسابج قد مرض في بيعة بقرب دير فقال لو كنت عند باب
الدير لنزل الرهبان يحاوفعا لجوني فجاء السبع فاحتمله على ظهره حتى وضعه على
باب الدير فرآه الرهبان فاسلموا وكانوا بعماية وكان ابراهيم بن ادهم نازلا
في بستان وعنده حية في فمها طاقة نرجس فمازالت تذب عنه الذباب حتى

مكتبة الألوكة
www.alukah.net

استيقظ فمن حفظ الله حفظه الله من الحيوانات المؤذية بالطبع وجعل تلك
الحيوانات حافظة له ومن ضيع الله ضيعه الله فضاع من بين خلقه حتى يدخل
عليه الضرر بشيء مما كان يرجو انه ينفعه ويضيع اخص اهله به وارفقهم به
يؤذيه كما قال بعضهم اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق خادمي وحماري يعني
ان خادمه يسوء خلقه عليه ولا يطيعه وحماره يستصعب عليه فلا يواتيه
لركوبه فالخير كله مجموع في طاعة الله والاقبال عليه والشر كله مجموع في معصية
الله والاعراض عنه قال بعض العارفين من فارق سنة سيدنا لم يجد لقدميه
قرار الا كما قيل واسه ما جيتكم زايرا الا وجدت الارض تطوى لي

ولا ثنيت العزم عنه بايكم الا تعثرت باذيالي النوع الثاني من الحفظ وهو
اشرفها وافضلها حفظ الله تعالى العبد في دينه فيحفظ عليه دينه وايمانه في حياته من
الشبهات المردية والبدع المضلة والشهوات المحرمة ويحفظ عليه دينه عند موته
فيتوفاه على الاسلام قال الحكم بن ابان عن ابي مكي اذا حضر الرجل الموت يقال للملك
شم راسه قال اجد في راسه الفراغ قال شم قلبه قال اجد في قلبه الصيام قال شم
قدميه قال اجد في قدميه القيام قال حفظ نفسه فحفظه الله عز وجل خرجه ابن ابي الدنيا
وقد ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه ان يقول
عند منامه اللهم ان قبضت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به
عبادك الصالحين وفي حديث عمر عن ابي صلى الله عليه وسلم انه علمه ان يقول اللهم احفظني
بالاسلام قائما واحفظني بالاسلام قاعدا واحفظني بالاسلام راقدا ولا تطع في عدوا
ولا حاسدا خرجه ابن حبان في صحيحه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ودع مودعا يقول
له استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وفي رواية وكان يقول
ان الله اذا استودع شيأ حفظه خرجه النسائي وغيره وخرج الطبراني حديثا مرفوعا
ان العبد اذا وضع الصلاة على وجهها صعدت الى الله وهي بيضاء تكفي هاه تكفي هاه
وتقول لصاحبها حفظك الله كما حفظتني واذا ضيعها لفت كما يلف الثوب
الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها وتقول ضيعك الله كما ضيعتني وكان عمر رضي
الله عنه يقول في خطبته اللهم اعصمنا بحفظك وثبتنا على امرك ودعا رجل لبعض

السلف بان يحفظه الله فقال يا اخي لاستمل منه حفظه ولكن قل بحفظ الايمان
يعني ان المهم هو الدعا بحفظ الدين فان الحفظ الدنيوي قد يشترك فيه البر والفاجر فالله تعالى يحفظ على المؤمن دينه ونحو بينه وبين ما يفسده عليه باسباب
قد لا يشعر العبد ببعضها وقد يكون يكرهه وهو كما حفظ يوسف عليه السلام قال
تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فمن اخلص لله اخلصه
الله من السوء والفحشاء ومصحه منهما من حيث لا يشعر وحال بينه وبين اسباب
المعاصي المهلكة كما يراه معرف الكرخي شبابا يتصيادون للخروج الى القتال في فتنة
فقال اللهم احفظهم فقيل له تدعو لهؤلاء فقال ان حفظهم الله لم يخرجوا الى القتال ومع
هم رجلا يقول اللهم اكل نحول بين المرء وقلبه فحال بيني وبين معاصيك فاعجب
عمر ودعا له بخير وروى ابن عباس في قوله تعالى نحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن
وبين المعصية التي تجره الى النار حج بعض المتقدمين فبات بمكة مع قوم فهم بمعصية
فسمع هاتفا يهتف يقول ويلك الم تحج فعصمه الله مما هم به وخرج بعضهم مع رفقة
الى معصية فلما هم بوقعتها هتف به هاتف كل نفس بما كسبت رهينة فتركها
ودخل رجل غيضة ذات شجر فقال لو خلوت ها هنا بمعصية من كان يراني
فسمع صوتا ملأ ما بين حافتي الغيضة الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
وهم رجل بمعصية فخرج اليها فمر بطريقة تقاص يقص على الناس فوقف على
حلقته فسمعه يقول ايها الهام بالمعصية اما علمت ان الله خالق الجنة مطلع
على هتكك فوقع مغشيا عليه فما افاق الا عند توبة كان بعض الملوك الصالحين
قد تعلق قلبه بمملوك له جميل فخشي على نفسه فقام ليلة فاستغاث
الله فمرض المملوك من ليلته ومات بعد ثلاث ومنهم من عصم نفسه بحفظ
حفظة جرت على لسان من اراد منه الموافقة على المعصية كما جرى لاحد الثلاثة
الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة فانه لما جلس من تلك المرأة
مجلس الرجل من امرأته قالت له يا عبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم
الا بحقه فقام عنها وكذلك الكفل من بني اسرائيل كان لا يتورع عن معصية
فاعجبته امرأة فاعطاها ستين دينارا فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي الجملة فمن حفظ حدود الله ورعى حقوقه تولى الله حفظه في امور دينه ودنياه
وفي دنياه واخرته وقد اخبر الله تعالى في كتابه انه ولي المؤمنين وانه يتولى الصالحين
وذلك يتضمن انه يتولى مصالحهم في الدنيا والاخرة ولا يكلهم الى عدو قال تعالى الله
ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال ذلك بان الله مولى الذين امنوا
وان الكافرين لا مولى لهم وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال اليس الله بكاف
عبده فمن قام بحقوق الله عليه فان الله يتكفل له بالقيام بجميع مصالحه في الدنيا و
الاخرة فمن اراد ان يتولى الله حفظه ورعايته في اموره كلها فليقم بحقوق الله عليه
ومنها اذا ان لا يصيبه شيء مما يكره فلا يأتي شيأ مما يكرهه الله منه كان بعض
السلف يقول على المجالس ويقول من احب ان تدوم له العافية فليتق الله
وقال العمري الزاهد لمن طلب منه الوصية كما تحب ان يكون الله لك فهكذا
كن لله عز وجل وفي بعض الاثار يقول الله وعزتي وجلالي لا اطلع على قلب
عبد اعلم ان الغالب عليه حب التمسك بطاعتي الا توليت سياسته وتقويمه
وفي بعض الكتب المتقدمة يقول الله عز وجل ابن ادم لا تعلمني بما يصلحك
ابتلي آدم اتقني ونم حيث شئت والعني انك اذا قمت بما عليك لله من حقوق
التقوى فلا تهتم بعد ذلك لمصالحك فان الله هو اعلم بها منك وهو يتولى
صلاحها اليك على اتم الوجوه من غير اهتمام منك وفي حديث جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان
الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه فهذا يدل على انه على قدر اهتمام العبد
بحقوق الله وبأداء حقوقه ومراعات حقوقه ومراعات حدوده واعتنائه بذلك
وحفظه له يكون اعتناء به وحفظه له فمن كان غاية همه رضى الله عنه وطلب
قربه ومعرفته ومحبته وخوفه فان الله يكون له على حسب ذلك كما قال تعالى
اذكروني اذكركم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم بل هو سبحانه اكرم الاكرمين
يجازي بالحسنة عشرا ويزيد ومن تقرب منه شبرا تقرب منه ذراعا ومن

ارتعدت وقال اكرهتك قالت لا ولكن هذا اعمل ما عملته قط وانما حملني عليه الخوف
فقال اتخافين الله ولا اخافه ثم قام عنها ووهب لها الدنانير وقال والله لا اعصي
الله الكفل ابدا ومات من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله للكفل خرج
الامام احمد والترمذي حديثه هذا من حديث بن عمر مرفوعا وروى رجل
امرأة عن نفسها وامر هابغلق الابواب ففعلت وقالت له قد بقي باب
واحد قال واي باب قالت الباب الذي بيننا وبين الله تعالى فلم يتعرض لها
وروى رجل امرأة قال لها مايل بنا الا الكوكب قالت فانه فعل كبيها وهذا اكمل
من الطاف الله تعالى وحيلولته بين العبد ومعصيته قال الحسن وذكر اهل العاصي
فقال هانوا عليهم فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم وقال بشر ما اصر على معصية الله
كريم ولا اثر الدنيا على الاخرة حليم ومن انواع حفظ الله لعبده في دينه ان
العبد قد يسعى في سبب من اسباب الدنيا اما البولايات او التجارات او غير ذلك فيحول
الله بينه وبينها مما يراد لما يعلم له في ذلك من الخيرة وهو لا يشعر بوجه كراهته
لذلك قال بن مسعود ان العبد ليهم بالامر من التجارة او الامارة حتى ييسر له
فينظر الله اليه فيقول للملائكة اصرفوه عنه فاني ان يسرته له ادخلته النار
فيصرفه الله عنه فيظل يتطير يقول سبقني فلان ذهابي فلان وما هو الا فضل
الله عز وجل واعجب من هذا ان العبد قد يطلب بابا من ابواب الطاعات
ولا يكون له فيه خيرة فيحول الله بينه وبينه صيانة له وهو لا يشعر وخرج الطبراني وغيره من حديث انس مرفوعا يقول الله عز وجل ان من عبادي من لا يصلح ايمانه
الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى
ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا السقم
ولو صححته لافسده ذلك وان من عبادي من يطلب بابا من العبادة
فاكفه عنه كيلا يدخله العجب اني ادبر عبادي بعلمي بما علمي في قلوبهم اني
عليم خبير كان بعض المتقدمين يكثر سؤال الاستشهادة فهتف به
هاتف انك ان غزوت اسرت وان اسرت تنصرت فكف عن سؤاله

وفي الجملة

منه ذراعا تقرب منه باعا ومن اتاه يمشي اتاه هرولة فمايدنى الإنسان الا
من قبل نفسه ولا يصيبه المكروه الا من تفريطه في حق ربه عز وجل قال على رضي
الله عنه لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه وقال بعضهم من صفى
صفي له ومن خلط خلط عليه وقال مسروق من راقب الله في خطرات
قلبه عصمه الله في حركات جوارحه وبسط هذا المعنى يطول جدا وفيما اشرنا
اليه كفاية وبه نحمد وقوله صلى الله عليه وسلم تجده امامك وفي
رواية اخرى تجاهك معناه ان من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجده معه
في جميع الاحوال يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده فانه
تعالى قائم على كل نفس بما كسبت وهو تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
قال قتادة ومن يتق الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب
والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل كتب بعض السلف الى اخ له
اما بعد فان كان الله معك فمن تخاف وان كان عليك فمن ترجو والسلام
وهذه المعية الخاصة بالمتقين غير المعية العامة المذكورة في قوله تعالى و
هو معكم اينما كنتم وقوله ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا
يرضى من القول فان المعية الخاصة تقتضي النصر والتائيد والحفظ و
الاعانة كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا اني معكما اسمع واري وقوله تعالى
اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وكان صلى الله عليه وسلم قد قال لابي بكر
الصديق في تلك الحال ما ظنك باثنين الله ثالثهما فهذا غير المذكور في
قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية فان ذلك عام لكل احد
منه ومن هذا المعنى الخاص الحديث الالهي وقوله فيه ولا يزال عبدي
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الى غير
ذلك من نصوص الكتاب والسنة الدالة على قرب الرب سبحانه ممن اطا

عه واتقاه

عه واتقاه وحفظ حدوده وراعاه دخل بساتين الجمال الباهرة على طريق تشوق
فتشوقه الى ان قام تستوحش انس حبيبك معك فمن حفظ الله وراعى حقوقه وجده امامه
وتجاهه على كل حال فاستانس به واستغن به عن خلقه وفي الحديث افضل الايمان ان تعلم
العبد ان الله معه حيث كان اخرجه الطبراني وغيره وبسط هذا المعنى يطول جدا فان
بعض العلماء الربانيين كتب السفر وحده فخرج الى مكة من مرو وحده فرد دوهم وانشد

اذا نحن ادلجنا وانت امامنا كفى لمطايانا بذكرك هاديا

وكان الجنيد ينشد هذا البيت ويقطع مجلسه عليه فقوله صلى الله عليه وسلم توقف
الى الله في رخائه يوقفك في شدته المعنى ان العبد اذا اتقى الله وحفظ حدوده
وراعى حقوقه في حال رخائه ومحنته فقد تعرف بذلك الى الله وكان بينه
وبينه معرفة توقفه به في حال الشدة وعرفه علما في رخائه فجاهه في الشدائد
بسلك المعرفة وهذه ايضا معرفة خاصة تقتضي القرب من الله عز وجل
محبته لعبده واجابته لدعائه وهي المعرفة الخاصة فان الله لا يخفى عليه حال احد
من خلقه كما قال تعالى هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
وقال ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وهذا التعرف الخاص هو
المشار اليه في الحديث الالهي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث
ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وفي رواية وليس دعائي لاجيبنه
اجمع الفضيل بن عياض العابد فسألها الدعاء فقالت يا فضيل اما يكفيك وبينه
ان دعوته اجابك فتشرف الفضيل بمسئلته فخر مغشيا عليه وقال الله عز
وجل ان دعوته اجابك

السلمي ان الحسن الحبيب ابن محمد هارون الحجاج فقال يا ابا محمد
احفظني مع الشرط هم على اثره فقال حبيب يا ابا سعيد ليس بينك
وبينه من الثقة ما تدعوه فيستر ك البيت فدخل الشرط
على اثره فلم يروه فذكروا ذلك للحجاج فقال بل كان في بيته الا ان الله طمس على
اعينهم فلم يروه وهي حصل هذا التعرف الخاص للعبد حصل للعبد معرفة خاصة
بربه توجب له الانس به والحياء منه وهذه معرفة خاصة غير معرفة المؤمنين العامة
وهذا التعرف كلهم على حصول هذه المعرفة وهذا التعرف واشار اليهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سمع ابا سليمان رجلا يقول سبحان الباحثة في ذكر الله فقال ويحك
انا استحي منه يراني ساهلا في ذكر غيره ولكن كيف تستحي من لا تعرفه وقال احمد
بن عاصم الانطاكي اجب الله لاجل من اعرف من ولايته وليس معرفته الا قراره به
وذلك المعرفة الذي اذا عرفته استحييت منه وهذه المعرفة الخاصة والتعرف
الخاص توجب طمانينة العبد به وثقته به في انجابه فتامل سداً وكذب
وتوجب استجابة الله دعاء عبده لما اخبر الحسن البصري عن الحجاج قيل
له لو خرجت من البصرة فانا نخاف ان يدل عليك فبكى ثم قال اخرج من مصر يرى
واهلي واعواني ان معرفتي بربي ومعرفته على تدلني على ان سيجني ويخلصني
منه ان شاء الله تعالى فما خرج الحجاج بعدي ولقد كان يكتب بعد ذلك اذا
شدد يدا ويحسن ذكر وقال رجل لمعروف ما الذي هيجك على الانقطاع
والعبادة ذكر الموت والبرزخ والجنة والنار فقال معروف اي شيء هذا
ان فكلا هذا كله بيده ان كانت بيدك ومنه معونة كفاك جميع هذا وجما
يبين هذا او يصححه الحديث الذي اخرجه الترمذي من حديث ابن هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء
في الرخاء وخرج ابن ابي الدنيا وابن جرير وغيرهم من حديث يزيد الرقاشي
عن انس رفعه ان يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت
قال الملائكة يا رب هذا صوت معروف في بلاد غريبة قال الله تعالى اما تعرفون
ذلك قالوا بلى قال عبدي يونس قال
الذي لم يزل يرفع
له عملا متقبلا ودعوة مستجابة قال نعم

مكتبة الملك فهد الوطنية
رقم التسجيل العام
رقم التصنيف الداخلي
التاريخ: / / ١٤٣٠هـ

ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيهم من البلاء قال بلى فامر الله الحوت فطرحه بالعرا
وقال الضحاك بن قيس اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة ان يونس عليه السلام كان
يذكر الله فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في
بطنه الى يوم يبعثون وان فرعون كان طاغيانا سيالذكر الله فلما ادركه الغرق
قال آمنت فقال الله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
وقال رشدين بن سعد قال رجل لابي الدرداء اوصني فقال اذكر الله في السراء يذكرك
في الضراء وقال سليمان الفارسي اذا كان الرجل له دعاء في السراء فنزلت به ضراء
فدعا الله عز وجل قالت الملائكة صوت معروف فشفعوا له واذا كان ليس
له دعاء في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله عز وجل قالت الملائكة صوت ليس بمعروف
فلا يشفعون له وحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة
يشهد لهذا ايضا فان الله فرج عنهم بدعائهم بما كان سبق منهم من الاعمال
الصالحة الخالصة في حال الرخاء من بر الوالدين وترك الفجور واداء الامانة
المخنية فاذا علم ان التعرف الى الله في الرخاء يوجب معونته له العبد في الشدة فلا
شدة يلقاها المؤمن في الدنيا اعظم من شدة الموت وهي اهون مما بعدها ان
لم يكن مصير العبد الى خير وان كان مصيره الى الجنة فهي آخر شدة يلقاها فان
الواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالاعمال الصالحة والبدار
الى ذلك فانه لا يدري الرمى تنزل به هذه الشدة من ليل او نهار وذكر الاعمال
الصالحة عند الموت مما يحسن ظن المؤمن بربه ويهون عليه شدة الموت و
يقوي رجاءه قال بعضهم كانوا يستحبون ان يكون للمرء خبيئة من عمل صالح ليكون
اهون عليه عند نزول الموت او كما قال وكانوا يستحبون ان يموت الرجل عقب طاعة
عملها من حج او جهاد او صيام رمضان وقال النخعي كانوا يستحبون ان يلقنوا
العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه قال ابو عبد الرحمن السلمي في
مرضه كيف لا ارجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان ولما احتضر ابو بكر بن عياش
شاور عليه قال لا تبكوا فاني ختمت القرآن في هذه الزاوية ثلاثة عشر الف ختمة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وروي عنه انه قال لابنه اترى الله يضيع لابيك اربعين سنة يختم كل ليلة وقال الحسن
السلف لابنه عند موته واراه يبكي قال لا تبكي فما اتى ابوك قط فاحشة وختم
آدم بن ابي اياس القرآن وهو مسجى للموت ثم قال بحبي لكل الامال غفت لي في هذا المصر
ع كنت اءملك لهذا اليوم كنت ارجوك لهذا الا الله الا الله ثم قضى رحمه الله وكان
عبد الصمد الزاهد يقول عند موته سيدي لهذه الساعة حبانك ولهذا اليوم فنبتك
حقق حسن ظني بك وقال ابن عقيل عند موته وقد بكى النسوة قد وقعت عن
خمسون سنة فدعوني اتهنا بلقائه ولما هجم التواطة على الحجاج وقتلوهم
في الطواف وكان علي بن باكويه الصوفي يطوف فلم يقطع الطواف والسيوف
تاخذه حتى وقع فانشد شعرا

كفتية اهل الكهف لا يدرون كم لبثوا ترو المحبين صرعى في ديارهم

وبعده بيت اخر

تاسه لو حلق الاحباب انهم موتى من البين يوم البين ماحشوا

فمن اطاع الله واتقاه وحفظ حدوده في حياته تولاه الله عند وفاته وتوفاه
على الايمان وثبته بالقول الثابت في القبر عند سوال الملكين ودفع عنه عذاب
القبر وانس وحشته في تلك الوحدة والظلمة قال بعض السلف اذا كان الله
عز وجل عند دخول القبر فلا باس عليك ولا وحشة وروي بعض العلماء الصالحين
في النوم بعد موته فسئل عن حاله فقال يونسني ربي عز وجل فمن كان الله سبحانه
وتعالى انيسه في خلوته في الدنيا فاحر بان يكون انيسه في ظلمة اللحد اذا
فارق الدنيا وتخلى عنها وفي هذا المعنى يقول بعضهم شعرا

فيارب كن لي مؤنسا يوم وحشتي فاني لما انزلته لمصدق

وما ضرني اني الى الله صائر ومنه هو من اهلي ابر وارفق

وكذلك اهوال القيمة وافزاعها وشدائدها اذا تولى الله عبده المطيع له في الدنيا
انجاه من ذلك كله قال قتادة في قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال
من الكرب عند الموت ومن افزاع يوم القيمة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن

عباس

عباس في هذه الاية ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة وقال زيد بن اسلم في
قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اقال يبشر بذلك عند موته وفي
قبره ويوم يبعث فاذن لفي الجنة وماذهبت فرحة البشارة من قلبه
وقال ثابت البناني في هذه الاية بلغنا ان المؤمن حيث يبعثه الله من
قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن
فيؤمن الله خوفه ويقر عينه فما من عظيمة تغشى الناس يوم القيمة الا
هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله ولما كان يعمل في الدنيا خرج ذلك كله ابن ابي
حاتم وغيره واما من لم يتعرف الى الله في الرخاء فليس له ان يعرفه في الشدة لان
الدنيا ولا في الاخرة وشواهد هذا مشاهدة حالهم في الدنيا وحالهم في الاخرة
اشد ومالهم من ولي ولا نصير وقوله صلى الله عليه وسلم اذا سالت
فاسئل الله هذا امر بافراد الله تعالى بالسوال ونهي عن سوال غيره من الخلق
وقد امر الله تعالى بسوله فقال واسئلوا الله من فضله وفي الترمذي عن ابن مسعود
مرفوعا من لا يسئل الله يغضب عليه وفيه ايضا عن ابي هريرة اسئلوا الله
من فضله فان الله يحب ان يسال وفيه ايضا ان الله يحب الملحين في الدعاء
وفي حديث اخر ليسئل احدكم ربه حاجته كلها حتى يسئله شسع نعله اذا
انقطع وفي هذا المعنى احاديث كثيرة وفي النهي عن سوال الخلق احاديث
كثيرة صحيحة وفي حديث ابن مسعود وابن عمر مرفوعا لا يزال العبد يسئل وهو
غني حتى يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم
جماعة من اصحابه على ان لا يسالوا الناس شيئا منهم الصديق وابو ذر وثوبان
وكان احدهم يسقط سوطه او خطام ناقته فلا يسئل احدا ان يناوله اياه
رضي الله عنهم واعلم ان سوال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلا وشرعا وذلك
من وجوه متعددة منها ان السوال فيه بذل الماء الوجه وذلة للسايل وذلك
لا يصلح الا لله وحده فلا يصلح الذل الا له بالعبادة والمسالة وذلك من غاية

الشبكة الألوكة www.alukah.net

غاية المحبة الصادقة سئل يوسف بن الحسين ما بال المحبين يتلذذون
بذلهم في المحبة فانشد شعرا

ذل الفتى في الحب مكرمة ... وخضوعه لحبيبه شرف

وهذا لذل وهذه المحبة لا تصلح الا لله وحده وهذا هو حقيقة العبادة التي
يختص بها الاله الحق كما ان الامام احمد يقول في دعائه اللهم كما صنت وجهي
عن السجود لغيرك فصنه عن المسئلة لغيرك وقال ابو الحسين الاقطع
كنت بمكة سنة فاصابتني فاقة وضر فكنت كلما اردت ان اخرج الى
المسئلة هتف بي هاتف يقول الوجه الذي تسجد لي به لا تبذله لغيري وفي
المعنى يقول بعضهم شعرا

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... بدلا وان نال الغنى بسؤال

واذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال

فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا ... فابذله للمتكرم المفضال

ولهذا كان عقوبة من اكثر المسئلة بغير حاجة ان يأتي يوم القيمة وليس على
وجهه مزعة لحم كما ثبت ذلك في الصحيحين لانه اذهب عز وجهه وصيانته ومائته في الدنيا فاذهب الله من وجهه في الاخرة جماله وبهائه الحسي فيصير
عظم بغير لحم ويذهب جماله وبهاؤه المعنوي فلا يبقى له عند الله وجاهة
ومنها ان سؤال الله عبودية عظيمة لانها اظهار للافتقار اليه واعتراف
بقدرته على قضاء الحوائج وفي سؤال المخلوق ظلم لانه المخلوق عاجز عن
جلب النفع لنفسه ودفع الضر عنها فكيف يقدر على ذلك لغيره وسؤاله
اقامة له مقام من يقدر وليس هو بقادر ويشهد لهذا المعنى الحديث
الذي في صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يا عبادي لو ان
اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسئلوني فاعطيت
كل انسان مسئلته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا

ادخل

ادخل في البحر وفي الترمذي وغيره زيادة في هذا الحديث وذلك باني جواد
ماجد افعل ما اريد عطائي كلام وعذابي كلام اذا اردت شيئا فانما اقول
له كن فيكون فكيف يسئل الفقير العاجز ويترك الغني القادر ان هذا
لعجب العجيب قال بعض السلف اني لاستحي من الله ان اسئله الدنيا و
هو يملكها فكيف اسئلها من لا يملكها يعني المخلوق وحصل لبعض السلف
ضيق في معيشته حتى هم ان يطلب من اخوانه فرأى في منامه قائلا يقول له
ايحسن بالحر المريد اذا وجد عندنا ما يريد ان يميل بقلبه الى العبيد فاستيقظ
وهو من اغنى الناس قلبا وقال بعض السلف قرأت في هذه الكتب المنزلة
يقول الله عز وجل يؤمل غيري للشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم و
يرجى غيري ويطرق بالبكرات باب غيري وبيدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوح
لمن دعاني من ذا الذي اتكلني لنائبة فقطعت به او من ذا الذي رجاني لعظيم
فقطعت رجاءه او من ذا الذي طرق بابي فلم افتحه له انا غاية الآمال فكيف
تقطع الآمال دوني انخيل انا فيبخلني عبدي اليس الدنيا والاخرة والفضل
والاحسان بيدي كله لي فما يمنع المؤملين ان يؤملوني لو جمعت اهل الكون
والارض ثم اعطيت كل واحد منهم ما اعطيت الجميع وبلغت كل واحد منهم
امله ما نقصا ذلك من ملكي عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيم قيوما بوسا
للقانطين من رحمتي وبابوسا لمن عصاني وودشب على محاربي ومنها ان
الله يحب ان يسئل ويغضب على من لا يسئله فانه يريد من عباده ان يرغبوا
اليه ويسئلوه ويدعوه ويفتقروا اليه ويحب الملحين في الدعاء والمخلوق بخلا
لبا يكره ان يسئل لفقره وعجزه قال ابن السماك لا تسئل من يغلق من ان يسئله
واسئل من امرك ان تسئله قال ابو العتاهية

الله يغضب ان تركت سؤاله ... وبني ادم حين يسئل يغضب

فاجعل سؤالك للاله فانما ... في فضل نعمة ربنا تتقلب

وكان يحيى بن معاذ يقول يا من يغضب مما من الا يسئله لا تمنع من قد
سئلك وانشد بعض الاعراب بكفيك فضل الله فالله اوسع
لا يا مالك لا تسئل الناس والتمس ولو يسئل الناس التراب لاوشكوا اذا قيل هاتوا ان يملوا او يمنع
ومنها ان الله يستدعي من عباده سؤاله وينادي كل ليلة هل من سائل فاعطيه سؤاله هل من داع فاستجيب له وقد قال تعالى واذا سئلك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فاي وقت دعاه العبد وجده كميا قريبا مجيبا ليس بينه وبينه حجاب ولا ابواب واما المخلوق فانه يمتنع بالحجاب والابواب ويعز الوصول اليه في اغلب الاحوال وقال طاوس لعطا اياك ان تطلب حوائجك الى من اغلق دونك بابه وجعل دونها حجابه وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيمة اتركك ان تسئله ووعدك ان يجيبك وقال اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه يوم القيمة اخبر انك تاتي الملوك وابناء الملوك تحمل اليهم علمك وتحكي انك تاتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره وبواري عنك غناه وتدعو من ينتج لك بابه بنصف الليل وبنصف النهار ويظهر لك غناه ويقول ادعوني استجب لكم ورأى مكتوبا بين يدي الله ان الناس مجتمعين على بعض الامراء فقالت له كانت له حاجة الى السلطان فليجئ بيوت الرحمة مفتحة فليات مسجد فليصل ركعتين ثم يسئل الله حاجته وكان ابو بكر المدني يقول من شكك يا بن ادم متى شئت تظهر ثم تاجيت ربك ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان وسئل رجل بعض الصالحين ان يشفع له في حاجة الى بعض المخلوقين فقال انا لا اتركك بابا مفتوحا واذهب الى باب مغلق

وفي هذا المعنى يقول بعضهم

وافتية للملوك محجبة وباب الله مبذول الفناء وقال اخر
قل للذين تحصنوا بمن سائل بمنازل دونها حجاب

ان حال دون لقائكم ابوابكم فالله ليس لبابه بواب وبعض العلماء
لا تجلس بباب من يابى عليك دخول داره وتقول حاجتي يعود بها ان
لم اداره واتركه واقصد ربها تقض ورب الدار كاره واخرج ابن ابي الدنيا
حديث ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان بني فلان اغاروا علي فذهبوا بابني وابلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان آل محمد كذا وكذا اهل بيت مالهم من طعام او صاع فاسئل الله عز وجل
فرجع الى امرأته فقالت ما قال لك فاخبرها فقالت نعم ما رد عليك فما
لبث ان رد الله عليه ابنه وابله او فوقها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله واثنى عليه وامر الناس بمسئلة
الله عز وجل والرغبة اليه وقراء عليهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وسئل رجل ثابت البناني ان يشفع له الى قاض في
قضاء حاجة له فقام ثابت معه فكان سلما من مسجد في طريقه دخله فصلى فيه
ودعى فلما وصل الى مجلس القاضي الا وقد قام منه فغابه طالب الحاجة
في ذلك فقال ما كنت الا في حاجتك فقضى الله حاجته ولم يحتج الى القاضي
وكان اسحق بن عباد البصري نائما فراى في منامه قائلا يقول اغث الملهوف
فاستيقظ فسار هل في جيرانه محتاج فقالوا ما ندري ثم نام فاتاه ثانيا
وثالثا فقال له اتنام ولم تغث الملهوف فقام واخذ ثلاثمائة درهم
وركب بغلته فخرج به من البصرة حتى وقف به بباب مسجد يصلى فيه محل
الجنائز فدخل المسجد فاذا رجل يصلي فلما جلس احس به فانصرف
فدنا منه وقال له يا عبد الله اني هذا الوقت في هذا الموضع ما حاجتك
قال انا رجل كان راس مال ماية درهم فذهبت من يدي والزمني دين
مائتي درهم فاخرج له الدراهم فقال هذه ثلاثمائة خذها فاخذها

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم قال له اتعرفني قال لا قال انا اسحق بن عباد قال نابك نائبة فأتيتني قال
منزلي في موضع كذا فقال له رحمك الله كان ابتنا نائبة فزعنا الى من اخر حك
في هذا الوقت حتى جائك الينا وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم اصبحنا ذا
ت يوم فقالت امي لابي والله ما في بيتنا شيء يأكله ذو كبد فقام وتوضى
ولبس ثيابه ثم صلى في بيته قال فالتفتت الي امي فقالت ان ابانا ليس
يزيد على ما ترى فاخرج انت فحن جئت فخطر ببالي صديق لنا تاجر فجئت اليه
بسوقه فلما رآني صاح بي وذهب بي الى منزله واطعمني ثم اخرج الي صرة فيها
ثلاثون دينارا وقال اعلم يا اخي ان الله جعلنا له شركاء في كل شيء من متجرنا وهذه نصيبه
على ابيك السلام وقال له انا جعلنا له شركا في كل شيء من متجرنا وهذا نصيبه
وعن شقيق البلخي قال كنت في بيتي جالسا فقال لي اهلي قد ترى ما نحن
لا الاطفال من الجوع ولا يحل لك ان تحمل عليهم بالا طاقة لهم به قال فقمت
ضئت وكان لي صديق لا يحل له ان يقسم علي بالله ان يكون لي حاجة الا علم بها ولا
اكتمها عنه فخطر ذكره ببالي فلما خرجت من المنزل مررت بالمسجد فتذكر
ما روي عن ابي جعفر قال من عرضت له حاجة الى مخلوق فليمد بالله عز وجل
يديه فدخلت المسجد وصليت ركعتين فلما كنت في التشهد افرغ على النوم
فرأيت في منامي انه قيل يا شقيق ان الله العباد على الله ثم تنسا فاستيقظت
وعلمت ان ذلك تنبيه نبهني به ربي فلم اخرج من المسجد حتى صليت العشاء
الآخرة ثم انصرفت الى المنزل فوجدت الذي اردت ان اقصده قد حركه الله
واجره لاهلي بما يديه ما اعنامهم وعن ابراهيم بن ادهم انه خرج للغزو مع اصحابه
وانهم تناهدوا فوضع كل واحد منهم دينارا فكان فيمن يقصد من اخ انه
ويستقرض منهم ثم استفاق فبكى وقال واسوأتاه اطلب من العبيد
واترك مولاهم فيفعل احق من كان يطلب منه انا او عبدي ثم توضأ وصلى

وخر ساجدا وقال يا رب قد علمت ما كان مني وذلك بخطاياي وجهلي فان عا
قبتني عليه فانا اهل لذلك وان عفوت عني فانت اهل لذلك وقد عرفت
حاجتي فاقضها برحمتك ثم رفع راسه فاذا بنحو اربعمائة دينار فتناول منها
دينارا واحدا وذهب وعن اصبغ بن زيد قال مكثت انا ومن عندي ثلاثة ايام
نطعم شيأ فخرجت الى ابنتي الصغيرة فقالت يا ابة الجوع فدخلت البيضاة
فتوضأت وصليت ركعتين والححت دعاء دعوت به وفي اخره اللهم افتح
علي منك رزقا ولا تجعل لاحد علي فيه منة ولا لك علي في الآخرة تبعة برحمتك
يا ارحم الراحمين ثم انصرفت الى البيت فاذا ابنتي الكبيرة قد قامت الي وقالت
يا ابة جاء عمي بهذه الصرة الدراهم وحمال عليه دقيق وحمال عليه من كل شيء في السوق
وقال اقرأ اخي السلام وقل له انا جعلناك شركا في كل شيء من متجرنا وهذا نصيبه
قال اصبغ لا والله ما كان لي اخ قط ولا اعرف من كان هذا القائل ولكن الله
على كل شيء قدير وعن الحكم بن موسى قال اصبحت يوما فقالت المرأة ليس
عندنا دقيق ولا خبز فخرجت ولا اقدر على شيء فقلت في اثناء الطريق اللهم ان كنت
تعلم اني اعلم انك تعلم انه لا دقيق ولا خبز او قال ولا درهم فاتنا بذلك فلقيني
رجل فقال خبز تريد او دقيق فقلت له احدهما ثم مشيت نهارا اجمع لا
اقدر على شيء فرجعت فقدم الي اهلي خبزا ولحما واسعا فقلت من اين هذا فقالوا
من الذي وجهت به فسكت وعن الاوزاعي قال رايت رجلا في الطواف وهو
متعلق باستار الكعبة وهو يقول يا رب الى فقير حمائري وصبيتي قد عروا وجائ
وناقتي قد عجفت كما ترى فما ترى يا مدبر ولا يرى فاذا بصوت من خلفه يا ما
صم الحق ممك فقد هلك بالطائف وقد خلف الف بعير وثلاثمائة ناقة و
اربعة الاف دينار واربعة اعبد وثلاثة اسياف بمانية فاعض فخذها فليس
له وارث غيرك قال فقلت له يا صاحب ان الذي دعوت قريب منك قال يا هذا
اما سمعت الله يقول واذا سألك عبادي عني فاني قريب والاثار والحكايات

سبكة الألوكة
www.alukah.net

في هذه الكثرة جدا يطول الكتاب بذكرها وهي موجودة في مثل كتاب الفرج
بعد الشدة وكتاب مجابي الدعوة لابن ابي الدنيا وفي كتاب المستصرخين
بالله عند نزول البلا للقاضي ابي الوليد الفرضي وكتاب المستغيثين
بالله عند نزول البلا للحافظ ابي القاسم بن بشكوال الاندلسيين و
في غيرها من كتب الزهد والرقايق والتواريخ وغيرها وروى الشيخ
ابو الفرج في تاريخه الكبير باسناده عن الحسن بن سفيان الفسوي الحافظ
انه كان مقيما بمصر مع جماعة من اصحابه يكتبون الحديث فاحتاجوا منا
عواما معهم حتى لم يبق لهم ما يباع وبقوا ثلاثة ايام جياعا لا يجدون شيئا يا
كلونه واصبحوا في اليوم الرابع وقد عزموا على المسئلة لشدة الضرورة
فاقترعوا من يسئل منهم فخرجت القرعة على الحسن بن سفيان قال فتجلدت
ودهشت ولم تسامحني نفسي بالمسئلة فعدلت الى زاوية المسجد فصليت
ركعتين طويلتين وادعوا الله عز وجل لكشف الضر وسياقة الفرج فلم
افرغ من الصلاة حتى دخل المسجد رجل معه خادم في يده منديل فقال من
بينكم الحسن بن سفيان فرفعت راسي من السجود وقلت انا فقال ان الامير
بعثكم يقرئكم السلام والتحية ويعتذر اليكم في الغفلة عن تفقد احوالكم
والتقصير الواقع في رعاية حقوقكم وقد بعث اليكم بما يكفي نفقة الوقت
وهو زايركم ومعتذر اليكم بلفظه ووضع بين يدي كل واحد منا صرة فيها
ماية دينار قال فتعجبنا وسالناه عن السبب فقال انه كان اليوم نائما
فراى فارسا في الهوى يقول قوموا فادركوا الحسن بن سفيان واصحابه فانهم
منذ ثلاثة ايام جياع في المسجد الفلاني فقال له من انت قال رضوان
صاحب الجنة قال الحسن فشكرنا الله عز وجل واصلحنا واحوالنا وسا
فرنا تلك الليلة خشية ان يزورنا الامير فيطلع الناس على اسرارنا فيكثر

ذلك

ذلك سبب ارتفاع اسمه وانبساط جاهه وسيتصل ذلك بنوع من الرياء والسمعة
وروى ايضا باسناده له عن محمد بن هرون الروياني انه اجتمع هو ومحمد بن نصر المروزي
ومحمد بن علويه الواراق ومحمد بن اسحق بن خزيمة فذكر معنى هذه الحكاية وان
المصلي والداعي هو محمد بن خزيمة وباسناد اخر ان الاربعة كانوا محمد بن جرير ومحمد
بن نصر ومحمد بن خزيمة ومحمد بن هارون وقوله صلى الله عليه وسلم
واذا استعنت فاستعن بالله لما امر صلى الله عليه وسلم بحفظ الله والتعرف اليه في
الرخاء ذكر هو العبادة حقيقة ثم ارشده الى سؤال الله وحده ودعائه والدعاء هو
العبادة كما في حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قرا وقال ربكم ادعوني
استجب لكم الاية اخرجه اهل السنن الاربعة ارشد بعد ذلك الى الاستعانة
بالله وحده وهذا مستخرج من قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وهي كلمة عظيمة
جامعة ويقال ان سر الكتب الالهية كلها ترجع اليها وتدور عليها وفي استعا
نة الله وحده فائدتان احدهما ان العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل
الطاعة والثانية انه لا معين له على مصالح دينه ودنياه الا الله عز وجل فمن اعانه الله
فهو المعان ومن خذله فهو المخذول وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم احرص
على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وكان صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته و
يعلم اصحابه ان يقولوا ان الحمد لله نستعينه ونستهديه وفي دعاء القنوت
الذي كان يدعو به هو وغيره اللهم انا نستعينك ونستهديك وامر معاذ بن جبل
ان لا يدع في دبر كل صلاة ان يقول اللهم اعني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك وكان
من دعائه صلى الله عليه وسلم رب اعني ولا تعن علي وفي الاثر المعروف ان موسى عليه السلام قال يا
لما ضرب البحر فانفلق اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وعليك التكلا
والاعوان ولا قوة الا بك فالعبد محتاج الى الاستعانة بالله في فعل المامورات وترك
المحظورات وفي الصبر على المقدورات كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون وهذا قالت عايشة رضي الله عنها هذه الكلمة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لما قال لها اهل الافك ما قالوا فيها الله مما قالوا وقال موسى عليه السلام لقومه استعينوا
بالله واصبروا وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان
على ما تصفون وكما بشر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بالجنة على بلوى تصيبه قال الله المستعان
ولما دخلوا على عثمان فضربوه جعل يقول والوا تسيل عليه لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين اللهم اني استعينك عليهم واستعينك على جميع اموري
واسئلك الصبر على ما ابتليتني وروي عن علي بن ابي طلحة الصحابي رضي الله عنه وعلم
قال في بعض غزواته حين لقي العدو يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين
قال ابو طلحة فلقد رايت الرجال تصرع اخرجه ابو الفتح الاصبهاني فالعبد محتاج
الى الله في مصالح دينه وفي مصالح دنياه كما قال الزبير في وصيته لابنه عبد الله ان
عجزت فاستعن بمولاي فقال له يا ابت من مولاك قال الله قال فما وقعت
في كربة من ديني الا قلت يا مولى الزبير اقض ديني فيقضيه قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في اول خطبة خطبها على المنبر الا ان العرب جمل انيق فلا تخزن احدا
واني حاملهم على المحجة ومستعين بالله عليه وكذلك يحتاج العبد الى الاستعانة
بالله على اهوال ما بين يديه من الموت وما بعده لما اعترض خالد بن الوليد قال
رجل ممن حوله والله انه ليسوءه يعني الموت فقال خالد اجل فاستعين بالله وبكي
عامر بن عبد الله بن الزبير عند موته وقال انما ابكي على اخر النهار ودبر القيام يعني صيام
النهار وقيام الليل وقال واني استعين الله على قصر عمي هذا بين يديه ومن
كلام بعض المتقدمين من يأت بحجبت لم يعرفك كيف بن جواجبي كر بحجبت لم
يعرفك كيف يحجبك يستعين بغيرك وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز
رحمهما الله تعالى لا تستعين بغير الله فيكلك الله اليه قال بعضهم السلف فاستعن
بالله واستعنه فانه خير مستعان وقوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما
هو كائن وفي رواية اخرى رفعت الاقلام وجفت الكتب وفي رواية اخرى
وجفت الصحف كلمة كناية عن نفوذ المقادير وكتابتها في كتاب جامع

من اول بعيد

من اول بعيد قال الكتاب اذا كتب وفرغ من كتابته ولم يعد عهدة فقد رفعت الاقلام عنه
وجفت الاقلام التي كتب بها من مدادها وجفت الصحيفة المكتوب فيها
فيها وهذا من احسن الكنايات وابلغها وقد دل الكتاب والسنة الصحيحة على مثل هذا المعنى
قال الله عز وجل ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان
ذلك على الله يسير قال الضحاك عن ابن عباس ان الله خلق القلم فامره ان يجري بما هو كائن
فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فما اصابه من خطأ لم يكن ليصيبه وما اصابه من
شيء لم يكن ليخطئه وروى ابو ظبيان عن ابن عباس ان اول شيء خلقه الله القلم فقال له اكتب فقال يا رب
وما اكتب قال اكتب القدر فجرى بما هو كائن الى الابد حتى تقوم الساعة ثم روى ان القلم وما
يسطرون وروى ابو الضحى عن ابن عباس نحو هذا وروى حديث ابي الضحى مرفوعا وروى
رفعه وروى بطوله باسناد ضعيف عن ابي هريرة مرفوعا ان اول شيء خلقه الله ثم خلق
النون وهي الدواة ثم قال اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة
فذلك قوله عز وجل ن والقلم وما يسطرون ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق
الى يوم القيامة وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي من حديث عبادة بن الصامت
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى في تلك الساعة
بما هو كائن الى يوم القيامة وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة
وخرج الامام احمد والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن عمر قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومع يده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله
الا ان تخبرنا
يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء
اهل الجنة واسماء
اجمل على اخرهم فلا يزاد ولا ينقص منهم ابدا ثم قال
للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم
ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد ولا ينقص منهم ابدا فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان
كان الامر قد فرغ منه قال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اهل الجنة دار عمل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فنبذها ثم قال
فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير وخرج الامام احمد من
حديث ابن الدرداء عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال فرغ الله الى كل عبد من خمس من اجله
ورزقه واثره ومضجعه وشقي او سعيد وخرج الامام احمد والترمذي من حديث
ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله كل نفس وكتب صايرا
ورزقها ومصايبها وخرج مسلم من حديث جابر انه من جاء قال يا رسول الله فيما العمل
اليوم ايفاجف به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به
الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي هذا
المعنى احاديث كثيرة جدا وكذلك اثار الموقوفة قال بعضهم

سلم الامر حين جف بالكاتب القلم ان الله ليس خالقا الا رب لما حكم

وقوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا خلق الله الخلق كلهم جميعا اراد ان ينفعك
بشيء لم ينفعك الا بشيء قد كتبه الله لك ولم يرد ان يضرك بشيء لم يكتبه
الله عليك لم يقدر عليه ويريد بذلك ان ما اصيب العبد لم يكن ليخطئه
ان ينفعه في دنياه فلله لقدر عليه ولا يمكن ان يصيبه ما لم يكتب له وان الله
عليه ولو اجتهد الخلق على ذلك كلهم جميعا وقد دل القرآن ايضا
هذا في قوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الآية وقال تعالى
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك
على الله يسير وقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم

كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وخرج الامام احمد من حديث ابي الدرداء رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى
يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وخرج ابو داود
وابن ماجه من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه ايضا و
اعلم ان هذا جميع هذه الوصية من النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس على هذا
الاصل وما ذكر بعده وما قبله متفرع عليه وراجع اليه فانه اذا علم العبد انه
لن يصيبه الا ما كتب الله له من خير او شر او نفع او ضر وان اجتهد الخلق
كلهم جميعا على خلاف المقدور غير مفيد شيا البتة علم ان الله تعالى وحده هو
الضار النافع والمعطي المانع فاوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وافراده
بالاستعانة واسواله والتضرع والابتهال وافراده ايضا بالعبادة والطاعة
لان المعبود انما بعبادته جلب المنافع ودفع المضار ولهذا ذم الله سبحانه
من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيا وايضا فكثير ممن
لا يحقق الايمان في قلبه يقدم طاعة مخلوق على طاعة الله رجاء نفعه او دفعا
لضره فاذا تحقق العبد تفرد الله وحده بالنفع والضر والعطا والمنع اوجب
ذلك افراده بالطاعة والعبادة وتقديم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعا كما
يوجب ذلك افراده سبحانه بالطاعة والطلب منه وقد اشتملت هذه
الوصية العظيمة الجامعة على هذه الامور المهمة كلها فان حفظ العبد ربه عز
وجل حفظ حدوده ومراعات حقوقه وهو حقيقة عبادته وهو اول ما صدرت
به الوصية ورتب على ذلك حفظ الله لعبده وهو نهاية ما يطلبه العبد من
ربه ويريده منه ثم عقب ذلك بذكر التعرف الى الله في الرخا والشدة مقتضى المعرفة
ان يعرفهم ويتعرف منهم خصت بالذكر لهذا المعنى وفي هذه الحالة يخلص
الشاكون الدعاء وحده وينفردونه بالسؤال والطلب لعلمهم انه لا يكشف الضر

الاستعانة

سواه سبحانه ثم يعودون عند كشف الضر عنهم الى الشرك كما ذكر ذلك سبحانه
عنهم في مواضع من كتابه وذمهم عليه فامره صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم في ذلك
بالتعرف الى الله في حال الرخاء باخلاص الدين له وحده وبطاعته والتقرب
اليه ليوجب ذلك معرفته لهم في الشدة وكشفها عنهم ثم عقب ذلك بذكر افراد
الله بالسؤال وافراده بالاستعانة وذلك يشمل حال الشدة وحال الرخاء
ثم ذكر بعد هذا كله الاصل الجامع الذي تنبني عليه هذه المطالب كلها وهو
هو تفرد الله سبحانه وتعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع وانه لا يصيب العبد
من ذلك الا ما سبق تقديره وقضاءه له وان الخلق كلهم عاجزون
عن ايصال نفع او ضر غير مقدر في الكتاب السابق وتحقيق هذا
يقتضي انقطاع العبد بالتعلق بالخلق وعن سؤالهم واستعانتهم
ورجائهم بجلب نفع او دفع ضر او خوفهم من ايصال ضر او منع نافع
وذلك يستلزم افراد الله سبحانه بالطاعة والعبادة ايضا وان يقوم طاعته
على طاعة الخلق جميعا وان يتقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعا وقد
جاء من حديث ابي سعيد مرفوعا ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس
بسخط الله وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق
الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره وما احسن قول بعضهم

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

فمن تحقق ان كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة
شيء من التراب على طاعة رب الارباب او كيف يرضي التراب بسخط
الملك الوهاب ان هذا الشيء عجاب وقد دل القرآن على هذا الاصل

وهو

وهو تفرد الله سبحانه بالعطاء والمنع في مواضع كثيرة جدا كقوله تعالى ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقوله وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله
تعالى قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل
المتوكلون وقوله تعالى حاكيا عن نبيه نوح عليه السلام انه قال لقومه ان كان
كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم
ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون وقوله تعالى حاكيا عن
نبيه هود عليه السلام انه قال لقومه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على
الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم
وقال بعضهم ما قدر الله لي لا بد يدركني ومن ذا الذي يدفع المقدر بالحذر

اما اولا بنا من انفسنا ... ان نحن الا مماليك المقتدر

وشكى رجل الى الفضيل الفاقة فقال له الفضيل امل بر غير الله ترد
وقال بعضهم دبر فليس بمخف عنك تدبير وليس يعوزك بالتدبير تقدير
وقوله صلى الله عليه وسلم ان في الصبر على ما تكره النفس خيرا كثيرا
وفي رواية عمر مولى غفرة وغيره عن ابن عباس زيادة قبل هذا الكلام وهي فان
استطعت ان تعمل بالرضا في اليقين فافعل وان لم تستطع فان في الصبر
على ما تكره خيرا كثيرا ومراده باليقين ها هنا تحقيق الايمان بما سبق
ذكره من التقدير السابق كما ورد ذلك صريحا في رواية عبد الله بن عباس
عند ابن ابي الدنيا لكن باسناد ضعيف وفي رواية زيادة وهي قلت يا رسول الله كيف
اصنع باليقين قال ان تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم
يكن ليصيبك فاذا انت احكمت باب اليقين فحصول اليقين للقلب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالقضاء السابق والتقدير الماضي يوجب رضى النفس بالقضاء والقدر و
طمأنينتها وقد دل القرآن على مثل هذا المعنى بعينه في قوله تعالى لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم قال الضحاك في هذه الآية مخرام لكيلا تأسوا
على ما فاتكم لا تأسوا على شيء من امر الدنيا فانا لم نقدره لكم ولا تفرحوا بما اتا
كم لا تفرحوا بشيء من امر الدنيا اعطيناكموه فانه لم يكن ليزوى عنكم وقال
سعيد بن جبير في هذه الآية لكيلا تأسوا على ما فاتكم من العافية والخصب
اذ علمتم انه مكتوب عليكم قبل ان يخلقكم خرجه ابن ابي حاتم ومن هذا المعنى
قول بعض السلف الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن وقد اشار النبي صلى
الله عليه وسلم الى ذلك بقوله في الحديث الصحيح احرص على ما ينفعك واستعن
بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا ولكن
قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فاشار في هذا الحديث
الى ان تذكر النفس بالقدر السابق عند المصايب يذهب وساوس الشيطا
الموجبة للهم والحزن والندم على تعاطي الاسباب الدافعة لو قوعها وقال
انس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلت
كذا وكذا ولا لشيء لم افعله الا فعلت كذا قال وكان اذا لامني بعض اهله
قال دعوه لو قدر شيء كان خرجه الامام احمد بهذه الزيادة وخرج ابن ابي الدنيا
باسناد فيه نظر عن عائشة رضي الله عنها قالت كان اكثر كلام النبي صلى الله عليه وسلم
في بيته اذا خلا ما قضى الله من امر يكن وخرج ايضا حديثا مرسلا ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لابي مسعود لا تكثر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتك وفي
حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله دواء من
تسعة وتسعين داء ايسرها الهم خرجه الطبراني والحاكم فان تحقيق هذه
الكلمة تقتضي تفويض الامور الى الله وانه لا يكون الا ما شاء والايمان بذلك
يذهب الهم والغم وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال لا تتهم الله في شيء

قضاه لك

قضاه لك فاذا نظر المؤمن بالقضاء والقدر في حكمة الله ورحمته وانه غير متهم
في قضائه دعاه الى الرضا بالقضاء وقال الله عز وجل ما اصاب من مصيبة الا
باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال علقمة في هذه الآية هي المصيبة تصيب
الرجل فيعلم انها من عند الله فيسلم لها ويرضى وفي الحديث الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الا يقضي الله للمؤمن من قضاء الا كان خيرا له ان اصابته سراء
شكر كان خيرا له وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن
وقد دل القرآن على مثل هذا المعنى في قوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون فاخبرانهم لا يصيبهم الا ما كتب الله لهم فدل
على انهم بكل حال سواء كان مما يلائم او لا يلائم واخبر تعالى انه مولاهم ومن يتول
الله لم يخذله بل هو يتولى مصالحه قال تعالى فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير
ثم عقب ذلك بقوله قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية يعني اما النصر
والظفر واما الشهادة وايهما كان فحسن وخرج الترمذي من حديث انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط
فله السخط قال ابو الدرداء اذا قضى الله قضاء احب ان يرضى به وقال ام الدرداء
ان الراضين بقضاء الله الذي قضاه لهم رضوه لهم في الجنة منازل يغبطهم بها
الشهداء يوم القيمة وقال ابن مسعود ان الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح
في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقد روي هذا مرفوعا من
وجه ضعيف وكان عمر بن عبد العزيز يقول لقد تركتني هؤلاء الدعوات وما لي
في شيء من الامور أرب الا في مواقع قدر الله عز وجل وكان يدعو بها كثيرا اللهم رضني
بقضائك وبارك لي في قدرك حتى لا احب تعجيل شيء اخرته ولا تاخير شيء قد
عجلته قال ابن عون ارض بقضاء الله على ما كان من عسر ويسر فان ذلك اقل
لهمك وابلغ فيما تطلب من امر آخرتك واعلم ان العبد لن يصيب حقيقة الرضا
حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء كرضاه عند الغنى والرخاء كيف نستطيع
الله في امر لم تسخط ان رأيت قضاءه يخالف الهوى ولعل ما هو

الألوكة
www.alukah.net

ذلك لو وفق لك فكان فيه هلاكك وترضى قضاءه اذا وافق هواك وذلك لقلة
علمك بالغيب وكيف تستقضيه ان كنت كذلك ما انصفت من نفسك
ولا اصبت في باب الرضا وهذا كلام حسن ومعناه ان العبد اذا استخار الله
عز وجل فينبغي ان يرضى بما اختاره له من موافق لهواه او مخالف لانه
لا يدري في ايهما الخيرة له والله سبحانه اعلم متهم في قضائه له استخارة ومنها
هنا كان طائفة من السلف كابن مسعود وغيره يامرون من يخاف ان لا يصبر
على ما يخالف هواه مما يختاره له ان يقول في دعاء استخارته في عافية فانه
قد يختار له البلاء ولا يصبر عليه وقد روي موقوفا ومنه وجه ضعيف عن
انس بن ان رجلا كان يكثر الاستخارة فابتلي فعجز ولم يصبر فاوحى الله الى
نبيا من انبيائهم ان قل لعبدي فلان اذا لم يكن من اهل العزائم فهلا استخرتني
في عافيه وفي الحديث المرفوع من سعادة العبد استخارة ربه عز وجل له
فيما قضى وان من شقاوة العبد تركه الاستخارة وسخطه بما قضى خرجه
الترمذي وللرضى بالقضاء اسباب منها يقين العبد بانه وثقته به لانه
لا يقضي للمؤمن من قضاء الا وهو خير له فيصبر كما لو مرض المسلم للطبيب
الحاذق الناصح فانه يرضى بما يفعله به من مؤلم وغيره لثقته به ويقينه به
لانه لا يريد به الا الاصلح وهذا هو الذي اشار اليه بن عون في كلامه المتقدم ذكره
ومنها النظر الى ما وعد الله من ثواب الرضا وقد يستغرق العبد من ذلك
حتى ينسى الم المقضي به كما روي عن بعض الصالحات من السلف انها قرصت
فانكسر ظفرها فضحكت وقالت انساني لذة ثواب مرارة الم ومنها
وهو اعلى ذلك كله الاستغراق في محبة المبتلي ودوام ملاحظة جلاله
وجماله وعظمته وكماله الذي لا نهاية له فان قوة ملاحظة ذلك يوجب
الاستغراق فيه حتى لا يشعر بالالم كما يحكى عن بعض النسوة اللاتي قطعت
ايديهن حين شاهدن عالم تقطيع ايديهن بمشاهدته قال

الجنيد

الجنيد سالت سريا هل يجد المحب الم البلا فقال لا وهذه اشارة منه الى هذا
المقام ومنه قول جماعة من اهل البلا يفعل بنا ما يشا فلو قطعنا ارباربا ما ازددنا
له الا حبا وفي هذا المعنى يقول بعضهم لو قطعني الغرام ارباربا
ما ازددت له على الايام الا محبا لا زلت بكم اسير وجدا وصبا حتى اقضي على هواكم نحبا
وكان ابراهيم بن ادهم خرج منه ملكه وحشمه وولده فراى ولده في الطواف فلم يكلمه
وقال هجرت الخلق طرا في هواك وايتمت العيال لكي اراكا
فلو قطعتني في الحب ارباربا لما حنت الفؤاد الى سواكا كما قال جماعة من المحبين
كالفضيل وفتح الموصلي اذا باتوا ليلة بغير عشى والسراج اشتد فرحهم وبكوا من
الفرح وقالوا مثلنا يترك بلا عشى والسراج وباي يد كانت منا وبايه وسيلة
توسلنا بها وكان فتح يجمع ولده في ليالي الشتا ويغطيهم بكسائه ويقول اجعتني
واجعت عيالي واعريتني واعريت عيالي وانما تفعل ذلك بابي وليالك واحبابك فهل
انا منهم حتى افرح ودخلوا على بعض السلف وهو مريض فقال احبه الي احبه اليه
وفي هذا المعنى يقول بعضهم عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب
وانت عندي كروحي بل انت منها احب حسبي من الحب اني لما تحب احب
وانشد ابو تراب النخشبي رحمه الله

لا تخدعن فللمحب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة والقهر اكرام وبر عاجل

دخلوا على رجل قد قتل ابنه في الجهاد فجعلوا يعزونه فبكى وقال ما ابكي على قتله انما ابكي
كيف كان رضاه عن الله حين اخذته السيوف شعرا
لان كان سكان الفضى رضوا بقتلي فرضا واني لاكنت لما يهوى الحبيب ببغضا
صرت لهم عبدا وما للعبد ان يعصى رضا هم قلبوا اقلبي من الشوق على جمر الغضا
يا ليت ايام الجفا يعود ما منها مضى من لمريض لا يرى الا الطبيب اعتلا

الألوكة
www.alukah.net

والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابن عباس بالعمل بالرضا ان استطاعه ثم قال له
فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وهذا يدل على ان الرضا بالامر
قدر المولى ليس بحتم واجب وانما هو فضل مندوب اليه فمن لم يستطع الرضا
فليلزم الصبر فان الصبر واجب لا بد منه وفيه خير كثير فان الله تعالى امر بالصبر
ووعد عليه جزيل الاجر قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئكم المهتدون وقال تعالى وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم وقال الحسن الرضا عزيز ولكنه الصبر
معول المؤمن وقال سليمان الخواص الصبر دون الرضى فالرضى ان يكون الرجل
قبل نزول المصيبة راضيا بأي شيء كان والصبر ان يكون بعد نزول المصيبة
يصبر وحقيقة الفرق بين الصبر والرضى ان الصبر كف النفس وحبسها
عن التسخط مع وجود الالم والرضى يوجب انشراح الصدر وسعته وان وجد الاحساس بالالم لكنه الرضى يخفف الاحساس بالالم لما يباشر القلب
من روح اليقين والمعرفة وقوة يزيد الاحساس بالكلية على ما سبق تقريره
ولهذا قال طائفة كثيرة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز والفضيل وابو سليمان
وابن المبارك وغيرهم ان الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها بخلاف الصابر
وقد روي عن طائفة من الصحابة هذا المعنى الضا وانهم كانوا لا يتمنون
غير ما هم عليه من الحال منهم عمر وابن مسعود رضي الله عنهما قال عبد العزيز بن ابي
رواد كان عابد يتعبد في بني اسرائيل فرأى في منامه ان فلانة زوجتك في
الجنة فاستضافها ثلاث ليال لينظر عملها فكانت تنام وهو يقوم وتفطر
وهو يصوم فلما فارقها سألها عن اوثق عملها عندها قالت هو ما رأيت
الا خصلة واحدة ان كنت في شدة لم اتمنه اني في رخاء وان كنت في
مرض لم اتمنى اني في صحة وان كنت جائعة لم اتمنى اني شبعانة واه

كنت في شمس لم اتمن اني في ظل فقال العابد دهنه والله خصلة يعجز عنها العباد
وكما ان الصبر انما يكون عند الصدمة الاولى كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
فالرضى انما يكون عند نزول البلا كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه و
استلك الرضى بعد القضى لان العبد قد يعزم على الرضى بالقضا قبل وقوعه
فاذا وقع انفسخت تلك العزيمة فمن رضي بعد وقوع القضى فهو الراضي
حقيقة وفي الجملة فالصبر واجب لا بد منه وما بعده الا التسخط ومن
سخط اقدار الله فله السخط مع ما يتعجل له من الالم وشماتة الاعداء به اعظم
جزء كما قال بعضهم شرا لا تجزع منه من كل خطب مر ولا ترى الاعداء ما يشمت

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من يتصبر يصبره الله وما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر وقال عمر وجدنا خير عيشنا الصبر وقال علي ان الصبر من
الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا ايمان لمن لا صبر له وقال الحسن
البصري الصبر كنز من كنوز الجنة لا يعطيه الله الا لمن كرم عليه وقال ميمون
بن مهران ما نال احد شيئا من جسيم الخير بني فيه دون الا بالصبر وقال
ابراهيم التيمي ما من عبد وهبه الله صبرا على الاذى وصبرا على البلا وصبرا
على المصائب الا وقد اري ان افضل ما اوتيه احد بعد الايمان بالله عز وجل وهذا
منتزع من قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله والصابرين
في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئكم المتقون
والمراد بالبأساء الفقر ونحوه وبالضراء المرض ونحوه وحين البأس حال
الجهاد وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على عبد نعمة فانتزع عنها منه فعاضه
مكان ما انتزع منه الصبر الا كان ما عوضه خيرا مما انتزع منه ثم تلى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وكان بعض الصالحين في حبسه وقد

الألوكة
www.alukah.net

كل ساعة فينظر فيها وفيها مكتوب واصبر لحكم ربك فانك باعيننا و
الصبر الجميل هو ان يكتم العبد المصيبة ولا يخبر بها فقال طائفة من السلف
في قوله تعالى فاصبر صبرا جميل قال لا اشكو معه وكان الاحنف بن قيس قد ذهبت
عينه من الرعاف سنة لم يذكرها الا حد وذهبت عين عبد العزيز بن ابان
وولده من عشرين سنة فتأمله ابنه يوما فقال له يا ابت قد ذهبت عيناك
فقال نعم يا بني الرضى من الله اذهب عين ابيك من عشرين سنة وكان
الامام احمد لا يشتكي ما به من المرض لاحد وذكر له ان مجاهدا كان يكره الا
نين في المرض فتركه فلم يأن حتى مات وكان يقول لنفسه يا نفس اصبري
والا تندبي ودخل بعض العارفين على مريض يقول آه فقال له ذلك العارف
ممن وفي هذا المعنى يقول بعضهم شعرا تغيض النفوس باوصابها
وتكتم عوادها ما بها وما انصفت مهجة تشتكي هواها الى غير احبابها
قال يحيى بن معاذ لو احبت ربك ثم مويك وانمى اك لكان يجب ان تحتمله
وتكتم عن الخلق فقد يحتمل الحبيب لحبيبه الاذى فكيف وانت تشكو فيما
لم يصنعه بك شعرا ويقبح من سلوك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذكرا
كان الرسول عليه السلام وكرام صحابه يشدون على بطونهم الحجارة من الجوع
كان اويس رحمه الله يلتقط الكسر من المزابل والكلاب تزاحمه فنبح عليه
كلب يوما فقال يا كلب لا تؤذ من لا يؤذ دنيك كل مما يليك وآكل مما
يليني فان دخلت الجنة فانا خير منك وان دخلت النار فانت خير مني
وكان ابراهيم بن ادهم يلتقط السنبل مع المساكين فرأى منهم كراهة لمزاحمته
فقال انا تركت ملكا بلخ افاذا زاحم المساكين على لقط السنبل فكان بعد ذلك
لا يلتقط الا مع الدواب التي ترعى فيه وكان الامام احمد يلتقط السنبل مع
المساكين ايضا وآجر سفيان الثوري نفسه من جمالين في طريق مكة

فطبخ

فطبخ لهم طعاما فافسده فضربه وكان فتح الموصلي يوقد النار للناس باجرة شعرا

من اجلك قد تركت خوف ارضا للشامت والحسود دمعي ترضى
مولاي الى متى بهذا احظى بعبرة يغني وحاجتي ما تقضى
كم احمل في هواك ذلا وعنا كم اصبر فيك تحت سقم وضنى
لا تطردني فليس لي عنك غنى عفوك رجائي ان ارتضيت الثمنا

بلغ

من اجل هواكم هويت العشقا قلبي كلفي ودمعي ما ترقى
في حبكم بحور ما قد لقي ما يسعد بالنعيم من لا يشقى

كانت مصايب الدنيا عندهم نعما حتى قال بعضهم ليس بفقيه من لم يعد البلى نعمة
والرخاء مصيبة ومن الاسرائيليات اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت
عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال بعض
السلف ان لاصاب بالمصيبة فاحمد الله عليها اربع مرات احمد الله اذ لم تكن
اعظم مما هي واحمد الله اذ رزقني الصبر عليها واحمده اذ وفقني للاسترجاع واحمده
اذ لم يجعلها في ديني انتظار الفرج بالصبر عبادة فان البلاء يدوم كما قيل شعرا

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بان الصبر خير مؤيد
واصبر كما صبر الكرام فانها نوب تنوب اليوم تكشف في غد

اذا غمس اعظم الناس بلاء كان في الدنيا في نعيم الجنة غمسة قيل له هل رأيت
بؤسا قط هل مر بك بؤس قط قال لا يا رب

يا نفس ما هي الا صبر ايام كان مدتها اضغاث احلام
يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة ودخل عنها فان العيش قدام

وما هي الا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

قول صلى الله عليه وسلم واعلم ان النصر مع الصبر هذا موافق لقوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كيف احترازي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي

فهذا الجهاد ايضا يحتاج الى صبر فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه
غلب وحصل له النصر ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب وقهر واسر
وصار ذليلا اسيرا في يد شيطانه وهواه كما قيل شعرا

اذا المرء لم يغلب هواه اقامه بمنزلة فيها العزيز ذليل

رب مستور سبته صبوة فتعرى صبره فانهتكا
صاحب الشهوة عبد فاذا غلب الشهوة صار الملكا

قال ابن المبارك رحمه الله من صبر فما اقل ما يصبر ومن جزع فما اقل ما يتمتع
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذي يملك نفسه عند الغضب ووصف بعضهم الاحنف بن قيس فقال
كان اشد الناس سلطانا على نفسه وقيل لبعضهم ان فلانا يمشي على الماء
فقال ما اكثر ما يمكنه الله منه مخالفة هواه فهو اقوى ممن يمشي على الماء واعلم ان نفسك
بمنزلة دابتك ان عرفت منك الجد جدت وان عرفت منك الكسل طمعت
فيك وطلبت منك حظوظها وشهواتها كان ابو سليمان الداراني
يقول كنت بالعراق امر على تلك القصور والمراكب والملابس والمطاعم
اللتي للملوك فلا تلتفت نفسي الى شيء من ذلك وامر على التمرة فتكاد نفسي
تتقطع عليها فذكر ذلك لبعض العارفين فقال تلك الشهوات آمنت نفسه
منها فايست والتمرة اطمعها فيها فطمعت كما قيل شعرا

صبرت عن اللذات حتى تولت والزمت نفسي هجرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان طمعت تاقت وان تسلت

وقوله صلى الله عليه وسلم ان النصر مع الصبر يشمل الصبر على جهاد العدو
لعدوه الظاهر وجهاده لعدوه الباطن وهو نفسه وهواه وكما

وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين الى قوله والله مع الصابرين
وقوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
وقوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين الى غير ذلك من الآيات والاحاديث في الامر
بالصبر عند لقاء العدو وكثيرة جدا وقال عمر لاشياخ من بني عبس لم
قاتلتم الناس قالوا بالصبر لم نلق قوما الا صبرنا لهم كما صبروا لنا
وقال بعض السلف كنا نكره الموت والم الجراح ولكنا نتفاضل بالصبر
وسئل البطال عن الشجاعة فقال صبر ساعة وهذا كله في جهاد العدو
الظاهر وهو جهاد الكفار وكذلك في جهاد العدو الباطن وهو جهاد
النفس والهوى فان جهادها من اعظم الجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
المجاهد من جاهد نفسه في الله وقال عبد الله بن عمر لرجل سأله عن الجهاد
فقال ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك فانهها وبرها
باسناد ضعيف من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم رجعوا
من الغزو وقد قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل وما الجهاد
الاكبر قال جهاد العبد لهواه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في وصيته
لعمر حين استخلفه ان اول ما احذرك نفسك التي بين جنبيك ويروى من
حديث سهل بن سنان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن حديث ابي
بكر الاشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا قال ليس عدوك الذي اذا قتلك
ادخلك الجنة واذا قتلته كان لك نورا بل عدوك نفسك التي بين جنبيك
واخذ هذا المعنى [illegible] بن قيس الشاعر

قلبي الى ما ضرني داعي يكثر احزاني واوجاعي
لعل ما ابقى على ما ارى يوشك ان ينهاي الناعي

كيف

السلف يفضلون هذا الصبر على الصبر على البلاء قال يحيى بن معاذ ان الصبر
صبران الصبر على المصيبة حسن وافضل من ذلك الصبر عن المعاصي وقال
سعيد بن جبير الصبر على نوعين احدهما الصبر على ما حرم الله والصبر لما افترض
الله من عبادته وذلك افضل الصبرين والصبر الآخر في المصائب وقد ورد في هذا حديث
مرفوع من حديث علي لكنه لا يثبت وقوله صلى الله عليه وسلم
وان الفرج مع الكرب هذا يشهد له قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد وقوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير
سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء الى قوله فاذا اصاب به من يشاء من عباده
اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين وقول
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي رزين العقيلي ضحك ربنا من قنوط عباده
وقرب غيره رواه الامام احمد وخرج ابن عبد الله من حديث ابي رزين ايضا
في حديث هو يل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علم الله يوم الغيث انه ليشق عليكم
الزلنا قنطين فيظل يضحك علم ان غيثكم الى قريب والمعنى انه سبحانه يعجب
من قنوط عباده من احتباس المطر عنهم وخوفهم واشفاقهم ويأسهم من ان
رحمته وقوته لا تغير هذه الحال عنهم عن قريب بانزال المطر ولكنهم لا يشعرون
وهذا كما اشتكى ذلك الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يخطب يوم الجمعة
احتباس المطر وجهد الناس فقالوه فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فما
ستسقى لهم فنشأ السحاب ومطروا الى الجمعة الاخرى حتى قاموا اليه صلى الله عليه وسلم
فقالوه ان يستصحى لهم فضحك فاقلعت السماء وقد قص الله تعالى في كتابه
قصصا كثيرة تتضمن وقوع الفرج بعد الشدة والكرب كما قص نجاة
نوح ومن معه في الفلك من الكرب العظيم مع اغراق سائر اهل الارض وكما
قص نجاة ابراهيم عليه السلام من النار التي القاه المشركون فيها وانه جعلها
عليه بردا وسلاما وكما قص قصة ابراهيم عليه السلام مع ولده الذي امر

غ غيثه

بذبحه ثم فداه الله بذبح عظيم وكما قص قصة موسى عليه السلام مع امه لما
القته في اليم حتى التقطه ال فرعون وقصته مع فرعون لما نجى الله موسى في
البحر واغرق عدوه وكما قص قصة ايوب ويونس ويعقوب ويوسف
عليهم السلام وقصة قوم يونس لما امنوا وكما قص قصص محمد صلى الله
عليه وسلم ونصره على اعدائه وانجائه منهم في عدة مواطن مثل قصته في الغار
وقصته يوم بدر ويوم احد ويوم حنين وكما قص سبحانه قصة عائشة
رضي الله عنها في حديث الافك وبراءة الله لها مما رميت به وقصة
الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا
وفي السنة من هذا المعنى شيء كثير ايضا مثل قصة الثلاثة الذين دخلوا
الغار فانطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله بصالح اعمالهم فخرج الله عنهم وقصة
قصة ابراهيم وساره مع الجبار الذي طلبها منه ابراهيم ورد الله كيد الفاجر
والحكايات الواقعة في هذا المعنى في الاسلام وقبله كثيرة جدا لا يمكن
حصرها واستقصاؤها وكثير منها مذكور في المكتب المصنفة في
الفرج بعد الشدة لابن ابي الدنيا وغيره وكتاب مجابي الدعوات لابن
ابي الدنيا وكتاب المستغيثين بالله والمستصرخين به وكتاب كرامات
الاولياء واخبار الصالحين وفي كتب التواريخ وغيرها ونحن نذكر
طرفا هنا يسيرا من اظرف ما حكي في هذا الباب ليعتبر به ذكر بعض
العلماء في مصنف له واظنه من المغاربة انه سمع من ابي ذر الهروي الحافظ
فظ يحكي انه كان ببغداد ديوان على ابي حفص بن شاهين في دكان عطار
وانه شاهد رجلا جاء الى العطار فدفع اليه عشرة دراهم واخذ منه بها
حوائج وجعلها في طبق ووضعه على راسه فزلق ووقع طبقه و

تغرقت حوائجه فبكى واشتد بكاؤه وقال لقد ضاع مني في قافلة كذا وكذا
همیان فيه اربعمائة دينار او قال اربعة الاف دينار ومعها فصوص قيمتها
اكثر من ذلك فما جزعت لضياعها ولكن ولدي الليلة ولد فاحتجنا
في البيت الى ما يحتاج اليه النفساء ولم يكن عندي عين هذه العشرة
الدراهم فلما قدر الله بما قدر جزعت وقلت لا انا عندي ما ارجع به
اليوم الى اهلي ولا ما اكتسب لهم غدا ولم يبق لي حيلة الا الفرار عنهم و
تركهم على هذه الحال فيهلكون بعدي فلم املك نفسي ان جزعت هذا
الجزع قال ابو ذر ورجل من شيوخ الجند جالس على باب داره فسمع
هذا كله فسئل الجندي اباحفص ان يدخل هو واصحابه والرجل
المصاب معه في بيته ففعل وطلب من الرجل المصاب اعادة حكاية
في الهميان فاخبره ثم سأله عن صفة الهميان الذي كان في تلك القافلة
وعن المكان الذي ضاع فيه الهميان فاخبره ثم سأله عن صفة الهميان
وعلامته فاخبره بذلك فقال الوزايته كنت تعرفه قال نعم فاخرج اليه
فلما رآه قال هذا الهميان الذي سقط وفيه من الاحجار ما صفته كذا و
كذا ففتح الهميان فوجد الاحجار على ما وصف فدفعه اليه وخرج من
عنده وقد صار من الاغنياء فلما خرج بكا الشيخ الجندي بكاء شديدا
فسئل عن سبب بكائه فقال انه لم يكن بقي لي في الدنيا امل ولا امنية انما
هما الان يا ابني اسر بصاحب هذا المال فيأخذه فلما قضى اسر ذلك بفضله
ولم يبق لي امل فلمت انه قد حان اجلي قال ابو ذر فما انقضى شهر حتى
توفي وصليت عليه رحمه الله وخرج هذا المصنف ايضا في كتابه عن رجل
حكى بالموصل ان رجلا كان عندهم تاجر يسافر بتجارته الى البلدان
فسافر مرة بجميع ماله او ما يملكه الى الكوفة فخرج في تلك السفر رجل

مخدومه

مخدومه فاحسن خدمته فانس به حتى وثق به فاستغفله في بعض المنا
زل واخذ دابته وما عليها من المال والمتاع ولم يبق له شيء البتة واجتهد
في طلبه فلم يقع له على خبر ولا اثر فرجع الى بلده راجلا جائعا فدخل المدينة
ليلا وهو على تلك الحال فطرق بابه فلما احس بهما هلل سرورا وقالوا الحمد لله
الذي جاءنا في هذا الوقت فان اهلك قد ولدت اليوم ولدا وما وجدنا
ما نشتري به ما تحتاج اليه النفساء ولقد كانت هذه الليلة طاوية فا
شترينا دقيقا وها هنا نسرج به فلما سمع ذلك زاد في غمه وكربه وكره ان
يخبرهم بما جرى له فيحزنهم فخرج الى حانوت رجل كان بالقرب من داره
فسلم عليه واخذ منه دهنا وغيره مما يحتاج فبينما هو يخاطبه اذ التفت
فراى خرجه الذي هرب به خادمه معلقا في داخل الحانوت فسئله عنه
فقال ان رجلا ورد علينا بعد العشا واشترى مني عشاه واستضافني فا
ضفته فجعلت خرجي في حانوتي ودابته في دار جارنا والرجل بائت في
المسجد فنهض الى المسجد ومعه الخرج فوجد الرجل نائما فرفسه فاستيقظ
مذعورا فقال له اين مالي يا خاين فقال هو ذا على عنقك واسه ما فقدت منه
ذره واستخرج الدابة من موضعه ووسع على اهله واخبرهم حينئذ
بخبره ويشبه هذه الحكايتين ما حكاه التنوخي في كتاب الفرج بعد
الشدة والحكاية طويلة ملخصها ان رجلا كان ببغداد من الرشيد وكان
صيرفيا فابتاع جارية بخمسمائة دينار وشغف بها حتى تعطل عن معاشه
بسبب ملازمتها وانفق راس ماله حتى لم يبق معه شيء وحملت جاريته
فصار ينقض داره ويبيع انقاضها حتى فرغت ولم يبق له حيلة فضرب
الطلق وهو على تلك الحالة وطلبت منه ما يصلح للنفساء وشكت اليه
انها تموت ان لم يعجل عليها بذلك فبكى وخرج على وجهه وهو ان يغرق
نفسه في دجلة ثم خاف عقاب الله فامتنع وخرج ماشيا على

www.alukah.net

من قرية الى قرية حتى بلغ خراسان فاقام بها واكتسب بها مالا وكتب الى
بلده ستة وستين كتابا اليعرف خبر الجارية فلم يعد اليه جواب فلم يشك
ان الجارية ماتت ثم رجع الى بغداد بعد مدة طويلة ومعه قيمة عشرين الف دينار
فخرج على قافلة اللصوص فاخذ ما كان معه كله وعاد بثياب فقيرا
ولم يزل يتوصل حتى دخل بغداد فقيرا كما خرج منها بعد ان غاب عنها قريبا
من ثلاثين سنة فقصد داره فوجدها عامرة وبابها حسن وعليه بواب
وغلمان وبغال تسئل عن الدار لمن هي فقيل هي دار الامير فلان الصيرفي و
نحو الرجل باسمه قالوا وهو من وزراء امير المؤمنين وهو جهبذه و
صاحب بيت ماله واخبره الذي سأله ان ابا هذا الرجل صاحب الدار كان
صيرفيا جليلا فافتقر وان ام الصبي ضربها الطلق فخرج ابوه يطلب
لها شيئا فعقد فهلك وان امه ارسلت الى بعض الجيران تستغيث بهم
فقاموا اليها بحوايج الولادة ثم انه ولد للامير المؤمنين ولد ذكر وذلك الولد هو
المأمون وانه عرض عليه جميع الثديات فلم يقبل ان يرضعه فارشد الى
ام هذا الصبي فحملت الى دار الرشيد فحبن ووضع فم المولود على ثديها
قبله وارضعته وصارت عندهم في حال جليلة ثم لما ولي المأمون الخلافة
كانت المرأة وابنها معه فبنى ابنها هذه الدار وسأله عن هذه الحية
قال نعم وهي تمضي الى دار الخليفة اياما وتكون عند ابنها اياما فجاء الرجل
الصيرفي حتى دخل الدار مع الناس فراها في غاية الحسن ورأى في صدرها
شابا يشبهه وبيده يديه الكتاب والموازين والاموال يزنون ويقبضون
فجلس الرجل في انمار الناس حتى تفرقوا ولم يبق غيره فقال له الشاب يا شيخ
هل من حاجة قال نعم انا ابوك فتغير وجهه ووثب مسرعا ثم استدعاه
الى داره واجلسه على كرسي وهناك بشارة فقال له الشيخ لعلك ان تحتبس
صدق فولي منه جهة فلانة وذكر اسم جارية ام الصبي فسمعت الجارية

صوته

صوته فرفعت البشارة وخرجت الى مولاها وجعلت تقبله وتبكي واخبرها
بخبره من حين خروجه من عندها الى ان رجع فقام ولده واعتذر اليه
من تقصيره واصلح حاله ثم ادخله على المأمون فحدثه بحديثه فخلع عليه وصيره
جهبذا له على ما كان عليه ابنه واجرى له الرزق وقلد ابنه عملا اجل من عمله
وروى العافا بن زكريا النهرواني باسناده عن سوار القاضي انه خرج يوما
من دار المهدي فدخل داره فدعا بغلته فجاشت نفسه فرجه ثم دعا بحمارته
فلم تطاوعه نفسه فدخل للقائلة فلم يأخذه النوم فنهض وركب بغلته
فلقي وكيله في الطريق ومعه الغادرهم فقال له امسكها معك واتبعني وخلى
بغلته فذهبت به فحضرت الصلاة وهو في بعض الشوارع فدخل فصلى في
مسجد هناك فلما قضى صلاته اذا هو باعمى يتلمس فقال له ما تريد قال له اريد
قلاوما حاجتك قال شممت منك ريح الطيب فظننت انك من اهل النعم
فاردت ان ألقي اليك شيئا قال قل قال تريد هذا القصر لتقصر هناك قال نعم فلما
فانه كان لابي فباعه ثم خرج الى خراسان فخرجت معه فزالت عنا النعيم الذي
كنا فيها فتقوت فاتيت صاحب الدار لاسئله شيئا يصلني به واصير الى
سوار القاضي فانه كان صديقا لابي قال سوار فقلت من ابوك قال فلان بن
فلان فاذا هو اصدق الناس الي فقلت له فانا سوار فقد اتاك بسوار منعه الطعا
م والشراب والنوم وجاء به بين يديك ثم دعا سوارا وكيله واخذ منه الدراهم فد
فعها اليه وقال له اذا كان غدا فصر الى سوار ثم دخلت على المهدي فحدثته بهذا
الحديث فاعجبه وامر للاعمى بالفي دينار وامر سوارا بمائة الف دينار قال سوار
فجاءني الاعمى فدفعت اليه الفي دينار وقلت قد رزقك الله بركة ابيك خيرا
كثيرا واعطيته من مالي الفي دينار ايضا وخرج بذاي الدنيا ايضا في كتاب
الفرج بعد الشدة باسناده عن وضاح بن خيثمة قال امرني عمر بن عبد العزيز
باخراج من في السجن فاخرجتهم الا رجلا يدعى ابا اسحاق مسلم فنذر دمي

www.alukah.net

اذ قيل قدم يزيد بن ابي مسلم يعني امير على افريقيه فهرب منه وارسل الي
طلبني فاخذت فاتي بي اليه فقال والله لطال ما سئلت الله ان يمكنني منك فقلت
وانا والله لطال ما استعذت الله منك فقال والله ما اراك ذكرت الا
قتلتك ثم والله لاقتلنك ثم والله لاقتلنك بوسابقني ملك الموت الى قبض
روحك لسبقته علي بالسيف والنطع قال فجيء بالنطع فاقعد عليه
وكشفت وقام قائم على راسي بالسيف مشهور واقيمت الصلاة فخرج
الى الصلاة فلما سجد اخذته سيوف الجند فقتل فجاءني رجل منقطع
كتافي بسيفه وقال لي انطلق وعن عمر السرايا وكان يغير في بلاد الروم
وحده فبينا هو نائم ذات يوم اذ ورد عليه علج منهم فحركه برجله فانتبه
فقال يا اعرابي اختر ان شئت مطاعنة وان شئت مسايفة وان شئت
مصارعة فقلت اما المطاعنة والمسايفة فلا بقا لهما ولكن المصارعة
فنزل فصرعني وجلس على صدري وقال اي قتلة اقتلك فرفعت رأسي
فقلت اشهد ان لا اله الا الله معبود ما دون عرشك الى قرار الارضين يا
ظل غير وجهك الكريم قد ترى ما انا فيه فغرجه عني قال فانعمى علي فافعت فا
ذا الرومي قتيل الجنبي وروى ابو الحسن بن جهضم باسناده عن عما
ثم الاصم قال لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني تركي فقلبني عن
فرسي ونزل فقعد على صدري واخذ بلحيتي واخرج من خفه سكينا
فما كان قلبي عنده والا عند سكينه وانما كان عند سيدي فقلت سيدي
ان قضيت علي ان يذبحني هذا فعلى الراس والعين وانما انا لك وملك
فبينما انا على هذه الحال اذ رماه بعض المسلمين بسهم فما اخطا حلقه
فسقط عني فعلمت انا اليه واخذت السكين من يده فذبحته بها
فما هو الا ان يكون قلوبكم عند السيد حتى ترد من عجايب لطفه عالم

من الارباء

من الارباء والامهات وهذا باب يطول ذكره جدا فلنقتصر على ما ذكرناه
فيه كفاية قوله صلى الله عليه وسلم وان مع العسر يسرا هذا مستنبط
من قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وروى حميد بن محمد بن ابي الحواري ثنا
عائذ بن شريح سمعت انس بن مالك يقول كان ابي صلى الله عليه وسلم جالسا
وحياله حجر فقال لو جاء العسر قد دخل هذا الحجر كما ليسر حتى يدخل
عليه فيخرجه فانزل الله عز وجل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اخرجه
ابن ابي حاتم في تفسيره وخرجه البزار في مسنده ولفظه لو جاء العسر حتى
يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه ثم قال ان مع العسر يسرا وحميد
بن حماد هذا ضعيف وخرج بن ابي حاتم من رواية مبارك بن ابي فضالة
عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين وخرج
بن جرير من رواية معمر عن الحسن قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا
فرحا وهو يقول لن يغلب عسر يسرين فان مع العسر يسرا ان مع العسر
يسرا وخرجه ايضا من رواية عوف ويونس عن الحسن مرسلا ايضا ومن
حديث قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر اصحابه بهذه
الاية فقال لن يغلب عسر يسرين وروى بن ابي الدنيا من حديث معا
وية بن قرة عن من حدثه عن ابن مسعود قال لو ان العسر دخل في جحر لجاء
اليسر حتى يدخل معه ثم قال قال الله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا
ومن حديث عبد الله بن زيد ابن اسلم عن ابيه عن جده ان ابا عبيدة حصر
فكتب اليه عمر يعوقه بما ينزل بامرئ شدة يجعل الله له بعدها فرجا وانه
لن يغلب عسر يسرين وان الله تعالى يقول اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله
لعلكم تفلحون وكذا قال ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الاية لن
يغلب عسر يسرين كان بعض المتقدمين ليلة في البادية في غم شديد فا
لتي في روعه بيت من الشعر فقال ارى الموت لنا اصبح مغمورا له اصبح

فلما جن عليه الليل سمع هاتفا يهتف شعرا

الا ايها المرء الذي به الهم لم يبرح ... وقد اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح

اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح ... فعسر بين يسرين اذا بصرته فرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عني وقد اكثر الشعراء من القول في هذا المعنى

ونذكر قطعة منتخبة من محاسن ما قيل في ذلك

تصبر فان عقبى الصبر حين ... ولا تجزع لنائبة تنوب

فان اليسر بعد العسر يأتي ... وعند الضيق تنكشف الكروب

وكم جزعت نفوس من امور ... اتى من دونها فرج قريب

ولبعضهم

عسى فرج يكون عسى ... نعلل النفس بالعسى

واقرب ما يكون المرء ... من فرج اذا يئسا ولغيره

اذا تضايق امر فانتظر فرجا ... فاضيق الامر اداناه من الفرج ولبعضهم

فلا تجزع وان اعسرت يوما ... فقد ايسرت في الزمن الطويل

ولا تظن بربك ظن سوء ... فان الله اولى بالجميل

ولا تيأس فان اليأس كفر ... لعل الله يغني عن قليل

فان العسر يتبعه يسار ... ولبعضهم وقيل الله اصدق كل قيل

يفتاح باب الفرج الصبر ... وكل عسر بعده يسر

والدهر لا يبقى على حالة ... والامر يأتي بعده الأمر

ولبعضهم

اذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب

واوطنت المكاره واطمأنت ... وارست في امكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا امسى بحيلته الاريب

اتاك

اتاك على قنوط منك غوث ... ممن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات وان تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

ولبعضهم

عسى ما ترى ان لا يدوم وان ترى ... له فرجا مما اليه الدهر صائر

عسى فرج ياتي به الله انه ... له كل يوم في خليقته امر

اذا لاح عسر فارج يسرا فانه ... قضى الله ان العسر يتبعه اليسر

والشيخ ختم الكتاب بذكر نبذة يسيرة من لطائف البلايا وفوايدها

وحكمها فمنها تكفير الخطايا بها والثواب على الصبر عليها وهل يثاب

على البلا بنفسه فيه اختلاف بين العلما ومنها تذكير العبد ذنوبه فربما

تاب ورجع منها الى الله عز وجل ومنها زوال قسوة القلوب وحدوث

رقتها قال بعض السلف ان العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيتخرج منه

مثل راس الذباب من خشية الله فيغفر له ومنها انكساره لله

عز وجل وذله له وذلك احب الى الله من كثير من طاعات لطائعين و

منها انها توجب للعبد الرجوع بقلبه الى الله عز وجل والوقوف ببابه و

التضرع لعزه والاستكانة وذلك من اعظم فوايد البلا وقد ذم الله من

لا يستكين له عند الشدايد قال تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا

لربهم وما يتضرعون وقال ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء

والضراء لعلهم يتضرعون وفي بعض الكتب السالفة ان الله ليبتلي العبد

وهو يحبه ليسمع تضرعه وقال سعيد بن عبيد قال داود عليه السلام سبحان

مستخرج البلا بالدعا وسبحان مستخرج الشكر بالرخا ومر ابو جعفر محمد

بن علي بمحمد بن المنكدر وهو مغموم فسئل عن سبب غمه فقيل له الدين

قد قوده فقال ابو جعفر افتح له في الدعا قيل نعم قال القه بوركت العبد في

حاجة اكثر منها من الدعا ربه كاشفة ما كانت وكان بعضهم اذا قيل

شبكة الألوكة www.alukah.net

في الدعاء عند الشدايد لم يحب تعجيل اجابته خشية ان يقطع بما فتح له
وقال ثابت اذا دعى الله المؤمن بدعوة وكل الله جبرئيل بحاجته فيقول كم الله
لا تعجل باجابته فاني احب ان اسمع صوت عبدي المؤمن وروي مرفوعا من و
جوه ضعيفة وراى بعض السلف ربه العزة في نومه فقال يا رب كم ادعوك
والا تجيبني قال اني احب ان اسمع صوتك ومنها ان البلا يوصل القلبه
لذة الصبر عليه او الرضا به وذلك مقام عظيم جدا وقد تقدمت الاشارة
الى فضل ذلك وشرفه ومنها ان البلا يقطع قلب المؤمن عن الالتفات
الى المخلوق ويوجب له الاقبال على الخالق وحده وقد حكى الله عن المشركين
اخلاصهم الدعاء عند الشدايد فكيف بالمؤمن فالبلا يوجب للعبد
تحقيق التوحيد بقلبه وذلك اعلى المقامات واشرف الدرجات وفي
الاسرائيليات يقول الله عز وجل البلى يجمع بيني وبينك والعافية
تجمع بينك وبين نفسك فصل واذا اشتد الكرب وعظم الخطب
كان الفرج حينئذ قريبا لان الغالب كما قال تعالى حتى اذا استيأس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وقال تعالى يقول الرسول والذين امنوا
معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب واخبر يعقوب عليه السلام
انه لم ييأس من لقاء يوسف وقال لا تيأسوا من روح الله وقال عيسى الله انه ياتيني بهم جميعا
واخيه ولا ييأسون من روح الله وقال لطائف اسرار القرآن ان الفرج باشتداد الكرب وان الكرب اذا اشتد
وعظم وتناهى ووجد الياس من كشفه من جهة المخلوقين ودفع
التعلق بالخالق وحده سبحانه استجاب الله له وكشف عنه فان التوكل
هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين كما قال الامام احمد
واستدل عليه بقول ابراهيم عليه السلام كما عرضه جبرئيل في الهوى

وقال له

وقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا والتوكل من اعظم الاسباب التي تطلب بها
الحوايج فان الله يكفي من توكل عليه كما قال ومن يتوكل على الله فهو حسبه
وقال الفضيل واسه لو بئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيا لاعطاك مو
لاكما تريد ومنها ان العبد اذا اشتد عليه الكرب فانه يحتاج حينئذ الى
مجاهدة الشيطان لانه ياتيه فيقنطه ويسخطه فيحتاج العبد الى مجاهدته
ودفعه فيكون له ثواب مجاهدة عدوه ودفعه دفع البلا عنه ورفعه ولهذا
في الحديث الصحيح يستجاب لاحدكم مالم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي فيدع
الدعا ومنها ان المؤمن اذا استبطأ الفرج وايس منه ولا سيما بعد كثرة
دعائه وتضرعه ولم يظهر له اثر الاجابة رجع الى نفسه باللائمة ويقول لها انما
اتيت من قبلك ولو كان فيك خير لاجبت وهذا اللوم احب الى الله من
كثير من الطاعات فانه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه بانه ليس
باهل الاجابة دعائه فلذلك يسرع اليه حينئذ باجابة الدعا وفرج الكرب
فانه عند المنكسرة قلوبهم من اجله وعلى قدر الكسر يكون الجبر قال وهب تعبد
رجل زمانا ثم بدت له الى الله حاجة فصام سبعين سبتا يأكل في كل سبت احد
عشر تمرة ثم سأل الله حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه فقال منك اتيت
لو كان فيك خير اعطيت حاجتك فنزل اليه ملك فقال يا ابن آدم ساعتك هذه
خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك شعر

الهي لم تعنني لكي يكبر موتها ولم تكرم النفس التي لا تهينها

فيه تحقيق هذا وعرفه وشاهده بقلبه علم ان نوم الله على عبده الكرب من
البلا اعظم من نومه في الرخاء وهذا تحقيق معنى الحديث الصحيح معاني صلى
الله عليه وسلم لا يقضي الله للمؤمن من قضا الا كان خيرا له ان كان اصابته
سراء فشكر كان خيرا له وان اصابته ضراء صبر كان خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن

سبكة الألوكة
www.alukah.net

ومنها هنا كان العارفون بالله لا يختارون احدى الحالتين على الاخرى
بل اجمعا قدره الله ورضوا به وقاموا بعبوديته اللائقة وفي المسند والترمذي
عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة
ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت
اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وقال عمر ما ابالي
اصبحت على ما احب او على ما اكره لاني لا ادري الخير فيما احب او
فيما اكره وقال عمر بن عبد العزيز اصبحت وما لي سرور الا في مواقع القضاء
والقدر يا هذا كم نستدعيك الينا وانت تفر منا نسبغ عليك النعم
فتشتغل بها عنا وتنسانا فنفرغ عليك البلوى لترد الينا وتقبل
علينا ونسمع تضرعك بكل البلاء يجمع بيننا وبينك والعافية تجمع
بينك وبين نفسك شعر

ان جرى بيننا وبينك عتب ... او تناءت منا ومنك الديار
فالوداد الذي عهدت مقيم ... والاياد التي عهدت غزار
غير

كم لنا في طي البلايا منح ... وعطايا وفي الزوايا خبايا

يا هذا ان شكرت نعمنا عليك فتوفيقك للشكر من جملة نعمنا فاشكر
وان صبرت على بلائنا فالصبر من جملة فضلنا فاذكره فكل ما تتقلب فيه فهو
من نعمنا فلا تكفره وان تعد وا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار
شعر اذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف وقوع الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها ... وان مس بالضراء اعقبها الاجر
وما منهما الا له فيه منة ... تضيق بها الاوهام والبر والبحر

آخره والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

تم تم
تم تم

غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع تصنيف الشيخ
الامام زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى ونفعنا به امين الا به

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة

خرج البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث اتتها الريح كفأتها فاذا
اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر كالارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا
شاء وهذا لفظ البخاري وخرجا ايضا من حديث كعب بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها
مرة ومثل المنافق كالارزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة
وخرج الامام احمد بمعناه ففي هذه الاحاديث الثلاثة ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب
مثل المؤمن في اصابة البلاء لجسده بخامة الزرع التي تفيئها الريح تميلها و
يسرة والخامة الرطبة من النبات ومثل المنافق والفاجر بالارزة وهي
الشجرة العظيمة التي لا تحركها الرياح ولا تزعزعها حتى يرسل الله عليها
ريحا عاصفا فتقلعها من الارض دفعة واحدة وقد قيل انها شجرة
الصنوبر قاله ابو عبيد وغيره وقيل انها شجرة تشبه شجرة الصنوبر
ففي هذا فضيلة عظيمة للمؤمن بابتلائه في الدنيا في جسده بانواع البلاء
وتميز له عن الفاجر والمنافق بانه لا يصيبه البلاء حتى يموت بحاله فيلقى
الله بذنوبه كلها فيستحق العقوبة عليها والنصوص في تكفير ذنوب
المؤمن بالبلاء والمصائب كثيرة جدا ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه
حتى الشوكة يشاكها وخرجا ايضا عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري و
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب
ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه
وفيها ايضا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من مرض فما سواه الا حات الله عنه خطاياه كما يحات ورق الشجر وفي رواية
يصيبه اذى شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيآته كما تحط الشجرة ورقها
وخرج الامام احمد والنسائي والترمذي من حديث سعد بن ابي وقاص عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال البلايا بالعبد حتى تتركه يمشي على الارض ما به خطيئة
وخرج الامام احمد والترمذي وابن حبان من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وولده حتى
يلقى الله وما عليه خطيئة وفي صحيح ابن حبان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل فلا يزال الله يبتليه بما
يكره حتى يبلغه اياها وفي المسند عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا يمرض مؤ
من ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة الا حط الله عنه من خطاياه وخرج ابن حبان
وزاد كما يحط الورق عن الشجر وفيه عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يزا
ل الصداع والمليلة بالمؤمن وان ذنبه مثل احد فما يدعه وعليه من ذلك مثقال
حبة من خردل وانما يعرف قدر البلاء اذا كشف الغطاء يوم القيمة كما في الترمذي عن
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يود اهل العافية يوم القيمة حين يعطى اهل البلاء
الثواب لو ان جلودهم قرضت بالمقاريض في الدنيا وفي سنن ابي داود عن علقمة بن
البراء قال جلست الى ابي صلى الله عليه وسلم فذكر الاسقام فقال ان المؤمن اذا
اصابه سقم ثم اعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما
يستقبل وان المنافق اذا مرض ثم اعفي كان كالبعير عقله اهله ثم ارسلوه
فلم يدر لم عقلوه ولم ارسلوه فقال رجل منا يا رسول الله وما الاسقام
الله ما مرضت قط قال قوموا عنا فلست منا وهذا كما قال الذي سأله عن
الحمى فلم يعرفها من سره ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا فجعل
الفرق بينا اهل الجنة واهل النار اصابة البلاء والمصايب كما جعل ذلك فر
قا بين المؤمنين والمنافقين والفجار وفي هذه الاحاديث المذكورة كفا

وفي

وفي المسند عن ابي هريرة عن ابي صلى الله عليه وسلم انه ذكر اهل النار فقال كل شديد
جعظري ممن الدنيا لا يألمون رؤسهم وفي المسند عن انس ان امرأة اتت النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنة لي كفأ وكفأ ذكرت حسنها وجمالها وآثرتك
بها قال قد قبلتها فلم تزل تمدحها حتى ذكرت انها لم تصبح ولم تشتك شيئا قط
قال لا حاجة لي في ابنتك وخرجه ابن ابي الدنيا من وجه اخر مرسلا وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا حاجة لنا في ابنتك انجسينا تحمل خطاياها الاخير فيما الا بر زلعنة وجس الابنا من
وروى باسناده عن قيس بن ابي حازم قال طلق خالد بن الوليد امرأة ثم احس عليها
فاتى فقيل له يا ابا سليمان لاي شيء طلقتها قال ما طلقتها الا مرارا بين منها ولكنكم
يصبها عندي بلاء وباسناده عن عمار بن ياسر انه ذكر الاوجاع فقال اعرابي عنده ما
اشتكيت قط فقال عمار اما انت منا ولست منا ان المسلم يبتلى ببلاء فيحط عنه
ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها وان الكافر والفاجر يبتلى بلا فتله مثل البعير اطلق
فلم يدر لم اطلق وعقل وباسناده عن كعب قال اجد في التوراة لولا ان يحزن عبدي
المؤمن لعصب الكافر بعصابة من حديد لا يصدع ابدا وعن الحسن قال كان
الرجل منهم او من المسلمين اذا مرض عام لم يصب في نفسه ولا في ماله قال ما لنا ان
يودع الله عنا وقال الحسن انما انتم بمنزلة الغرض يرمى كل يوم ليس من مرضة
الا اصابتهم منه رمية عقل من عقل وجهل من جهل حتى تجيء الرمية التي لا تخطئ وعن
صالح بن مسمار انه دخل على مريض يعوده فقال له ان ربك قد عاتبك فاعتبه وعن ابن
عباس انه كان اذا راى النافقة قال له ربك يعتب وروى مرفوعا من حديث خو
شة بنت جبير واسناده ضعيف وقال الحسن في ايام الوجع اما والله ما هو بشر ايام
المسلم ايام قوارب له فيها اجل وذكر فيها ما ينمي من معاده وكفر فيها من خطاياه وكان
اذا دخل على مريض قد عوفي قال له يا هذا ان الله قد ذكرك فاذكره واخالك فاشكره
فهذه البلايا والاسقام والاوجاع كلها كفارات للذنوب الماضية وموعظة
للمؤمنين حتى يتعظوا بها ويرجعوا بها في المستقبل عن مرضي ما كانوا عليه قال
الفضيل انما جعلت العلل ليؤدب بها العباد ليس كل من مرض مات
وال هذا المعنى الاشارة بقوله عز وجل اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة

شبكة الألوكة www.alukah.net

فم لا يتوبون ولا هم يذكرون وبعض المتقدمين شعر افي كل عام مرضت ثم نقهت
وتبغي ولا تبغي متى ذا الى متى واعلم ان تمثيل المؤمن بالزرع وتمثيل المنافق والفا
جر بالشجر العظام يشتمل على فوايد جليلة نذكر ما يسر الله منها منها ان الزرع ضعيف
مستضعف والشجر قوي مستكبر متعاظم فالشجر لا تضره الريح والبرد ولا تحركه
ماء ولا تميله الريح والزرع بخلاف ذلك وهذا هو الفرق بين المؤمن والكافر وبين اهل
الجنة والنار كما في الصحيحين عن عمار بن ياسر وهب بن منبه عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال الضعفاء المغلوبون الا انبئكم باهل النار قالوا بلى
قال كل جعظري جواظ مستكبر في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه
سراقة بن مالك وعبد الله بن عمر وخرجاه في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال تحاجت النار والجنة فقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس
وسقطهم وقالت النار مالي لا يدخلني الا الجبارون والمتكبرون الحديث وقد ورد في
الثناء تشبيه المنافقين بالخشب المسندة مع حسن منظرهم فقال تعالى واذا
رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون
كل صيحة عليهم فوصفهم بحسن الاجسام وتمامها وحسن المقال وفصا
حته حتى يعجب من منظرهم من رآهم ويسمع قولهم من سمعه سماع اصغاء
واعجاب به ومع هذا فبواطنهم خراب ومعانيهم فارغة فلهذا مثلهم با
لخشب المسندة التي لا روح لها ولا احساس وقلوبهم مع هذا ضعيفة في غاية
الضعف يحسبون كل صيحة عليهم لانهم لما اضمروا خلاف ما اظهروا خافوا ان
تطلع عليهم فكلما سمعوا صيحة ظنوا انها عليهم وهكذا كل من يبطن خلاف
ما يظهر يخاف من اداني شيء ويحسبه عليه واما المؤمن فبعكس هذه الصفات
غالبهم مستضعفون في ظاهر اجسامهم ولباسهم وكلامهم لانهم اشتغلوا بما
رة قلوبهم واوامرهم عن عمارة اجسادهم فقلوبهم ثابتة قوية عامرة فيكابدون
بها الاعمال الشاقة في طاعة الله من الجهاد والعبادات والعلوم وغيرها

مما لا

مما لا يستطيع المنافق مكابدته لضعف قلبه ولا يخافون من ظهور ما
في قلوبهم الا خشية الفتنة على نفوسهم فان بواطنهم خير من ظواهرهم وسرهم
اصلح من علانيتهم قال سليمان التيمي اتاني آت في منامي فقال لي سبحان
ان قوة المؤمن في قلبه فالمؤمن لما اشتغل بعمارة قلبه من عمارة قالبه استضعف
ظاهره وربما ازدري ولو علم الناس ما في قلبه لما فعلوا ذلك قال علي لاصحابه كونوا
في الناس كالنحل في الطير كل الطير يستضعفها ولو علموا ما في جوفها ما فعلوا
ومن قوة قلب المؤمن وثباته انه ثابت على الايمان فالايمان الذي في قلبه
كمثل شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء فيعيش على الايمان و
يموت على الايمان ويبعث عليه وانما الرياح وهي بلايا الدنيا تقلب جسمه
بمحنة ويسير وقلبه لا تصل اليه الرياح لانه محروس بالايمان والكافر والمنا
فق بعكس ذلك قوي جسمه لا تقلبه رياح الدنيا واما قلبه فانه ضعيف تلا
عب به الاهواء المضلة فتقلبه بمحنة ويسيره فلذلك كان مثل قلبه كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار كشجرة الحنظل ونحوه
مما ليس له اصل ثابت في الارض وقال علي في صفة الهمج الرعاع اتباع كل
ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق
وبهذا يظهر الجمع بين حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع والفاجر بشجرة
الارز وبين حديث تمثيل المؤمن بالنخلة فان التمثيل بالزرع بحسب تقلبه
في البلاء عليه والتمثيل بالنخلة ايمانه وعمله وقوله يدل عليه قوله عز وجل الم
تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة فجعلها مثلا لكلمة التوحيد
التي هي اصل الاسلام وثبوتها في قلب المؤمن كثبوت اصل النخلة في الا
رض وارتفاع عمل المؤمن الى السماء كارتفاع النخلة وتجد عمل المؤمن كل
حين كاتيان النخلة كل حين وقد روي عن ابي هريرة ان المؤمن الضعيف
مثل الزرع والقوي مثله كمثل النخلة وخرجه البزار وغيره من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا يصح رفعه انما هو موقوف قاله الدارقطني وغيره ومنها ان ثمرة الزرع
وهو السنبل يستضعف ويطمع فيه كل احد لقرب تناوله فيطمع الآدمي
في الاكل منه وفي قطعه وسرقته والبهائم في رعيه والطير في الاكل منه و
كذلك المؤمن يستضعف فيعاديه عموم الناس لان الاسلام بدأ غريبا
ويعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فعموم الخلق يستضعفه ويستفزه
ويؤذيه لغربته بينهم واما الكافر والمنافق او الفاجر الذي كالصنو
برة فانه لا يطمع فيه فلا الرياح تزعزع بوذه ولا يطمع في تناول ثمرته لا
متناعها وفي كتاب الزهد للامام احمد عن عصام بن يحيى الحضرمي
قال شكى الحواريون الى عيسى عليه السلام من ولع الناس بهم وبغضهم اياهم
فقال المسيح كذلك المؤمن مبغضون في الناس وانما مثلهم كمثل حبة
القمح ما احلى مذاقتها واكثر اعدائها وقال كعب في التوراة ما كان حليم
قط في قوم قط الا بغوا عليه وحسدوه وكان خيثمة يقول كلاما معناه
ان من الناس من اجتهد في نفعه وهو يجتهد في اذاي انه لا يحب منا
فوق مؤمن ابدا ومنها ان المؤمن يمشي مع البلاء كيف ما مشى به فيقلبه
فيقلبه البلاء بمنة ويسر فلا تقضه الرياح كما في امثال العرب اذا ابت
الريح عاصفا فتطامن اي اذا ابت الامر غالبا فاخضع له وقال الحكماء
لا يرد العود والقوي بمثل الخضوع له ومثله مثل الزرع العاصف يسلم
منها الزرع اللين لها ومعناها ويتقصف منها الشجر العظام لانتصابها لها
فان الفاجر لقوته ويناظمه يتعاون على الاقدار ويستعصي عليها كالشجرة
الصنوبرية تستعصي على الرياح والانطماح معها فتسلط عليها ريح
قاصف لا يقوى عليها فتقلعه من اصله بعروقه فتهلكه وهذا
كما حكى الله عن عاد قال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا
لو امن اشد منا قوة الآية فالمؤمن لما تواضع لعظمة الله وصبر

فعلما الادرة استقبل معه فيكون على ما قبله العافية من الله وحسن العاقبة وقوة في عينه السعة
فلهذا كان مثل المؤمن كمثل الزرع تفيئها الرياح تصرعه مرة وتقويه مرة

على بلائه كانت عاقبته الحسنى وسلم في الدنيا والآخرة من البلاء وكانت العافية له
والفاجر لما تكبر وتعاظم وتقاوى على اقدار الله عجل الله عقوبته فسلط عليه بلاء
يستعصله والريح على الامتناع منه كالشجر العظام التي تقتلعها الرياح بعرو
قما قال بعضهم شعرا ان الرياح اذا عصفن فانما تولي الاذية شامخ الاغصان
وقال غيره من اغفل النفس احياها وارحمها ولم يبت طاويا منها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس تمري سوى العالي من الشجر
ومنها ان الزرع وان كانت كل طاقة منه ضعيفة ضئيلة الا انه يتقوى بما
يخرج معه وحوله يعتضد به بخلاف الشجر العظام فان بعضها لا يشد بعضا
وقد ضرب الله تعالى مثل نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه بالزرع لهذا المعنى قال
ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه
وقوله اخرج شطأه اي فراخه فآزره اي ساواه وصار مثل الام وقوي
به فاستغلظ اي غلظ فاستوى على سوقه جمع ساق فالزرع مثل النبي
صلى الله عليه وسلم اذ خرج وحده فاعده باصحابه وهم شطأ الزرع كما قوي
الطاقة من الزرع عاينبت منها حتى غلظت واستحكمت وفي الانجيل
سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع وقد قال عز وجل والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض وقال والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
فالمؤمنون بينهم ولاية وهي مودة ومحبة باطنة كما قال انما المؤمنون اخوة
لان المؤمنين قلوبهم على قلب رجل واحد فيما يعتقدونه من الايمان واما
المنافقون فقلوبهم مختلفة كما قال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فما هو قلوبهم
مختلفة والاولاية بينهم في الباطن وانما بعضهم من جنس بعض في الكفر والنفاق
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
بعضا وشبك بين اصابعه وفيهما ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤ
منين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه
عالد سائره بالحمى والسهر ومنها ان الزرع ينتفع به بعد حصاده فا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بحصده الرابعة ثم يبقى منه بعد حصاده ما يلتقطه المساكين وترعاه البهائم
وتأكله الطير وربما استخلف بعضه فاخرج منه ثانية وبيع منه من الحب
وما ينبت مرارا وهكذا مثل المؤمن يموت ويخلف ما ينتفع به من علم نافع
وصدقة جارية وولد صالح ينتفع به وأما الفاجر فاذا انقلع من الارض لم يبق
فيه نفع بل ربما اثر ضررا لمحق كالنجش المنجعفه لا تصلح الا لو قيد النار و
منها ان الزرع في حملة مبارك كما ضرب به المثل حبة انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء وليس كذلك الشجر لان كل حبة
مما يغرس منه لا تزيد على نبات شجرة واحدة منها ومنها ان الحب الذي
ينبت منه الزرع هو قوت الآدميين وغذاء ابدانهم وسبب حياة اجسادهم
فكذلك الايمان هو قوت القلوب وغذاء الارواح وسبب حياتها ومتى فقدته
القلوب ماتت وموت القلوب لا يرجى معه حياة ابدا بل هو هلاك الدنيا
والاخرة كما قيل ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء
فلذلك شبه المؤمن بالزرع حيث كان الزرع حياة الاجساد والايمان حياة
الارواح ولعاشر بعض الاشجار العظام كالصنوبر ونحوه فليس لها كبير
نفع وربما لا يتضرر بقعده فكذلك مثل الفاجر والمنافق بهذه الشجرة
لقلة نفع ثمرها لما كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فصاحب
السجن لا يزال في بلاء حتى يخرج منه فاذا خرج من السجن افضى الى الرخاء
والنعيم الدائم وصاحب الجنة اذا خرج منها وقع في السجن الدائم اذا صبغ
انعم الناس كان في الدنيا صبغة في العذاب فقيل له هل مر بك بؤس قط
قال لا يا رب واذا صبغ ابأس الناس في الدنيا في النعيم صبغة ثم قيل له
هل مر بك بؤس قط قال لا يا رب ما كانه نصب مر استراح ولا استراح من
نصب فما هي الا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول ولا يجد
اهل الجنة من الم نصب الدنيا شيأ بل ينقلب راحة ابدا

جميع

جميع الآلام لسبع النحل يذهبها ما يجتني المجتني من لذة العسل
من طمع في الوصول الى العالي صبر على مواصلة نصب النهار بسهر الليالي
من اراد غدا قربنا فليصبر اليوم على المضض بنا فما يحس بالم من صدق
في حبنا لا بد من البلوى والاختبار ليتبين الصادق من الكاذب
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم الراحة
لا تنال بالراحة لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال
من رتب الدنيا لا تنال الا بالصبر على البلاء في طلبها والمجاهدة فكيف من اراد
موعود صدق عند مليك مقتدر كم صبر واحتمل قدروا كم غظوا حتى نظروا
ما وصلوا الى المنزل الا بعد طول السجن ما نالوا لذة الراحة الا بعد ان
صبروا على المشقة لو قرب النوى على طلابه ما لج الغائص في طلابه
ولو اقام لازهار اصدافه لم تكن التيجان في حبابه
ما لؤلؤ البحر ولا من جانه الا وراء لهول من عبابه
اخرا ما وجدنا والحمد لله رب العالمين اولا وآخرا وظاهرا وباطنا كما
ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله سبحانه وبحمده وصلاته على عبده
ورسوله محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
الى يوم الدين

ويليها البشارة العظمى للمؤمن بان حظه من النار الحمى
تاليف الشيخ الامام العالم العلامة زين الدين عبد
الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي قدس الله روحه
ونور ضريحه ونفعنا بالعلم النافع
وعلمه امين ثم امين
ثم امين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

خرج الامام احمد من حديث ابي الحصين الشامي عن ابي صالح الاشعري
عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى كير من جهنم فما اصاب المؤمن
منها كان حظه من النار وفي رواية له كان حظه من جهنم اختلف في اسناد هذا
الحديث عن ابي صالح الاشعري فقال ابو الحصين الفلسطيني عن ابي امامة
وخالفه اسمعيل بن عبد الله فرواه عن ابي صالح الاشعري عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه عاد مريضا ومعه ابو هريرة فقال وعك به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابشر فان الله يقول هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن في
الدنيا لتكون حظه من النار في الاخرة خرجه ابن ماجه من طريق ابي اسامة عن
عبد الرحمن بن يزيد عن ابي اسمعيل به وعبد الرحمن بن يزيد بن تميم الدمشقي
ضعيف ومن قال انه جابر فقد وهم وقد خرجه الطبراني من رواية ابي المغيرة
عن ابي تميم به وخالفه سعيد بن عبد العزيز فرواه عن اسمعيل بن عبد الله
عن ابي صالح عن كعب الاحبار من قوله قال الدارقطني وهو الصواب
قال ورواه شبابة فوصله عن نساء عن ابي صالح حصين عن ابي صالح عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ظنه ابا حصين الاسدي الكوفي بفتح
الحاء وكسر الصاد وظنه ابا صالح هو السمان وكل ذلك وهم انما هو ابو حصين
بضم الحاء وفتح الصاد فلسطيني ليس بالمشهور وابو صالح هو الاشعري
وقد روي هذا من حديث عائشة من رواية هشيم بن مغيرة عن ابراهيم
عن الاسود عن عائشة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الحمى حظ المؤمن كل مؤمن
من النار خرجه ابن ابي حاتم من طريق عمر بن مخلد التمار الواسطي عن هشيم
وذكره الدارقطني وقال في التمار لا بأس به قال وخالفه منذل فرواه عن ابراهيم
عن عائشة موقوفا وهو المحفوظ قلت وقد تتبع التمار على اوهام

بته

بته عن هشيم فرواه نصر بن زكريا عن جعفر بن عبد الله البلخي عن هشيم كما رواه
التمار وقد روي عن عائشة من وجه اخر خرجه الطبراني والبزار من رواية محمد بن
راشد هذا قال ابن عدي هو مجهول وروي من حديث عثمان بن عفان من رواية
الفضل بن حماد الازدي عن عبد الله بن عمران القرشي عن مالك بن دينار عن معبد
الجهني عن عثمان بن عفان عن ابي صالح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى حظ المؤمن من
النار يوم القيمة خرجه ابن ابي الدنيا والعقيلي وقال ابن عمران لا يتابع على
حديثه قال واسناده غير محفوظ والمتن معروف بغير هذا الاسناد وقال في موضع
اخر في اسناده نظر قال وهذا مروي من غير هذا الوجه باسناد اصلح من هذا
بثبت وهو صحيح انتهى ومعبد الجهني هو القدري المبتدع وروي من حديث ابي
ريحانة من رواية عصمة بن سالم الضبابي عن اشعث عن
عن ابي ريحانة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى كير من جهنم وهي نصيب المؤمن
من النار خرجه ابن ابي الدنيا وغيره وروي من حديث انس رواه الطبراني من
حديث اشاذ كوني انبانا عيسى بن ميمون عن قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الحمى حظ المؤمن من النار اسناده ضعيف وقد روي ايضا من حديث
ابي مسعود ولا يصح وروي مرسلا خرجه محمد بن سعد في طبقاته نبانا ابو نعيم الفضل
بن دكين حدثنا اسمعيل بن مسلم العبدي حدثنا ابو المتوكل ان نبي الله صلى الله
عليه وسلم ذكر الحمى فقال من كانت به فهي حظه من النار فسألها سعد بن معاذ
ربه فلزمته فلم تفارقه حتى فارق الدنيا وروي عن مجاهد من قوله خرجه ابن
ابي الدنيا من رواية عثمان بن ابي الاسود عن مجاهد قال الحمى حظ المؤمن من النار
ثم قرأوا هذه الاية وان منكم الا واردها الاية والورود في الدنيا هو الورود في الاخرة اعلم ان الله
خلق الجنة والنار ثم خلق بني آدم وجعل لكل واحدة من الدارين اهلا منهم
ثم بعث الرسل مبشرين ومنذرين يبشرون بالجنة من آمن وعمل صالحا ويحذرون
النار من كفر وعصى واقام ادلة وبراهين دلت على صدق

www.alukah.net

اخبرهم به مما ذكر واشهد عباده في هذه الدار آثار امة الجنة وآثار امة النار
فاشد ما يجد الناس من الحر من فيح جهنم واشد ما يجدون من البرد من زمهرير
جهنم كما صح ذلك عنه الى صلى الله عليه وسلم وروي ان برد السحر الذي يجده الناس
كل ليلة من برد الجنة حين تفتح سحر كل ليلة وروي عن عبد الله بن عمر وان
الجنة معلقة بغروب الشمس سر كل عام مرة سر الى زمن الربيع وما يظهر
فيه من الازهار والثمار وطيب الزمان واعتداله في الحر والبرد وابلغ من
هذا كله انه اشهد عباده في نفوسهم آثار المحسوسة بحد ذاتها ويحسونها من
آثار الجنة والنار فاما ما يجدون منه من آثار الجنة فما يتجلى للقلوب المؤمنين من
آثار انوار الايمان وتجلي الغيب لقلوبهم حتى يصير الغيب كالشهادة
لقلوبهم في مقام الاحسان فربما تجلت الجنة او بعض ما فيها لقلوبهم
احيانا حتى يروها كالعيان وربما استنشقوا من روائحها كما قال انس
بن النضر يوم احد وها لريح الجنة واه اني لاجد ريح الجنة من قبل احد
واما ما يجدون منه من آثار النار فما يجدونه من الحر فانها من فيح جهنم كما قال
الى صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فاطفؤها بالماء وهي نوعان حارة وبا
ردة فالحارة من آثار سموم جهنم والباردة من آثار زمهرير جهنم الذي
به اسحق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابي السائب مولى عبد الله بن ازهر
عن ابي هريرة عن الى صلى الله عليه وسلم قال ان النار استأذنت ربها في نفسها
فاذن لها فاما احدهما فنفخة في الشتاء واما الاخرة فنفخة
الحمى التي تصيبكم فاذا اشتدت على احدكم فليطفئها عنه بالماء البارد خرجه
ابو احمد الحاكم واسناده جيد وهو غريب جدا فاذا كانت الحمى من النار
ففي هذه الاحاديث السابقة انها حظ المؤمن من نار جهنم يوم القيمة
والمعنى والله اعلم بمراده ان الحمى في الدنيا تكفر ذنوب المؤمن وتطهره
حتى يلقى الله بغير ذنب فيلقاه طاهرا مطهرا من الخبث فيصلح

المجاورة في دار كرامة دار السلام والاحتياج الى تطهير وهذا في حق المؤمن الذي
حقق الايمان ولم يكن له ذنوب الا ما تكفره الحمى وتطهره وقد تواترت النصوص عن
الى صلى الله عليه وسلم بتكفير الذنوب بالاسقام والاوصاب وهي كثيرة جدا يطول
ذكرها ونحن نذكر ها هنا بعض النصوص الصريحة بتكفير الحمى ففي صحيح مسلم
من جابر ان الى صلى الله عليه وسلم دخل على ام السائب او ام المسيب فقال ما لك
تزفزفين قالت الحمى لا بارك الله فيها قال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا بني
آدم كما يذهب الكير خبث الحديد وخرج ابن ماجه من حديث ابي هريرة عن الى صلى
الله عليه وسلم بمعناه وخرج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن ازهر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال مثل المؤمن حين يصيبه البوعك والحمى كمثل حديد تدخل النار فيذ
هب خبثها ويبقى طيبها وقال صحيح الاسناد وفي غيره من الحفاظ لا اعلم له علة
وخرج الترمذي من حديث عائشة انها سئلت الى صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوءا يجز به فقال
هذه ما مسه الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في جيب
قميصه فيفقدها فيفزع لذلك حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الا
حمر من الكير وقال حسن غريب وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء عن الى صلى الله
عليه وسلم قال ان الحمى والمليلة لا تزالان بالمؤمن وان ذنبه مثل احد فما يدعانه وعليه
من ذنبه مثقال حبة من خردل وخرجه الامام احمد وعنده ان الصداع والمليلة
وخرج الطبراني من حديث ابي ابن كعب انه قال يا رسول الله ما جزاء الحمى قال يجري
الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم او ضرب عليه عرق فقال ابي بن كعب
اللهم اني اسئلك حمى لا تمنعني خروجا في سبيلك ولا خروجا الى بيتك ولا مسجد نبيك
قال لهم بمس قط الا وبه حمى ومعنى اجل الحسنات عليه كتابة ما كان يعمله في الصحة
مما منعته منه الحمى كما ورد تفسيره في احاديث اخر صريحة وكان الى صلى الله عليه وسلم
اذا عاد من به الحمى قال طهور انشاء الله يعني انها تطهر من الذنوب والخطايا ففي
صحيح البخاري عن ابن عباس ان الى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل على مريض يعوده
قال لا باس طهور انشاء الله فدخل على اعرابي يعوده فقال لا باس طهور انشاء الله

الألوكة
www.alukah.net

فقال الاعرابي طهور بل حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقال النبي صلى الله
عليه وسلم فنعم اذا يعني انه لم يقبل الطهارة بل يردها واخبر عنه حماه بما اخبر به عن
نفسه تحصيلا لما اختاره لنفسه دون مارده وقد خرجه ابو نعيم في تاريخ اصبهان
من حديث شرحبيل بن السمط قال شيخ اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله شيخ كبير وحمى تفور في عظام شيخ كبير تزيره القبور فقال النبي صلى الله
عليه وسلم بل كفارة وطهور فقال الاعرابي بل حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور
فقام النبي صلى الله عليه وسلم وتركه وقال هشام عن الحسن يرجون في حمى ليلة كفارة
لما مضى من الذنوب وقال حوشب عن رفعه ان الله ليكفر عن المؤمن خطاياه
بحمى ليلة ورواه عن الحسن عن ابي هريرة مرفوعا باسناد ضعيف وقال عبد الملك بن
عمير قال ابو الدرداء حمى ليلة كفارة سنة رواه ذكر كله ابن ابي الدنيا وقد قيل في مثل
سنة تكفير حمى ليلة لذنوب سنة ان القوي تضعف بالحمى فلا تعود الى ما
كانت عليه الى سنة تامة وفي مناسبة تكفير هذه الذنوب كلها ان الحمى تاخذ منها
كل اعضاء البدن ومفاصله فتسطه من الالم والتضعف فاذا كانت الحمى تاخذ منها
المشابه وانها كفارة للمؤمن وطهارة له من ذنوبه فهي حظه من النار باعتبار ما
سبق ذكره فانه لا يحتاج الى الطهارة بالنار يوم القيمة الا من اتى الله وهو متلطخ
بخبث الذنوب وفي الترمذي عن ابي بكر الصديق انه كان عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقرأ هذه الاية حين انزلت من يعمل سوءا يجز به قال ولا اعلم الا اني وجدت
في ظهري انقصاما فتمطيت لها وقلت يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا وانا
لمجزيون بما عملنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر والمؤمنون
فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنب واما الاخرون فيجمع
ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيمة وفي مسند بقي بن مخلد باسناد جيد عن عائشة
ان رجلا تلى هذه الاية من يعمل سوءا يجز به انا لنجزى بكل عمل عملناه هلكنا
اذا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم يجزى به المؤمنون في الدنيا في
نفسه في جسده فما دونه واما ما روي عن مجاهد ان الحمى في الدنيا هي درجهم

يوم القيمة

يوم القيمة فان صح عنه فله معنى صحيح وهو ان ورود النار في الاخرة قد اختلف
فيه الصحابة على قولين احدهما انه المرور على الصراط كقول ابن مسعود والثاني انه الورود
فيها كقول ابن عباس ممن قال انه المرور على الصراط فانه يقول ان مرور المؤمنين على الصراط
بحسب ايمانهم واعمالهم كما صحت به النصوص النبوية فمن كمل ايمانه نجى ولم ينج
بالنار ولم يسمع حسيسها ومن نقص ايمانه فانه قد تخدشه الكلاليب
ويتكردس في النار بحسب ما نقص من ايمانه ثم ينجو او من قال هو دخول النار فانه
يقول ان المؤمنين الذين كمل ايمانهم لم يحسوا بحرها بالكلية وفي المسند عن جابر
مرفوعا لا يبقى احد الا دخلها فاما المؤمنون فتكون عليهم بردا وسلاما كما كانت
على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم وفي حديث آخر تقول النار للمؤمن جزيا
مؤمن فقد اطفانورك لهبي وقال بعض التابعين اذا قطع المؤمن الصراط
يقول بعضهم لبعض الم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقولون نعم ورتموها وهي
خامدة فعلى كلا القولين ان المؤمنين الذين كمل ايمانهم لا يحسون بحر جهنم
ولا يتأذون به عند الورود عليها فيكون ما اصابهم في الدنيا من فيح جهنم
والحمى هو حظهم من النار فلا يحصل لهم شعور واحساس بحر النار سوى
احساسهم بحر الحمى في الدنيا فهذا هو معنى ما ورد ان الحمى حظ المؤمن من
النار وانها حظهم من ورود النار يوم القيمة والله اعلم وقد كانت الحمى تشتد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لعظم درجته عند الله وكرامته عليه واراد ان ترفعة
درجته عنده فروى ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو محموم فوضعت يدي عليه فقلت ما اشد حماك يا رسول الله لتوعك وعكا شديدا
قال اني اوعك كما يوعك رجلان منكم اما انه ليس من عبد مؤمن ولا
امة مؤمنة يمرض مرضا الا حط الله عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها
خرجه البخاري بمعناه وهذا لفظ ابن ابي الدنيا وفي رواية البخاري نحو ذلك

ان لكل اجر بن قال اجل وخرج ابن ماجه من حديث ابي سعيد الخدري قال دخلت
على ابي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حره بين يدي
فوق اللحاف فقلت يا رسول الله ما اشدها عليك قال انا كذلك يضعف لنا البلاء
ويضعف لنا الاجر وفي المسند عن فاطمة بنت عقبة قالت اتينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم نعوده في نساء فاذا شقاء معلق نحوه يقطر ماؤه عليه ماشدة
ما يجد من حر الحمى فقلنا يا رسول الله لو دعوت الله شفاك فقال ان من اشد
الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد جعل الله نبي صلى الله عليه وسلم
من الاتصبب الحمى والصداع من اهل النار فجعل ذلك من علامات اهل النار و
عكسه من علامات المؤمنين ففي المسند والنسائي عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لاعرابي هل اخذتك ام ملدم فقال يا رسول الله وما ام ملدم
قال حر يكون بين الجلد والدم قال ما وجدت هذا قال يا اعرابي هل اخذك هذا
الصداع قال يا رسول الله وما الصداع قال عرق يضرب على الانسان في رأسه
قال ما وجدت هذا فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل من
اهل النار فلينظر الى هذا وخرج الطبراني من حديث انس ان اعرابيا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال متى تعهدك بام ملدم قال وما ام ملدم قال حر يكون بين الجلد
والعظم يعض الدم ويأكل اللحم قال ما اشتكيت قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا قال اخرجوه عني وفي المسند
عن ابي بن كعب قال دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى تعهدك
بام ملدم وهي حر بين الجلد واللحم قال ان ذلك وجع ما اصابني قط فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل الخامة تحمر مرة وتصفر اخرى وقد اختار الله
عليه وسلم لامتي الحمى محوها ولاهل مدينتي خصوصا وللانصار من اهل فهي
خصوصا فاما الاول ففي المسند عن ابي قلابة قال نبئت ان النبي صلى الله عليه
وسلم بينما هو ذات ليلة يصلي قال في دعائه فحمى اذا وطاعونا قالها ثلاث

مرات

مرات فلما اصبح سألته انسان من اهله عن ذلك فقال اني سألت ربي الا يهلك
امتي فاعطانيها وسألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح فاعطانيها
وسألته ان لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فابى علي او
قال فمنعنيها فقلت حمى اذا وطاعونا حمى اذا وطاعونا يعني ثلاث مرات واما
الثاني ففي المسند ايضا عن عسيب مولى النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطا
عون الى الشام والطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجز على الكافرين والا ينافي
هذا ما في الصحيح عن عائشة قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك
ابو بكر وبلال فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول كل امرئ مصبح في اهله
والموت ادنى من شراك نعله وكان بلال اذا اقلع عنه يرفع عقيرته ويقول
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل وهل اردن يوما مياها مجنة
وهل تبدون لي شامة وطفيل اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وامية
بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا و
صححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت وقدمنا المدينة وهي اوبى الارض الله
قالت فكان بطحان يجري نجلا يعني ماء آجنا فان المراد بالحمى في هذا الحديث
الوباء وهو وخم الارض وفسادها وهواها المقتضي للمرض وقد نقل
ذلك من المدينة الى الجحفة كما في صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي
الجحفة فاولتها وباء المدينة ينقل الى الجحفة واما الحمى المعتادة فهي التي امسكها
الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهي التي تكون بالارض الطيبة والبلاد الصحيحة
هواؤها وماؤها واما الثالث وهو تخصيص الانصار به
ففي المسند ايضا وصحيح ابن حبان عن جابر قال استأذنت الحمى عمار

الألوكة
www.alukah.net

عليه وسلم قالت من هذه قالت ام ملدم قال فامرها الى اهل قبا فلقوا منها ما بوا
الله فاتوا فشكوا ذلك اليه قال ما شئتم ان شئتم ادعو لكم يكشفها عنكم وان شئتم
ان تكون لكم طهورا قالوا يا رسول الله او تفعل قال نعم قالوا فدعها وخرج الحاكم
في كتاب العلل من حديث سلمان الفارسي قال استاذنت الحمى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من انت قالت انا الحمى ابرد اللحم وامص الدم قال اذهبي
الى اهل قبا فاتتهم فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصفرت وجوههم
فشكوا الحمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما شئتم ان شئتم دعوت الله فكشفها
وان شئتم تركتموها فاستنظفت بقيه ذنوبكم قالوا بل دعها يا رسول الله و
قد كان كثير من السلف الصالح يختار الحمى لنفسه كما سبق عن ابي بن كعب انه
دعي لنفسه بالحمى وروي من وجه آخر من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رجل
للنبي صلى الله عليه وسلم ارايت هذه الامراض التي تصيبنا منها قال كفارات قال ابي
وان قلت قال وان شوكة فما فوقها قال فدعى الله ابي على نفسه ان لا يفارقه الوعك
في الا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة
فما مسه انسان حتى الا وجد حرها حتى مات خرجه الامام احمد وابن حبان في صحيحه
والحاكم وقال على شرطهما وخرج النسائي اول الحديث فقط وقد سبق عن سعد بن
معاذ نحو ذلك وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن عطاء عن ابي هريرة قال ما من مرض
احب الى الله من هذه الحمى انها تدخل في كل مفصل وان الله عز وجل يعطي كل مفصل قسطه
من الاجر ووضع بعض ولد الامام احمد يده عليه فقال كانك محموم فقال احمد اني
لاي بالحمى ومع هذا كله فالمشروع سؤال الله العافية لا سؤال البلاء وقد كان النبي صلى
الله عليه وسلم يامر بسؤال العافية ويحث عليه وقال المسؤول البلاء وتجيل التعوذ
له في الدنيا انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار وسمع رجلا يسال الصبر فقال سالت الله البلاء فسل الله
العافية وفي دعائه بالطائف وقد بلغ منه الجهد مما اصابه من اذى المشركين
ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي وقال الامام احمد

العدو

العدو ولكنه سلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا وكان بعض السلف
يقول في دعائه في المرض اللهم انقصني من الوجع ولا تنقصني من الاجر ومن هنا كره
تمني الموت فانه استعجال للبلاء قبل وقوعه كما قال ابن عمر لمن سمعه يتمنى الموت
ميت ولكنه سل الله العافية وفي المسند عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمنوا
الموت فانه هول المطلع شديد وان من سعادة المرء ان يطول عمره ويرزقه الله
الانابة والحمى هي بريد الموت ورايده فتمنيها كتمني الموت فيجوز حينئذ بجواز
تمني الموت وكان ابو الدرداء يقول احب الموت اشتياقا الى ربي واحب المرض لتكفير
ذنوبي واحب الفقر تواضعا لربي وفي حديث عبد الرحمن بن الرقوع عن ابي صلى
الله عليه وسلم قال الحمى رايد الموت وسجن الله في الارض خرجه ابو القاسم
البغوي وقال حسان بن عطية ذكرت الحمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تلك ام الدم تلدم اللحم والدم ورويه عن الحسن عن ابي صلى الله عليه وسلم قال الحمى
رايد الموت وهي سجن الله في الارض يحبس عبده اذا شاء ثم يرسله اذا شاء
وقال شهر بن حوشب عن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى رايد الموت
وهي سجن الله في الارض للمؤمنين وقال سعيد بن جبير الحمى بريد الموت
خرجه كله ابن ابي الدنيا آخر ما ذكر المصنف رحمه الله ونفعنا به امين
وقع الفراغ من نقل هذا المجموع المبارك بعد صلاة العصر سابع عشر شوال
١٧ ش سنة ١٣٣٦ من هجرة صلى الله عليه وسلم

ويليها شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة الحديث
للمصنف رضي الله عنه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا
وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بين
يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فهدى به من الضلالة
وبصر به من العمى وارشد به من الغي وفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا
صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اخرج الامام احمد من
حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت
بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي
تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم
فهو منهم وخرج ابو داود واخره وهو قوله من تشبه بقوم فهو منهم فقوله
صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف يعني ان الله تعالى بعثه داعيا الى توحيده بالسيف
بعد دعائه بالحجة فلم يستجب الى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دعي بالسيف
قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وفي الكتب
السابقة وصف النبي صلى الله عليه وسلم وانه يبعث بتصويب الادب وهو السيف
ووصى بعض احبار اليهود عند موته باتباعه وقال انه يسفك الدم ويسبي
الذراري والنساء فلا يمنعهم ذلك منه وروي ان المسيح عليه السلام قال لبني
اسرائيل في وصفاني صلى الله عليه وسلم انه يسل السيف فيحلون في دينه طوعا
وكرها وانما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال بعد الهجرة لما صار له دار واتباع وقوة
ومنعة وقد كان يتعهد اعداءه بالسيف قبل الهجرة كان صلى الله عليه وسلم يطوف
بالبيت واشراف قريش قد اجتمعوا بالحجر وقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من
هذا الرجل قد سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب
الهتنا لقد صبرنا منه على امر عظيم فبينما هم كذلك اذ اقبل النبي صلى الله عليه وسلم فمر به بعض

القوم فغمز في وجهه صلى الله عليه وسلم فعلوا ذلك ثلاث مرات فوقف فقال اتسمعون
يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذت القوم كلمته حتى
ما منهم رجل الا كأنما على راسه طير واقع وحتى ان اشدهم عليه قبل ذلك ليلقاه باحسن
ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا
وقال محمد بن كعب بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان رجالا يقولون ان محمدا يزعم انكم ان
تابعتموه عشتم ملوكا فاذا متم بعثتم بعد موتكم وكان لكم جنان خير من جنان الاردن
وان كم ان خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكان لكم نار تحرقون بها فيها
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قوله فقال وانا اقول ذلك ان لهم مني لذبحا واني لاخذهم
وقد امره الله تعالى بالقتال في مواضع كثيرة قال تعالى اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد وقال تعالى فاذا لقيتم
الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا
بعد واما فداء وهذا عهد تبوأ على اخذ الفداء منهم في اول قتال قاتلوه يوم
بدر ثم نزل قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم وقد كانوا اشاروا على النبي صلى الله
عليه وسلم باخذ الفداء من الاسراء واطلاقهم قال ابن عيينة ارسل
محمد صلى الله عليه وسلم باربعة سيوف سيف على المشركين من العرب
حتى يسلموا وسيف على المشركين من غيرهم حتى يسلموا او يستسلموا او
يفادوا بهم وسيف على اهل الكتاب حتى يعطوا الجزية وسيف على اهل
القبلة من اهل البغي وفيما ذكره نزاع بين العلماء فان منهم من يجيز
المفاداة والاسترقاق في العرب وغيرهم وكذلك من يجيز اخذ الجزية
من الكفار جميعهم والذي يظهر ان في القرآن ذكر الاربعة سيوف في سيف على
المشركين حتى يسلموا او يؤسروا فاما منا بعد واما فداء وسيف على المنافقين
وهو سيف الزنادقة وقد امر الله بجهادهم والاغلاظ عليهم في سورة براءة وسورة
التحريم واخر سورة الاحزاب وسيف على اهل الكتاب

الألوكة
www.alukah.net